

الإعلام العربي
والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية













د. صابر حارص



الإعلام العربي
والعولمة الإعلامية والثقافية والسياسية
من الترغيب و التنويم إلى الصراع والتدمير

العربي
للنشر والتوزيع
١٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) - القاهرة
ت: ٢٧٩٥٤٥٢٩ - ٢٧٩٢١٩٤٣
فاكس: ٢٧٩٤٧٥٦٦

٤٢ ميدان البصرة
شارع دجلة من شهاب - المهندسين
ت: ٣٧٤٩٢١٤٥
فاكس: ٣٧٦١٨٣٨١
email: alarabi5@link.net

الإعلام العربي وعولمة العملية الإعلامية

د. صابر حارص

الطبعة الأولى ٢٠٠٨

الغلاف والإخراج الداخلي: بكر الجلاس

رقم الإيداع:٢٤٧٢٨/٢٠٠٧

ISBN: 977-319-094-3

بسم الله الرحمن الرحيم

بشِّرِ المنافقين بأنَّ لهم عذاباً أليماً (١٣٨) الذين يتَّخذون الكافرين أوليآء من دون المؤمنين ۚ أيبتغون عندهُمُ العزَّة فإنَّ العزَّة للهِ جميعاً

(١٣٩) سورة النساء

الإهداء

* إلى عقلاء هذه الأمة الذين يعوا أن الظرف لا يسمح بالحياة خارج العولمة فما استكانوا ولا استسلموا بل أعدوا العدة لدخول الخيمة دون تفريط أو إفراط.

* إلى كل الذين يتصدون أو يحاولون وقف نزيف العولمة وتحويلها من المسار الأمريكي إلى المسار الإنساني الشامل.

* إلى عقيدتي السمحاء التي دعت إلى قبول الآخر وليس إقصائه، والتعايش معه وليس استغلاله، وقصرت الجهاد على المعتدي، والسلام معه إذا اهتدى.

مقدمة

سببان كانا وراء الجازي لهذا الكتاب:

أولاً:

غياب العولمة وعلاقتها بالإعلام الدولي وانعكاساتهما على الإعلام العربي من مناهج التعليم الإعلامي بالوطن العربي. فبعد مرور ١٥ عاماً على ظهور مصطلح العولمة -بداية التسعينات-. و ٣٥ عاماً على مصطلح (القرية الالكترونية) -أواخر الستينات وبداية السبعينات- وطلاب ودارسي الإعلام في الوطن العربي لم يتعرضوا في أي منهج من مناهج التعليم لثقافة العولمة والقوى التي تقف ورائها وتستفيد منها. والأهم من ذلك أصداء هذه الثقافة على المؤسسة الإعلامية والدينية والتربوية والتعليمية في الوطن العربي.

والإعلامي سواء كان دارساً أو مُشتغلاً هو الكائن الوحيد الذي لا يجب أن يقتصر على دراسة ما يتصل بالعولمة في جانبها الإعلامي بحجة التخصص. بل يجب أن يدرس ويقرأ ويستوعب العولمة من كافة جوانبها وتأثيراتها على كل جوانب الحياة نظراً لكون الإعلام هو القاسم المشترك الوحيد بين كافة أوجه النشاط اليومي للإنسان والجتمعات.

وما لم يكن الفعل الإعلامي مُنطلقاً من نفس المنظومة الدينية والتعليمية والتربوية والثقافية فلا يمكن لأي مجتمع أو نظام إحراز أي تقدم حتى في الإطار العولمي ذاته. فضلاً عن أن وسائل الإعلام في العصر العولمي أضحت عملاً إضافياً أكثر جاذبية وأوسع تأثيراً وانتشاراً للدعاة والتربويين والإصلاحيين والمثقفين والمكفرين .. الخ.

وعبر مسيرة طويلة في (١٠) أقسام وكليات إعلامية بمصر والسعودية والإمارات واكبها تعديلات وتطورات في الخطط الدراسية لمناهج التعليم الإعلامي لم أعثر على مُقرر أو مساق واحد يتضمن ذلك. حتى أُتيح لي في جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا تدريس مساق: موضوع خاص في الإعلام والعلاقات العامة لطلاب المرحلة النهائية لبكالوريوس المعلومات والإعلام والعلاقات العامة.

وكان من إيجابيات هذا المساق حرية اختيار مفرداته أو موضوعاته وفقاً لما يمليه المشهد الإعلامي والمعلوماتي والاتصالي بشكل عام، وبعد مراجعتي لما تم تدريسه خلال الأعوام السابقة وما طرحتهُ على الطلاب والطالبات استقر الرأي على عدة موضوعات منها .. العولمة بشكل عام ثم آلياتها الدولية وخاصة الإعلامية وانعكاسات ذلك على الإعلام والمجتمع العربي. وهو موضع اهتمام هذا الكتاب الذي خصص ثلاثة فصول للعولمة وأنواعها من كافة جوانبها. ثم ثلاثة فصول أخرى لثقافة العولمة في الإعلام العربي وأصداء العولمة على الإعلام العربي وخاصة الإعلام السياسي.

وهناك أربعة مقررات بمناهج التعليم الإعلامي العربي وثيقة الصلة بالعولمة وعلاقتها بالإعلام وهي: موضوع خاص في الإعلام والعلاقات العامة الذي أشرنا إليه، الإعلام العربي، الإعلام الدولي، تكنولوجيا الاتصال الجماهيري، إلاّ أن انعكاسات العولمة على المهنة الإعلامية يجب أن تنسحب أيضاً على معظم مقررات الإعلام، فالتقديم التليفزيوني والتحرير الصحفي، والإخراج التليفزيوني، والصحافة والإعلام المتخصص .. الخ . قد تأثرت كثيراً على مستوى المهنة بقيم العولمة الإعلامية ويجب أن يكون لهذا التأثر صداه في المقررات التعليمية.

ثانياً:

التغيرات الجوهرية والشكلية التي طرأت –بفعل العولمة- على المؤسسة الإعلامية وهياكلها وسياساتها وأساليب عملها وترتيب أهدافها ونوعية مضامينها ورسائلها وسمات خطابها الإعلامي ونوعية مصادره، وطرق العرض والتقديم والمهارات الجديدة للحوار والإلقاء، والتسويق وجلب الإعلانات، وأولويات الوظائف والقيم التي يسعى الإعلام إلى ترسيخها في الوطن العربي، وتفتيت الجمهور وتنوع رسائله في إطار قالب عولمي، وما صاحب ذلك من تغيرات في بيئة ونظم وأنساق وعلاقات المؤسسة الإعلامية في داخلها وخارجها ابتداءً من علاقات الزمالة والرؤساء والمصادر وانتهاءً بالقوانين والتشريعات وعلاقات التبعية والمصالح مع السلطة السياسية ووكالات الأنباء ووكالات الإعلان والشركات العملاقة وفروعها وتوكيلاتها إضافة إلى الأوضاع السائدة على الصعيد الثقافي والاجتماعي والعسكري.

وحتى الآن ليس لدينا مؤشرات نجاح سواء في التعامل مع العولمة والاندماج في العصر أو في الحفاظ على تراثنا وثرواتنا ومستقبلنا من مخاطر العولمة. وهذا ليس على المستوى السياسي فحسب، بل على المستوى الإعلامي أيضاً ويكفي تدليلاً على الاثنين موقف الإعلام وأمامه الأنظمة العربية تجاه أهم حدث عربي وعالمي في القرنين العشرين والواحد والعشرين وهو احتلال العراق على مرحلتين ١٩٩١ , ٢٠٠٣م وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط جغرافياً وسياسياً وقيمياً.

ويعتبر الإعلام المتهم الثاني مباشرة بعد السياسة في قضية العولمة التي يترافع فيها محامون أقوياء لصالح القوى المستفيدة من الطراز الأول (أمريكا وإسرائيل) والطراز الثاني (بريطانيا) والطراز الثالث (دول العالم الثاني) والطراز الرابع والأخير (أنظمة الحكم في العالم

الثالث وخاصة العالم العربي) بينما تظل الشعوب تتحمل وحدها ما ينجم من الفعل العولمي. وخاصة شعوب العالم الثالث التي لا يُضار حكامها ماداموا يسْبحون مع التيار العولمي ولا يقفون ضده حتى ولو لحظة واحدة يتأملون فيها الموقف.

وليس من المصادفة أن يتوافق ترتيب القوى المستفيدة من العولمة مع ترتيب القوى الأقوى إعلامياً. كما أنه ليس من قبيل المصادفة أيضاً أن يتوافق ترتيب القوى المتضررة من العولمة مع ترتيب القوى الأضعف إعلامياً. مما يعكس الارتباط الوثيق بين الإعلام والعولمة. كون الإعلام ليس فقط أحد جوانب ومظاهر وأنواع العولمة ولكنه أحد آلياتها الرئيسية في تحقيق مصالح القوى المهيمنة. صحيح أن للعولمة آليات رئيسية أخرى كالبنك الدولي. صندوق النقد الدولي. الاتفاقية العالمية للتجارة الحرة. حلف الأطلنطي. منظمة الأمم المتحدة وخاصة مجلس الأمن. الشركات متعدية القومية. أجهزة المخابرات والتجسس وغيرها. إلاّ أن المؤسسات الإعلامية والمعلوماتية والاتصالية تظل آلية مميزة بكونها وسيط مشترك تعتمد عليه كل الآليات وكل أنواع العولمة في تمرير الأفكار والتبشير بالقيم الجديدة وتهيئة الشعوب والتأثير عليها وعلى صناعة القرارات المصيرية في الحرب والسلم .

فلم يعد الإعلام في عصر العولمة مجرد خطاب سياسي أو ثقافي أو اقتصادي .. الخ . ولكنه أصبح شريكاً رئيسياً في الفعل العولمي. يُمهد له ويُسهم في صنعه ويُتابع تطوراته ويُصحح اتجاهاته إذا انحرف عن مساره. إن الطبقة الرأسمالية الجديدة (العولمة) التي تقف خلف المؤسسة الإعلامية والتطورات المتسارعة لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتوظيفها في خدمة الإعلام شريك رئيسي موازٍ للقوى السياسية في إدارة العولمة واقتسام غنائمها.

أما الإعلام العربي في عصر العولمة فلم يعد تابعاً للسلطة السياسية بالشكل الذي كان عليه قبيل العولمة. ولا تستطيع السلطة أن تجعله كذلك. لأن جزءاً كبيراً من سيادتها تنازلت عنه بفعل العولمة. إضافة إلى الطبيعة الربحية والفردية التي كست المهنة الإعلامية ورسالتها الثقافية والفنية سواء في المؤسسات الخاصة أو الرسمية أو حتى الأيديولوجية.

لقد تجاوزت "الانتماءات الإعلامية" المؤسسات الوطنية التي تعمل بها على أرضية معينة وقيم وأهداف معينة إلى مؤسسات وجمعيات دولية ضاغطة وقادرة على حمايتها في حال خلافها مع السلطة السياسية أو حتى في حال تعارضها مع الانتماء الوطني كما تجاوزت "المصالح الإعلامية" حدود المجتمع الذي تعمل فيه وتنتمي إليه إلى شركات دولية عملاقة متعدية القومية تلعب الدور الرئيسي في تزويدها بالإعلانات التي تعتبر المورد الرئيسي لاقتصاديات الإعلام في العصر العولمي.

ومن الطبيعي ألاّ يختار الإعلان قنواته اعتباطاً. بل يسعى إلى بيئة ثقافية يضمن لنفسه النجاح فيها. ومن هنا يمكن تفسير هرولة القنوات العربية إلى تبني ثقافة العولمة بكافة

أشكالها المختلفة من الترفيه إلى الاستهلاك مروراً بالعلْمنة والإباحية والفيديو كليب وستار أكاديمي وسوبر ستار وغيرها.

إن ما كان يُقال في وقت قريب من وجود علاقة تبعية بين الإعلام العربي والإعلام الغربي نتيجة لتبعية السياسات العربية للسياسة الخارجية الأمريكية قد تبدّل لتصبح العلاقة بين الإعلام العربي والإعلام الغربي علاقة شراكة مباشرة على حساب مصالح الشعوب العربية.كما أن ما كان يُقال من وجود علاقة تبعية بين الإعلام والسياسة في الوطن العربي قد تبدل لتصبح العلاقة بينهما علاقة مصالح وتعاون مع السيد الأكبر (العولمة).

لقد تبدّلت الأوضاع من علاقات تبعية كانت مفروضة ومرفوضة في معظم الأحيان إلى علاقات تكامل وتعاون تحظى بالرضا والقبول. ومن هنا كان من الضروري رصد هذه التحولات الإعلامية التي تمت بفعل العولمة على كافة المستويات وخاصة المستويين السياسي والثقافي. وقد خَصَّص لها الكتاب الفصول الثلاثة الأخيرة. بينما اهتمت الفصول الثلاثة الأولى بالتأصيل والتنظير للإشكاليات الفلسفية والمعرفية والأدبية للعولمة.

وقد اشتمل الكتاب على مقدمة وستة فصول. يتصدى الفصل الأول لحسم إشكالية تحديد النشأة التاريخية للعولمة. وإشكالية غموض معنى العولمة. وينتهي إلى وضوح معنى العولمة. وتحديد نشأتها وتطورها دون تداخل خلافاً لما انتهت إليه الدراسات والكتب السابقة وذلك من خلال محددات تاريخية وأخرى مفهوماتية أزالت اللبس الذي كان حادثاً في الكتابات السابقة.

فالعولمة كفكرة وظاهرة قديمة قدم البشرية. لكن العولمة كتيار ونظرية بدأ مع عصر النهضة بداية القرن السادس عشر. وارتبط بالحداثة كتيار فكري أيديولوجي ثم تطور إلى ما بعد الحداثة ماراً بعدة مراحل منذ ظهور فكرة القومية والعالمية وانتهاءً بالحرب الباردة. أما العولمة كمصطلح حديث سبقه في الظهور محتواه الفكري. فقد بدأ مع أوائل السبعينات من القرن العشرين "القرية الكونية" إلى أن تمت صياغة المصطلح وظهوره في بداية التسعينات من القرن العشرين أيضاً. ومن ثم فإن الكاتب يجتهد في أن "روبرتسون" هو أول من روج للعولمة الحديثة. وأن سمير أمين هو أول من أدخل المصطلح إلى العربية.

أما اللبس في معنى العولمة فقد أزاله الباحث بعدة محددات: الفارق بين المعنى اللغوي من ناحية والمعنى الحركي الفعلي على الأرض من ناحية أخرى. الفرق بين العولمة والعالمية. التداخل بين المفاهيم والمواقف. وبين العولمة والأمركة. مراعاة أن العولمة ليست عولمة واحدة وإنما هناك عولمات عديدة وفقاً لأكثر من تصنيف. وعلى هذا الأساس انتهى الكتاب إلى تعريف شامل للعولمة يميزها عن العالمية والأمركة ولا يتغافل طبيعتها ومخاطرها.

ويتعرض الفصلين الثاني والثالث لأنواع العولمة وأبعادها وأهدافها ومزاياها ومخاطرها. ويعالج الباحث هذه النقاط بمنهج مختلف عن المناهج السابقة. فلا يُميز أو يفصل بينهما إقراراً بالتداخل ومنعاً للتكرار. فأهداف العولمة تكمل بعضها بعضاً. وآثارها الاقتصادية لا تنفصل عن الثقافية. وكلاهما لا ينفصلان عن التكنولوجية والإعلامية.. وهكذا.

ولذلك آثر الباحث الحديث عن كل هذه النقاط كوحدة واحدة في كل نوع من أنواع العولمة. وميَّز في ذلك بين مستويين:
١/ مستوى تُقدم فيه العولمة نفسها على أنها عملاً إيجابياً قولاً وفعلاً ويحقق الرفاهية والاستقرار وينقذ الشعوب من الحرمان والمعاناة وينشر الحرية والديمقراطية ويؤدي إلى التقارب والانفتاح بين الشعوب...الخ
٢/ مستوى نقد العولمة وبيان مخاطرها وأضرارها من خلال رصد ما يجري بفعل العولمة على الأرض.

وفي هذا الإطار قدم الباحث رؤية شاملة لأبعاد العولمة لا تقتصر على الاقتصادي والثقافي والسياسي والإعلامي والتكنولوجي فحسب. بل شملت أبعاداً أخرى لم تأخذ حقها كالفلسفي والاجتماعي. والتربوي والتعليمي والقانوني والأمني والإنساني.

وخرج الباحث بتصنيف شامل لأنواع العولمة يقسمها إلى أربعة تصنيفات:
١/ وفقاً للمستوى ويشمل: عولمة عامة وعولمة خاصة أو عولمة شاملة وعولمة جزئية.
٢/ وفقاً لجغرافية السياسة ويشمل: عولمة أمريكية. وعولمة أوربية.
٣/ وفقاً للمجالات ويشمل: اقتصادية. تكنولوجية. فلسفية. ثقافية. اجتماعية. تربوية قانونية. أمنية. إنسانية.
٤/ وفقاً للمصالح ويشمل: عولمة سلطوية. عولمة مضادة. عولمة إنسانية أو (عولمة بديلة).
وبطبيعة الحال لم يكن هناك فصلاً تعسفياً بين هذه التصنيفات ولكنها مكملة لبعضها البعض كما أشرنا في البداية.

ويرصد الفصلين الرابع والخامس الأدوار والآثار والمظاهر الفعلية لعولمة الإعلام السياسي في الوطن العربي على المستويين الايجابي والسلبي. فيختص الفصل الرابع بتعريف العولمة السياسية ويضع خطاً فاصلاً بين العولمة والهيمنة. ويعتبر الهيمنة (أيديولوجيا العولمة). ثم يشير إلى أبعاد العلاقة بين الإعلام والسياسة في عصر العولمة موضحاً موقف الإعلام العربي من العولمة السياسية. والأدوار التي يقوم بها الإعلام في العصر العولمي. والآثار الايجابية للعولمة على الإعلام السياسي في الوطن العربي: تزايد النفوذ الإعلامي في صنع السياسة الداخلية والخارجية. بروز الإعلام العربي لأول مرة كأحد المصادر الموثوق بها في المجال العسكري. كشف الحقائق وإفشاء الأسرار وفضح القوى السياسية أياً كان مستواها. إمكانية أن تصبح وسائل الإعلام البديل الأسهل للممارسة الديمقراطية. تبوأ الإعلام موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات التي تستهدف

إعادة بناء المجتمعات المعاصرة، فشل أسطورة حرية الإعلام الغربي في الحرب، تطوير المهارات المهنية للإعلاميين العرب، التطور التكنولوجي وما صاحبه من زيادة وتنوع الإنتاج الصحفي والإعلامي والمعرفي بشكل عام.

أما الفصل الخامس فقد خُصص للأدوار والآثار السلبية لعولمة الإعلام السياسي فرصد خمسة أدوار رئيسية هي: توظيف الإعلام في زعزعة الدولة القومية لصالح قوى العولمة، توظيف الإعلام في تفتيت النسق الاجتماعي وخلق أزمة الهوية، توظيف الإعلام في تغريب الإنسانية، توظيف الإعلام في إثارة الخلافات بين الدول، استخدام الإعلام كأداة رئيسية في الحرب. أما على مستوى المظاهر أو الآثار السلبية لعولمة الإعلام السياسي فقد شملت عشرة مظاهر رئيسية هي .. دخول الإعلام في شراكة رئيسية ضمن مكونات السياسة الحديثة، صعوبة معرفة المصدر الأول في الأخبار السياسية، تزايد صعوبة تحديد الموضوعية في الإعلام العولمي، تراجع مكانة المراسل على حساب وكالات الأنباء العالمية، تكريس التبعية الإعلامية لصالح هيمنة الإعلام الغربي، التوسع في عملية توظيف الإعلام لتحقيق أغراض سياسية شاملة واختفاء (الحيادية) من القاموس الإعلامي بالتطبيق على نماذج الإعلام الأمريكي والبريطاني والعربي، تقييد حرية التعبير وإحكام الرقابة على الرغم من إدعاء العولمة عكس ذلك، سيطرة المعايير السياسية على المهنية والتضحية بالدقة، تهديد حرية الصحافة والإعلام ونقل المعلومات، تحول الإعلام الأمريكي إلى إعلام دعائي غارق في مستنقع الساسة الكذب.

ويحاول الفصل السادس تفسير إشكالية التناقض الذي وقعت فيها وسائل الإعلام العربية تجاه قضية العولمة على اعتبار أنها تهاجم العولمة على لسان بعض ضيوفها، بينما تعمل أصلاً على نشر ثقافة العولمة وترسيخ قيمها في معظم برامجها، وفي سبيل ذلك يرتب الفصل عناصره على النحو التالي : إشكالية التناقض في سياسة الإعلام العربي تجاه العولمة، تحديد مفهوم إعلام العولمة، تحديد مفهوم عولمة الإعلام، سمات الإعلام في عصر العولمة . إقامة الدليل علي عولمة الفضائيات العربية (المظاهر)، آثار ومخاطر ثقافة العولمة التي تبثها الفضائيات العربية علي المجتمع العربي، أسباب ازدواجية الدور الذي تقوم به الفضائيات العربية نحو العولمة وكذلك ازدواجية المشاهد العربي في تعامله مع ثقافة العولمة، وفي النهاية مدي قدرة الإعلام العربي في النهوض بالمجتمع في ظل العولمة وأي النماذج الإعلامية ملاءمة لمواجهة ثقافة العولمة وتحصين العقل العربي ؟.

د. صابر حارص

الفصل الأول

المحددات التاريخية والمفهوماتية للعولمة

المحددات التاريخية للعولمة

ثمة ملاحظتان أساسيتان يجب التنويه إليهما عند الحديث عن نشأة العولمة:

١/ لم يظهر على وجه الدقة متى ظهر مصطلح العولمة، و أول من استخدمه في الغرب، وأول من قام بتعريبه وإدخاله إلى العربية.

٢/ التداخل بين العولمة كفكرة قديمة وظاهرة ليست حديثة، والعولمة كنظرية وتيار واتجاه وأيديولوجيا ولدت من رحم الحداثة واستمرت إلى ما بعد الحداثة، والعولمة كمصطلح حديث لم يكن له وجود قبل التسعينات من القرن العشرين.

أما عن الملاحظة الأولى فإنه يمكن الاستناد على أول مرجع أجنبي في العولمة لرونالد روبرتسون Robertson والذي تناول فيه التخطيط للوضع العالمي وركز على العولمة كمفهوم مركزي لذلك[١] وقد أشار أحمد زايد إلى أن روبرتسون يعتبر من أوائل الذين روجوا لفكرة العولمة وصاحب تصور تاريخي مُعتبر لمراحل العولمة[٢] أما على المستوى العربي فإن معظم الكتابات تشير إلى أن سمير أمين هو أول من صاغ مصطلح العولمة بالعربية وهو ينظر إليها على أنها أقصى تطور للفكر الرأسمالي الذي مر بمراحل ثلاث انتهت بالمرحلة التي يُسميها سمير أمين بالرأسمالية المُعولمة[٣].

وأما عن الملاحظة الثانية فيمكن إزالة التداخل والاختلاف حول نشأة العولمة والتأريخ لها وفقا لثلاثة زوايا أو أبعاد:

أ- العولمة كفكرة قديمة أو ظاهرة ليست حديثة

ويوجد بهذا الخصوص عدة اتجاهات:

الاتجاه الأول:

يرى أنها قديمة قدم الحضارات ويستند على أن المجتمعات عرفت عبر تاريخها صوراً لما يُسمى العولمة، فكل حضارة كان لها بشكل أو بآخر طموح عالمي، بل إن تاريخ العالم ما هو إلا تتابعات لصور صغيرة من العولمة فقد حاولت كل إمبراطورية عبر التاريخ تضم كيانات، فعلت ذلك الإمبراطورية الإغريقية أيام الإسكندر الأكبر وفعل ذلك الرومان والمسلمون، وفي العصر الحديث الأسبان والبرتغاليون ومن بعدهم الانجليز والأمريكيون، ولكن العولمة الحالية تتخذ طابعاً مختلفاً مع المحاولات السابقة، فلقد كانت الأنساق السياسية والاجتماعية للإمبراطوريات القديمة أنساقاً

تقليدية تعتمد على مركزية السلطة وتركز القوة مع انعزال الجماعات المحكومة في مجتمعات تقليدية منعزلة ومكتفية بذاتها ومنكفئة عليها[٤] وفى الاتجاه نفسه يرى الخضيرى أن جذور العولمة ترجع إلى فتوحات الفراعنة القدماء سواء في رحلاتهم إلى بلاد "بونت" الصومال أو إلى بلاد الفينيقيين "الشام حاليا" أو في غزوهم للمجهول البعيد الشاسع كما تدل عليه آثارهم في الأمريكيتين ووصولهم إليها قبل غيرهم بآلاف السنين[٥] إن استقراء التاريخ يثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن المصريين القدماء هم أول من تبنى فكرة العولمة وسعى إلى تحقيقها. فقد نشأت العولمة فرعونية الطابع ؛ لأن مصر الفرعونية كانت مركز الكون ومنارة الإشعاع الحضاري للعالم منذ أكثر من سبعة آلاف عام كما كانت مركزاً تجارياً واقتصادياً وحضارياً للعالم المعروف في ذلك الوقت[٦]. إلا أن عولمة الفراعنة كانت تختلف بالتأكيد عن العولمة الحالية التي اكتسبت أدواراً وأبعاداً جديدة.

وفى هذا الاتجاه أيضاً هناك من يرى أن الإمبراطورية الآشورية هي أول مشروع للعولمة وهناك من يرى أن العولمة تعود إلى فكرة المدينة أو الدولة في الفكر اليوناني الأفلاطوني[٧]. بينما يرى آخرون أن الحضارة الإسلامية هي بداية العولمة الحقيقية[٨].

الاتجاه الثاني :

يرى أيضاً أن ظاهرة العولمة قديمة ولكن عمرها خمسة قرون فقط ترجع إلى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر – زمن الكشوف الجغرافية والنهضة الأوربية الحديثة – إذ أن العالم في ذلك الوقت عرف العناصر الأساسية في فكرة العولمة وهى ازدياد العلاقات المتبادلة بين الأمم سواء المتمثلة في تبادل السلع والخدمات أو في انتقال رؤوس الأموال أو في انتشار المعلومات والأفكار[٩] ولكن ليس بدرجة الحرية والسهولة والسرعة التي أتاحتها عولمة التسعينات من القرن العشرين.

الاتجاه الثالث :

يرى أن مشروع "العولمة" مشروع غربي صرف من إنتاج حملة نابليون منذ عام ١٧٩٨ وله سوابقه الصليبية والاستشراقية ولواحقه الاستعمارية ومن ثم فهو مصطلح أنتجه الغرب ورتب آلياته على ضوء عوائد فكرية ومادية تكرس وجوده وهيمنته وتحقق مصالحه. وبالتالي فهو مصطلح لا جديد فيه أكثر من إعادة ترميم وهيكلة. وتداوله يهم بالدرجة الأولى دول الغرب من الدرجة الثانية التي تخشى مخاطر إستراتيجية وثقافية من هيمنة وانفراد الولايات المتحدة بإدارة شئون العالم[١٠].

ب- العولمة كتيار فكرى أيديولوجي ولد من رحم الحداثة وتخطاها إلى مابعد ها واختلف عنهما يؤرخ هذا التيار للعولمة ببداية الحداثة كأيدولوجيا بزغت في أوربا ابتداءً من القرن السادس عشر وجاءت مع الكشوف البرتغالية والإصلاح الديني والنهضة العلمية والثورة الصناعية. وهى لم تكن حداثة إنتاج وفكر فحسب. بل كانت ثورة استهلاكية رافقت الحداثة وما بعد الحداثة وتنامت مع نمو الحداثة وما صاحبها من توسعات استعمارية عبر الزمن[١١].

إلا أن العولمة وفقاً لهذه الايدولوجيا مرت بخمس مراحل. انتهت الأولى عند منتصف ١١٢١ القرن الثامن عشر والثانية عند ١٨٧٠ بداية الاستعمار وظهور فكرة القومية والعالمية. وانتهت الثالثة عند ١٩٢٠ مع إدماج عدد أكبر في المجتمعات الدولية. وانتهت الرابعة عند ١٩٧٠ مرحلة تفاقم حدة الصراع من أجل الهيمنة العالمية بين أقطاب متعددة في البداية انتهت بقطبين رئيسيين هما الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. ثم المرحلة الخامسة مرحلة ما بعد الحداثة من أواخر السبعينات وحتى الآن(١٢).

وهذه المرحلة من وجهة نظري يمكن التمييز فيها بين مرحلتين؛ مرحلة فكر المصطلح دون ظهوره. ومرحلة ظهور المصطلح Globalization نفسه مع بداية التسعينات من القرن العشرين.

مرحلة فكر المصطلح أو ميلاد المصطلح

وتشمل فترة السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين التي انتهت فيها الحرب الباردة بين القطبين الرئيسيين في العالم الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وانتهت بتفكك الأخير(١٣) وظهرت فيها العولمة كمفهوم في أدبيات العلوم الاجتماعية كأداة تحليلية لوصف عمليات التغير في مجالات مختلفة(١٤) وتجسيد للتطورات الحياتية والفكرية التي شهدتها الإنسانية في المرحلة الأخيرة وهى بذلك تختلف عن الحداثة. إذ أن العولمة أزالت الحدود الجغرافية التي سبق وأن شيدتها الحداثة(١٥).

وبغض النظر عن طبيعة التغيرات أو التطورات ما إذا كانت ايجابية أو سلبية. إلا أن هذه التغيرات أو التطورات ظهرت في البداية على أنها ثقافية اجتماعية بالمفهوم الشامل للمعنى الثقافي الاجتماعي. وقد استمر هذا الوصف طوال حقبة السبعينات على أساس أن الثقافة بمعناها الشامل هي التي تمثل المحتوى الإعلامي الذي يتم تناقله عبر الأفراد والمجتمعات بسرعة مذهلة بسبب تقدم وسائل الاتصال والإعلام والمعلومات حتى أن مقولة العالم أصبح قرية واحدة باتت من أكثر المقولات ترديداً ليس فقط في المجال الإعلامي بل في المجالات الأخرى أيضاً.

وتكيداً لهذا يرى المؤرخون للعولمة أن مصطلح العولمة كان أول من أطلقه معرفياً عالم السوسيولوجيا الكندي **مارشال ماك لوهان** أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية في جامعة تورنتو عندما صاغ في نهاية الستينات مفهوم القرية الكونية(١٦) في كتابه: **الحرب والسلام في القرية الكونية** حيث ركز في هذا الكتاب (على دور التطورات الواسعة في وسائل الاتصال في تحويل العالم إلى قرية كونية واحدة)(١٧). وقد تبنى هذه الفكرة بعده **زبغينو بريجينسكى** الذي أصبح فيما بعد مستشاراً للرئيس الأمريكي في عهد كارتر (١٩٧٧-١٩٨٠) وعمل على تقديم أمريكا التي تمتلك ٧٥٪ من مجموع الاتصالات العالمية **"نموذجا كونياً للحداثة"**(١٨). طالما كانت هي الموزع العالمي الرئيسي للثورة الالكترونية **"ما بعد الصناعية"** وطالما كان للمجتمع الأمريكي التأثير الأكبر في كل المجتمعات الأخرى و التشجيع على عملية تحول كبيرة بعيدة المدى في نظرتها وقيمها(١٩).

وقد تعمق هذا المعنى خلال عقد الثمانينات مع تصاعد التطورات التكنولوجية في مجالات الاتصال والإعلام والمعلومات وتزاوجها فيما بينها حتى انهيار الاتحاد السوفيتي والدعوات التقاربية التي أطلقها جورباتشوف مع الولايات المتحدة الأمريكية في كتابه "إعادة البروستريكا" مما أضفى على العولمة طابعا فلسفيا ايدولوجيا ظهر بوضوح في كتابات فوكوياما "**نهاية التاريخ**" ١٩٨٩ ومقال هنتجتون "**صدام الحضارات**" وهى كتابات يغلب عليها التحيز أو التمني الايديولوجي لتظل الولايات المتحدة الأمريكية القوة الأعظم الوحيدة لخدمة مصالحها ومصالح الصهيونية في العالم.

مرحلة ظهور المصطلح وتداوله وانتشاره

ومع تحول غالبية الدول الشيوعية إلى الرأسمالية والتواجد الأمريكي في الخليج خلال عقد التسعينات وتشويه مصطلح النظام العالمي الجديد وتحويله إلى حالة من الفوضى التي عمت العالم كان لا بد من ظهور مصطلح آخر يتخفى وراء الاقتصاد والثقافة في بداية الأمر ثم يظهر كفلسفة أو نظرية شاملة وثيقة الصلة بفكر التبعية الشاملة تكنولوجيا وسياسيا واقتصاديا وثقافيا وإعلاميا.

إلا أنه يمكن التفكير في أن مصطلح Globalization قد سبق ظهور مصطلح النظام العالمي الجديد على أساس أن الأخير يمثل البعد السياسي للعولمة[٢٠].

وبالتالي ظهر مصطلح Globalization قبل أغسطس من عام ١٩٩٠ بداية إطلاق مصطلح النظام العالمي الجديد على لسان بوش الأب الرئيس الأمريكي الأسبق في الخطاب الذي وجهه إلى الأمة الأمريكية بمناسبة إرسال القوات الأمريكية إلى الخليج (بعد أسبوع واحد من نشوب الأزمة في أغسطس ١٩٩٠)[٢١].

وإذا كان هذا التفكير قد بني منطقه على أساس أن العولمة هي الفكر العام والنظام العالمي الجديد هو أحد أبعاد هذا الفكر العام (البعد السياسي) فإن هذا المنطق غير صحيح بالمرة. إذ أن النظام العالمي الجديد هو فكر عام أيضا يتعلق بكل مجالات الحياة الإنسانية وله مضامين سياسية وعسكرية واقتصادية وثقافية وقانونية وعلمية وغيرها[٢٢].

وعلى هذا الأساس فإن الأرجح هو أن يكون مصطلح Globalization لاحقاً لمصطلح New World Order وبغض النظر عن تحديد ظهور المصطلح فهناك من يرى أن البداية الحقيقية للعولمة ترجع إلى عام ١٩٩٥ فقط حينما وجه الرئيس السوفيتي السابق جورباتشوف الدعوة إلى خمسمائة من قادة العالم في مجال السياسة والمال والاقتصاد في فندق فيرمونت الشهير في سان فرانسيسكو لكي يُبينوا معالم الطريق إلى القرن الحادي والعشرين. وقد اشترك في هذا المؤتمر المغلق أقطاب العولمة في عالم الحاسوب والمال وكهنة الاقتصاد الكبار وأساتذة الاقتصاد في جامعة ستانفورد وهارفارد وأكسفورد إضافة إلى الرئيس الأمريكي بوش الأب ووزير خارجيته شولتز

ورئيسة الوزراء البريطانية مارجريت تاتشر وغيرهم[٢٣] ويستند هذا الرأي إلى ظهور أول نظام تجاري دولي مُلزم للأقطار المنضوية تحت لوائه في شهر نسيان عام ١٩٩٥. حيث أعلن عن إنشاء (المنظمة العالمية للتجارية W.T.O) بمدينة مراكش المغربية والتي تعتبر امتداداً لاتفاقية الجات (الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة) والتي أنشئت عام ١٩٤٨[٢٤].

وباعتقادي الخاص- تعقيبا على ما سبق- أن هناك إعادة إنتاج لفكرة الهيمنة والسيطرة و الغزو من وقت لآخر بمسميات مختلفة سواء من منتصف القرن العشرين أو حتى من عشرينياته كما ذهب المؤرخون (عصبة الأمم- الأمم المتحدة- البنك الدولي – صندوق النقد الدولي - النظام العالمي اقتصادي أو إعلامي ..الخ – النظام العالمي الجديد – العولمة) وحينما يؤدى مصطلح العولمة دوره وتضعف فاعليته ستظهر مصطلحات أخرى لتلعب الدور من جديد بما يدعو إلى احترام نظرية المؤامرة دون الارتكان عليها كعامل أساس في تفسير الضعف العربي والإسلامي.

المحددات المفهوماتية للعولمة :

أربعة اعتبارات أساسية يجب مراعاتها لإزالة اللبس في مفهوم العولمة:

١/ مراعاة الفارق بين المعنى اللغوي والمعنى الفعلي أو الحركي على الأرض ويتصل به اعتبار آخر يفرق بين العولمة والعالمية.

٢/ مراعاة التداخل بين المفاهيم والمواقف. فمعظم مفاهيم العولمة تعكس إما تأييداً أو معارضة لها.

٣/ مراعاة التداخل بين العولمة والأمركة.

٤/ مراعاة أن العولمة ليست عولمة واحدة. وإنما هناك عولمات عديدة ومتداخلة مع بعضها البعض ويجب تصنيفها وفقا لأكثر من معيار أو بعد.وفى هذا الإطار يتضح أن هناك تعريفات عامة وشاملة وأخرى ركزت على جانب أو بعد واحد.

الاعتبار الأول: الفرق بين العولمة والعالمية (المعنى اللغوي والمعنى الحركي)

ثمة غموض في فهم مصطلح العولمة نشأ من التداخل بين معناها اللغوي في القواميس الفرنسية Mondialisation والإنجليزية Globalization وبين معناها الملموس، لأن المعنى اللغوي يكسبها طابعاً إيجابياً حيث يجعلها مرادفة للعالمية[٢٥]. بينما ما يجرى على أرض الواقع يختلف عن ذلك؛ فالعالمية إثراء للهوية الثقافية وطموح للارتقاء بالخصوصية إلى مستوى عالمي، أما العولمة فهي إرادة للهيمنة وقمع للخصوصية واحتواء للمحلية.وهو ما ركزت عليه المفاهيم الملموسة للعولمة[٢٦].

وإذا كان مجمع اللغة العربية بالقاهرة – أعرق المجامع العربية وأقدمها - قد آثر السلامة وقرر إجازة استعمال العولمة بمعنى جعل الشيء عالمياً دون أن يُشير إلى الخلط الذي يمكن أن يحدث بين العولمة والعالمية مقلداً في ذلك معجم ويبستر الدولي الجديد Third New International Dictionary WEBSTER.

الذي يرى أن Globalization تعنى إكساب الشيء طابع العالمية[٢٧]. فإن الدكتور / أحمد صدقي الدجاني المؤرخ والمفكر الفلسطيني المعروف قد أوضح ذلك ببراعة عالية حينما قال أن العولمة مشتقة من الفعل عولم على صيغة فوعل واستخدام هذا الاشتقاق يفيد أن الفعل يحتاج لوجود فاعل يفعل، أي تفيد وجود فعل قصدي وراء ظاهرة العولمة يستهدف تحقيق غايات وأهداف محددة من هذا الفعل ويقابل ذلك صيغة Zation في الإنجليزية على خلاف صيغة ISM في كلمة Globalism التي تعنى العالمية[٢٨] أي أن العولمة تحتاج لمن يعممها على العالم في إشارة إلى أن التحول إلى العالمية لم يتم نتيجة ارتقاء وإثراء ولكنه سيتم نتيجة قمع وقهر وفرض وإملاء وضغوط وتزييف وخداع وتضليل وغيره مما يقوم به الفاعل في المفعول به.

وفي نفس الاتجاه فسر محمد عابد الجابري المفكر المغربي جملة "جعل الشيء على مستوى عالمي" أي نقله من الحدود المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة، والمحدود هنا هو أساساً الدولة القومية التي تتميز بحدود جغرافية وديموغرافية صارمة تحفظ كل ما يتصل بخصوصية الدولة وتفردها وتميزها عن غيرها، إضافة إلى حماية ما بداخلها من أي خطر أو تدخل خارجي سواء تعلق الأمر بالاقتصاد أو بالسياسة أو بالثقافة. أما اللامحدود فالمقصود به العالم أي الكرة الأرضية[٢٩] أي أن العالمية هنا بمعنى العولمة تتضمن معنى إلغاء حدود الدولة القومية في المجال الاقتصادي والمالي والتجاري والسياسي والثقافي وترك الأمور تتحرك في هذا المجال عبر العالم وداخل فضاء يشمل الكرة الأرضية جميعها، ومن هنا تأتى أهمية طرح مصير الدولة القومية، الدولة، الأمة في زمن تسوده العولمة وتتعاظم فيه نحو إلغاء الحدود والسيادة.

الاعتبار الثاني: اختلاف المفاهيم باختلاف المواقف (التداخل بينهما)

لم يكن موقف الغرب نفسه من العولمة مؤيداً على طول الخط؛ بل تضمنت أدبياته مفاهيم إيجابية وأخرى سلبية؛ فقد عرفها التيار المؤيد بأنها لحظة التتويج الكبرى للنظام الرأسمالي على المستوى الكوني[٣٠]. بينما عرفها التيار المعارض بأنها تجسيد للدرجات العليا في علاقات الهيمنة/ التبعية الإمبريالية[٣١] ثم جاءت التعريفات العربية على نفس النهج، فالبعض اعتبرها مذهباً فكرياً جديداً يجب الاستفادة منه والبعض الآخر اعتبرها نمطاً استعمارياً جديداً وصورة جديدة من صور الهيمنة الأمريكية على العالم[٣٢]. وتوضيحاً لما سبق يمكن عرض مجموعة من التعريفات المؤيدة للعولمة الراصدة لإيجابياتها، وأخرى معارضة راصدة لسلبياتها، وثالثة محايدة لا تتضمن مواقف، إذ أن التناقض والتضارب والاختلاف بين هذه التعريفات والمواقف لعب دوراً أساسياً في غموض المصطلح وجعل من الصعب الاتفاق على تعريف محدد للعولمة.

المفاهيم المؤيدة للعولمة عربياً و أجنبياً

- العملية التي يتم بمقتضاها إلغاء الحواجز بين الدول والشعوب، والتي تنتقل فيها المجتمعات من حالة الفرقة والتجزئة إلى حالة الاقتراب والتوحد، ومن حالة الصراع إلى حالة التوافق، ومن حالة التباين والتمايز إلى حالة التجانس والتماثل، وهنا يتشكل وعي عالمي وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية عامة[٣٣].

▪ عملية تقارب بين المجتمعات والثقافات والمؤسسات والأفراد على مستوى العالم بشكل سريع ومعقد وغير ثابت على نمط واحد. وعملية تطوير لعلاقاتنا الاجتماعية اليومية من المستويات المحلية إلى المستويات العالمية ولذلك فهي تتضمن ضغطاً للوقت والمسافة لجعل العالم صغيراً والبشرية أقرب لبعضها البعض(٣٤).

▪ عملية التقارب والاتصال والانفتاح التي اكتسبتها العلاقات الاجتماعية على مستوى العالم وظاهرة الاعتماد المتبادل بين الشعوب التي باتت تشكل أهم خصائص حياة الناس في تفاعلاتها ومعاملاتها التي تبدو كما لو كانت تحدث في بقعة واحدة أو مكان واحد بلا حدود أو مسافات(٣٥).

▪ إزالة الحدود الاقتصادية والعلمية والمعرفية بين الدول ليكون العالم أشبه بسوق موحدة كبيرة يضم عدة أسواق ذات خصائص ومواصفات تعكس خصوصية أقاليمها كما تعكس المتطلبات التي يفرضها التكامل الاقتصادي(٣٦).

▪ التعاون الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم والذي يُحتمه ازدياد حجم التعامل بالسلع والخدمات وتنوعها عبر الحدود إضافة إلى تدفق رؤوس الأموال الدولية والانتشار المُتسارع للتقنية في أرجاء العالم كله(٣٧).

▪ خطوة مهمة نحو عالم أكثر استقراراً وحياة أفضل للناس(٣٨).

▪ الاتجاه العالمي نحو الارتباط المتزايد للشعوب (الناس، البضائع، الأماكن، رأس المال)(٣٩).

▪ ترسيخ عالمي للهويات المحلية(٤٠).

يلاحظ هنا أن العولمة - وفقا لهذه التعريفات – مليئة بالخير ولا يترتب عليها أي أضرار فهي على المستوى الاقتصادي تعاون وتكامل متنامي لكل الدول وتدفق رؤوس أموال، وعلى المستوى الاجتماعي تقارب وتفاعل وتطوير في العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والمؤسسات والمجتمعات واعتماد متبادل بينهما وحياة أفضل وأكثر استقراراً وارتباطاً. وعلى المستوى التكنولوجي والمعرفي هي نشر للتقنية والمعرفة على نطاق واسع ومُتسارع. وعلى المستوى الثقافي هي عملية تقارب بين الثقافات تظهر فيها الخصوصية الإقليمية وترتقي الهوية المحلية إلى العالمية، وعلى المستوى العام فهي توحد بدلاً من الفرقة وتوافق بدلاً من الصراع وتجانس بدلاً من التباين وقيم موحدة تقوم على مواثيق إنسانية.

فأين هذه العولمة؟ وعلى أي أرض تحققت؟ على آسيا التي فشلت تجربة نمورها الاقتصادية لما شهدته من انهيارات في أسواق المال واللعب في البورصة وكانت العولمة سبباً رئيسياً فاعلاً، بل اعتبرتها معظم الكتابات نموذجاً للتأثير المباشر للعولمة المالية في جانبها الشرير (اعترف بذلك أحد رموز العولمة الملياردير "جورج سورش" في شهادته أمام الكونجرس الأمريكي وقال إن أسواق المال بدلاً من أن تتصرف مثل البندول فإنها تصرفت مثل كرة التهديم المعدنية وراحت تقوض دولة تلو الأخرى..) أما على الأرض العربية والإسلامية في أفريقيا وآسيا (العراق وفلسطين وبلاد الشام وإيران والخليج وأفغانستان والسودان والتي تشهد احتلالاً عسكرياً وتدخلاً مباشراً وضغوطاً شاملة وتهديداً مستمراً..) أم على أوربا والدول الفاعلة في العولمة ذاتها كألمانيا وفرنسا

وكندا واليابان والتي يشكو قادتها وشعوبها مر الشكوى من مخاطر العولمة. وحتى داخل الولايات المتحدة نفسها يوجد تيار يحذر من العولمة كما سيتضح فيما بعد.

أي عولمة هذه؟؟؟ إذا كان هناك من يرى أنها عكس ذلك تماماً فهي تُجزيء وتفتت وتقسم وتبتلع وتفرق وتنشر البغضاء والكراهية بين الشعوب نتيجة غياب القيم والمعايير في تطبيق المواثيق. إضافة إلى تزايد الصراعات وحدتها واستخدام القوة العسكرية في حل نزاعات سياسية ونهب للثروات ومحاولات لمحو الآخر وثقافته ووجوده وتوظيف ضار للتكنولوجيا والمعلومات والإعلام ونشر معرفة واحدة لا تناسب الآخر وغيرها من الشرور والمخاطر التي تمر بها البشرية كلها بما فيها الولايات المتحدة نفسها.

المفاهيم المعارضة للعولمة عربياً و أجنبياً

- **سمير أمين:** فكر ليبرالي جديد غير اجتماعي يعمل في إطار عولمة غير مضبطة يغلب عليها طابع الفوضى وتتسم بالخصخصة والانفتاح والصرف العائم وتخفيض مصروفات الدولة وإلغاء التقنين من أجل إطلاق مطلق الحرية لفعل السوق[٤١].
- **إسماعيل صبري عبدالله:** التداخل الواضح لأمور الاقتصاد والاجتماع والسياسة دون اعتداد يذكر بالحدود السياسية للدول ذات السيادة، أو الانتماء إلى وطن محدد أو إلى دولة معينة ودون حاجة إلى إجراءات حكومية[٤٢].
- **صادق جلال العظم:** حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها، وفى ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ[٤٣].
- **الطيب تيزيني يعتبرها:** الامبريالية في مرحلة سقوط التعددية القطبية القائمة على التناقض والتضاد في الأنماط الاقتصادية والاجتماعية. الامبريالية في عصر المعلوماتية الذي نواجه فيه تحولات جديدة في أشكال الاستغلال والاغتراب الرأسماليين. وهو يرى أن التجسيد الشامل عالميا للعولمة يراد لها أن تبتلع كل الانتماءات والهويات والقيم أوان تمر عبرها[٤٤].
- **جلال أمين:** تعاظم شيوع نمط الاستهلاك الغريزي وتعاظم آليات فرضه سياسياً واقتصادياً وإعلامياً وعسكرياً بعد التداعيات التي نجمت عن انهيار الاتحاد السوفيتي وسقوط المعسكر الشرقي. وهى عولمة نمط معين من الحياة شاع الاعتقاد بضرورة تبنيه وإتباعه[٤٥].
- **عالم الاجتماع الألماني أولرش بيك** في كتابه "الحداثة الثانية وعصر المعلومات" يرى أنها نزعة فردية أخذت في تغيير كثير من ملامح الحياة بجميع أشكالها ومن أهمها تحطيم الاقتصاديات القومية وعدم انسجام مشكلات البيئة والمناخ مع ما يطرح اليوم من مفاهيم ومخططات[٤٦].
- **روبرت ريخ** وزير العمل الأمريكي الأسبق في صحيفة هيرالد تريبيون Herald Tribune في ١٠ يناير اعتبرها تكريساً لعدم المساواة ومضاعفة فقر الفقراء وغنى الأغنياء داخل الولايات المتحدة نفسها. وحذر الأمريكيين من الانسياق الكلى ورائها[٤٧].
- **ايجناشيور امونى** مدير جريدة لوموند الدبلوماسية الشهيرة وصفها بالإنجيل النيوليبرالى الذي مكن سادة العالم من القيام بأعمالهم بكل أريحية تحت شعارات التبادل الحر والتنافس والإنتاجية والخصخصة وغيرها[٤٨].

▪ المرحلة الأخيرة في تاريخ الاستعمار الغربي. إذ أن الخطاب الثقافي العالمي للاستعمار يميل إلى تهيئة المسرح لاستقبال العولمة(٤٩).

وبتأمل ما سبق يتضح أن العولمة- من وجهة نظر المعارضين- تؤدى إلى الفوضى وغياب التقنين وإطلاق مطلق الحرية بلا ضوابط وعدم مراعاة البعد الاجتماعي في الاقتصاد أو السياسة أو غيرها. وهى لا تقيم وزناً للحدود السياسية أو السيادة القومية أو الأنظمة والحكومات. وتسعى إلى ابتلاع كل الانتماءات والهويات والقيم وتؤدى إلى تناقضات وتضادات حادة بين الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية. وهى تحولاً رأسمالياً هو الأسوأ من نوعه في فرض نمط الاستهلاك والحياة الغربية بكل الطرق حتى العسكرية وهي الاعتماد غير المتكافئ في رأس المال والبشر والسلع والخدمات والأفكار والمعلومات والمعرفة والثقافة بشكل عام، وأساليب جديدة في استغلال البشر وإصابتهم بالاغتراب داخل أوطانهم وفى عقر ديارهم. وتكريس للفردية وعدم المساواة ومضاعفة الفقر وتزايد الفجوة بين الأغنياء والفقراء أكثر من ذي قبل. وتحطيم للاقتصاديات القومية وإهمال لقضايا البيئة والمناخ عكس ما يدعيه مؤيدوها. وهى في النهاية آخر مراحل الاستعمار و تخدم سادة العالم بجهد أقل وتكاليف أقل من ذي قبل تحت شعارات تحمل في ظاهرها الرحمة وفى باطنها العذاب (التبادل الحر والتنافس الشريف والإنتاجية والخصخصة وغيرها).

المفاهيم العربية و الأجنبية التي لا تتضمن مواقف نحو العولمة

وهى مفاهيم قد تُسعف في فض الاشتباك بين التعريفات المختلفة على أساس أن المفاهيم يجب أن تكون محايدة ولا تحمل موقف. وبالتالي فإن ما تقدم هو مواقف من العولمة وليس مفاهيم لها. إلا أن المنهج العلمي يجب ألا يصطدم مع الواقع ولا يُوظف في التضليل والخداع وإلحاق الأذى والضرر والخراب والتدمير. بل يجب أن يكون الباحث في قضايا مثل العولمة باحثاً ايدولوجياً (مفكرا وليس متحيزاً) وبالتالي فإن المفاهيم التي ذكرت ايجابيات العولمة فقط تنم عن جهل أو مغالطة أو قلب للحقائق. ولا تمت لواقع العولمة بأي صلة من قريب أو بعيد ويمكن أن نُطلق عليها "العولمة المُضادة" أما المفاهيم التي تخلو من الآثار الضارة للعولمة (محايدة) فهي مفاهيم تتسم بالنقص وإخفاء جانب كبير من الحقيقة.

وفيما يلي عرضاً للمفاهيم المُحايدة:

▪ عملية واحدة لها آليات مشتركة وأهداف متقاربة وتحركها قوى رئيسية متضافرة بشكل أو بآخر وجاءت في ظل وجود مؤسسات ذات طابع عالمي سواء في المجالات الاقتصادية أو على الصعيدين الاجتماعي أو الثقافي(٥٠).

▪ العملية التي تحمل إرهاصات اقتصادية وسياسية وعسكرية وتفرض انتقال غير مسبوق للسلع والأفكار والتقنيات عبر الحدود والمحيطات(٥١).

▪ سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني(٥٢).

▪ الاندماج المتسارع للاقتصاد العالمي عبر التجارة وتدفق رؤوس الأموال وانتقال التكنولوجيا وشبكات الاتصال وتيار التثاقف(٥٣).

- تبادل شامل بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية بأكملها[٥٤].
- نموذج للقرية الكونية التي تربط بين الناس والأماكن ملغية المسافات وبدون قيود[٥٥].
- الأساليب التي ترتبط بها مجتمعاتنا الحديثة من خلال الشبكات ومنتجاتها التي تعمل على نطاق العالم كله[٥٦].
- العمليات التي تندمج بها شعوب العالم في مجتمع عولمي واحد[٥٧].
- علاقة بين مستويات متعددة للتحليل (الاقتصاد، السياسة، الثقافة، الايدولوجيا) وتشمل: إعادة تنظيم الإنتاج، تداخل الصناعات عبر الحدود، انتشار أسواق التمويل، تماثل السلع المستهلكة لمختلف الدول، نتائج الصراع بين المجموعات المهاجرة والمجموعات المقيمة[٥٨].
- ارتباط دقيق للغاية لأوضاع العالم ومصائره وأقداره بشكل أكثر من ذي قبل[٥٩].

ومن الملاحظ هنا أن هذه التعريفات تركز على وصف العولمة على أنها عملية لها عناصر- دون أن تشير إلى طبيعة وسمات هذه العملية وأهدافها وآثارها والمواقف منها – فهناك قوى تحرك عملية العولمة في كل الاتجاهات في آن واحد وبمقتضاها يتم سهولة وانتقال وتبادل السلع والأفكار والمعلومات والثقافات والتقنيات وشبكات الاتصال بين الدول على النطاق الكوني، وبمقتضاها يتم أيضا ربط واندماج وتفاعل الأماكن والناس والمجتمعات وحتى مصائرهم ومستقبلهم.

إلا أن هذه التعريفات لم تشر إلى أن التبادل غير متكافئ وغير متوازن وغير أخلاقي لا كماً ولا كيفاً، كما أن سهولة الانتقال تتم في اتجاه واحد تقريباً مع استثناءات بسيطة من الدول الصناعية الغنية إلى الدول الفقيرة، والربط والاندماج يتم بين الأقوياء على حساب الفقراء، والتفاعل البشري والثقافي غير موجود إلا من جانب الأضعف إلى الأقوى أو هو بالأحرى محاكاة وتقليد وليس تفاعلاً وفقاً لمقولة ابن خلدون "جُبل المغلوب على تقليد الغالب" كما أنه من وجهة نظرهم تفاعل بين طرف ذكي قوي وطرف غبي ضعيف، طرف يمتلك وطرف لا يستحق التملك، إنه فرز دقيق بين سيد وعبد، بين منتج ومستهلك، بين من يصنع ومن يستهلك، بين من يؤسس لتقدم علمي سريع وبين من يُراد له أن ينبهر بهذا التقدم ولا يصل إليه، إنه إلغاء للآخر ولكن ليس بالضرورة أن يكون هذا الإلغاء هو الإفناء التام للوجود.

وعليه فإن هذه التعريفات – كما أشرنا في البداية – ليست موضوعية أو مكتملة، بل هي مفاهيم متحيزة وتصب في النهاية في إطار المفاهيم المؤيدة للعولمة بصورة غير مباشرة قد تكون أجدى في خدمة تيارات ومصالح العولمة.

الاعتبار الثالث (العولمة والأمركة)

يرى كثير من الكتاب والمفكرين والمثقفين وحتى الأكاديميين في مختلف التخصصات أن العولمة هي الأمركة، ويقصدون بذلك أن كل ما يجرى الآن على الأرض هو فرض النموذج الأمريكي بكافة

أبعاده وبكافة السبل والوسائل بما فيها القتل والتدمير والاحتلال. وإصرار مستمر على صبغ العالم بنمط الحياة الأمريكية التي تصطدم وتتصارع تماماً مع البنيان النفسي والعقلي لشعوب بقية العالم ومن هنا يكمن الخطر. وقد يكون لوجهة النظر هذه ما يُبررها استناداً على الواقع وهو أبلغ ما يمكن الاستناد إليه كدليل على الحقيقة. وعلى هذا الأساس تعالت أصوات كثير من المعلقين عبر الندوات ووسائل الإعلام والصحف تهكماً على محاولات تعريف العولمة الغير موجودة أصلاً مطالبين بأن تُوضع الأمور في نصابها الحقيقي لتحل كلمة "الأمركة" بدلاً منها مما سبب غموضا أكثر في تعريف "العولمة" وفيما يلي عرضا لوجهات نظر ترى أنه لا فرق بين العولمة والأمركة:

- المعلق الأمريكي الشهير توماس فيردمان في صحيفة هيرالد تريبون Herald Tribune في ١٠ فبراير ١٩٩٧ قال: إن العولمة هي نحن (أي الأمريكيون) داعماً بذلك فرضية المتشككين في الأطروحة كلها والذين يعتبرونها مجرد عملية أمركة للعالم تحت مسميات مخففة[١٠].
- الدكتور/ أحمد عامر(مصري) يراها: إعادة تعبئة وتغليف وتصدير أمريكي لصناعة ولأفكار غريبة سادت في القرن السابع عشر في أوربا وروج لها أنصار المذهب الفردي[١١].
- الدكتور/ محمد الغرباوي (مصري) يرى أنها سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية على العالم[١٢].
- الكاتب الصحفي/ عامر عبد المنعم (مصري) يقول صراحة أن العولمة هي الأمركة. أي أن تحكم أمريكا الكرة الأرضية وبالتالي يتحكم الصهاينة الذين يسيطرون على الإدارة الأمريكية في مقدرات الشعوب والدول.
- الدكتور/ محمد عابد الجابري يراها: تعميم نمط حضاري يخص بلداً بعينه هو الولايات المتحدة الأمريكية بالذات على بلدان العالم أجمع[١٣].

ولإزالة هذا اللبس في التداخل بين العولمة والأمركة يعرض المؤلف لوجهة نظر أخرى ترى أن العولمة ليست بالضرورة أن تكون هي الأمركة. إلا أن الجدير بالذكر هو أن الذين فرقوا بين العولمة والأمركة لم يفصلوا بين الاثنين. بل يمكن أن تستنتج من وجهات نظرهم ما يؤكد على وجود علاقة عضوية بينهما. فالأمركة محاولة هيمنة على العولمة. محاولة توجيه مسار العولمة نحو الطريق الأمريكي. محاولة أمريكية لإدارة العولمة وقيادتها. رؤية خاصة ومفهوم ذاتي ووجهة نظر أحادية في إطار الظاهرة الأعم "العولمة". المخاطر والأضرار التي لحقت بشعوب ودول العالم من السياسات الأمريكية التي استغلت إجراءات وايدولوجيا العولمة استغلالاً ذاتياً وسيئاً.

وفيما يلي تدليلاً على ما سبق:
- محمود أمين العالم من أبرز كتاب اليسار القومي- الذي يفترض أن يتبنى وجهة النظر الأولى- يفرق بين العولمة والهيمنة الأمريكية التي يعتبرها تميزاً ذاتياً داخل هذه الظاهرة الموضوعية (العولمة) وهو لا يستبعد أن تضعف الهيمنة الأمريكية وينتقل مركز العولمة إلى بلد رأسمالي آخر في مرحلة قادمة[١٤].
- صبحي غندور مدير مركز الحوار العربي في واشنطن يرى أن من ضمن أطروحات العولمة هناك

أطروحة أمريكية ترى أن العولمة الآن تحت القيادة الأمريكية التي لا تريد شريكا منافسا حتى ولو كان من داخل المجتمعات الغربية الرأسمالية نفسها، ولذا ترافقت محاولات الهيمنة الثقافية الأمريكية على الشعوب الأوربية مع فترة سقوط الاتحاد السوفيتي، حيث كان ضرورياً من وجهة النظر الأمريكية ألا تبنى أوربا لنفسها - في ظل خطوات الاتحاد الأوربي - عناصر قوة مستقلة ومنافسة للقوة الأمريكية المهيمنة الآن[١٥].

▪ مجموعة من الباحثين يرونها نوعاً من الهيمنة التي تسعى إلى فرض القيم الأمريكية بصفة خاصة والقيم الغربية بصفة عامة وتنميط وقولبة العالم على صورة تخدم المصالح الرأسمالية وخاصة الشركات المتعددة الجنسية[١٦].

▪ ماهر الضبع في أطروحته للدكتوراه يراها محاولة تسييد النظام الرأسمالي بوجه عام والشكل الأمريكي منه بوجه خاص في كافة جوانبه المادية وغير المادية وعلى مستوى العالم أجمع دون اعتبار لأي خصوصيات أيا ما كانت[١٧].

▪ يرفض الدكتور شوقي جلال نسبة العولمة إلى التاريخ الأوربي فقط ويربطها بالحضارات الإنسانية كالفرعونية والصينية واللاتينية[١٨] كما ينفي بول كيندي وهو مؤرخ أمريكي معروف أن تكون العولمة هي الأمركة ويعتبرها حالة تاريخية ناجمة عن تطور عام للبشرية ككل أسهمت فيه جميع حضاراتها وشعوبها[١٩] على عكس ما روجت له كثير من الكتابات الأمريكية وخاصة خطابات وتصريحات الرؤساء الأمريكيين ابتداءً من بوش الأب ومروراً بكلينتون وانتهاءً ببوش الابن وما روجت له نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما.

▪ ومن الملاحظ على ما سبق دون الدخول في تفاصيل المفهوم أن معظم تعريفات العولمة تبنت مواقف مؤيدة أو معارضة أو التزمت الحياد السلبي، ولذا كان من الضروري البحث عن صياغة موضوعية للعولمة ولا تخلو في الوقت ذاته من الإشارة إلى سلبيات العولمة، صياغة مركبة تحمل في نصفها الأول جوهر عملية العولمة، وفي نصفها الثاني مخاطر العولمة، وهي صياغة تتسق مع منهج الكتاب ونماذجه التطبيقية فتُعرف العولمة بأنها: تزايد في حرية وسرعة وسهولة وتأمين نقل وتداول الأفراد والمؤسسات والثقافات والماديات والعلوم دون مراعاة للخصوصيات والهويات والظروف السائدة بكل مجتمع . وتشمل الثقافة هنا: الأفكار والقيم والمبادئ والمعايير والمعتقدات والمعلومات وطرائق التفكير وأنماط السلوك وعمليات التربية والتنشئة[٧٠]. وتشمل الماديات: الخامات والسلع المصنعة والخدمات ورؤوس الأموال والخبرات الفنية والمتطورة وعمليات النقل والتوزيع والاستثمار والإنتاج والمضاربة على مختلف أنواع وأشكال الثروة والأنماط المتقدمة للتكنولوجيا والاتصالات. وتشمل العلوم: البحث العلمي والمناهج والنظريات التي يعتمدان عليها[٧١]. فالعولمة حالة من اللامحدود، اللامراقب، اللاضوابط، اللاحواجز[٧٢] وهي حركة ذات أبعاد شاملة تكنولوجية وحضارية وثقافية وتربوية واقتصادية واجتماعية وسياسية وإعلامية وغيرها[٧٣].

مراجع الفصل الأول

(١) Ronald Robertson, "Mapping the Global condition: Globalization as the central concept" In: Mike Featherstone , Global Culture (London: Sage Publication, ١٩٩٠

(٢) أحمد زايد. عولمة الحداثة وتفكيك الثقافات الوطنية. عالم الفكر. العدد (١) المجلد (٣٢). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. يوليو/سبتمبر٢٠٠٣. ص٩

(٣) عبد الخالق عبد الله. العولمة:جذورها وفروعها وكيفية التعامل معها. عالم الفكر. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب. أكتوبر /ديسمبر ١٩٩٩. ص٥٩.

(٤) أحمد زايد. مرجع سابق. ص٨.

(٥) محسن أحمد الخضيرى. العولمة الاجتياحية. القاهرة: جماعة النيل العربية ٢٠٠٢ . Arab Nile Group. ص٦١.

(٦) لمزيد من التفاصيل راجع: سليم حسن. موسوعة مصر القديمة. الأجزاء من ١- ١٨. القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. ٢٠٠٠.

(٧) ميرفت عبد التواب. " التمسك بالثقافة الإسلامية ". ملحق الأهرام. ١٩٩٩/٥/٢١. ص٢.

(٨) على إبراهيم ' " العولمة بداية ونهاية ". الأهرام. ١٩٩٩/٨/٣. ص١٠.

(٩) يتفق في ذلك جلال أمين في كتابه. العولمة. سلسلة اقرأ رقم ٦٣١. القاهرة: دار المعارف.١٩٩٨ ص ١٣. مع p. ٢١ Ronald Robertson, Ibid

(١٠) حسن الهويل " عولمة أم أمركة " ؟ سلسلة كتاب المعرفة (٧) نحن والعولمة من يربى الآخر الرياض: وزارة التربية والتعليم.أكتوبر١٩٩٩ ص ١٣٥.

(١١) انظر Don Slater , Consumer Culture and Modernity , Cambridge: Polity Press, ١٩٩٧

(١٢) رونالد روبرتسون. العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية. ترجمة أحمد محمود ونورا أمين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ١٩٩٨.ص ١٣٢- ١٣٤.

(١٣) محسن احمد الخضيرى. مرجع سابق. ص٦٧.

(١٤) السيد ياسين. مفهوم العولمة. مجلة المستقبل العربى.. العدد ٢٢٨. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. فبراير ١٩٩٨. ص٦.

(١٥) رونالد روبرتسون. العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية. ترجمة أحمد محمود ونورا أمين. مرجع سابق.ص ١٣٢- ١٣٤.

(١٦) سيار الجميل. تعقيب على بحث السيد ياسين "مفهوم العولمة" في: أسامة الخولي (محرر). العرب والعولمة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٨ ص ٣٩.

(١٧) طلال عتريس. حول العولمة. مجلة شؤون الشرق الأوسط. بيروت. مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق. العدد٧١. نيسان ١٩٩٨. ص٤.

(١٨) سيار الجميل. مصدر سابق.

(١٩) زبيغنيو برجسكى. بين عصرين: أمريكا والعصر الالكتونى. ترجمة وتقديم محجوب عمر. بيروت. دار الطليعة. ١٩٨٠. ص٤٢.

(٢٠) عبد العظيم حماد. الاتجاهات المضادة للعولمة. سلسلة كتاب المعرفة (٧) نحن والعولمة من يربى الآخر. مرجع

سابق، ص١٤٩.

(٢١) عبد الوهاب المسرى، النظام العالمي الجديد: عولمة الالتفاف بدلاً من المواجهة،سلسلة كتاب المعرفة (٧) نحن والعولمة من يربى الآخر، مرجع سابق، ص٥٩.

(٢٢) أنظر تفصيلاً لذلك في: صابر حارص، أيديولوجية الصحافة العربية والنظام العالمي الجديد، (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦).

(٢٣) هانس بيتر مارتين و هاران شومان' فخ العولمة: الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية، ترجمة عدنان عباس على، سلسلة عالم المعرفة، العدد ٢٣٨، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآدب، أكتوبر١٩٩٨، ص٩-١١.

(٢٤) محسن احمد الخضيرى، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠١.

(٢٥) انظر: أحمد الجميلي، أوهام التنمية العربية: صورة الاختلالات في هياكل الإنتاج وتركيب التجارة الخارجية، مجلة شئون سياسية، العدد الأول، يناير ١٩٩٤، ص٣١.

وحسين علوان حسين، العولمة الثقافية العربية، المؤتمر الرابع لكلية الآداب و الفنون، "الثقافة العربية بين الخصوصية والعولمة"، جامعة فيلادلفيا بالأردن، ١٩٩٨.

(٢٦) محمد عابد الجابري، العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات، ورقة مقدمة إلى ندوة: "العرب والعولمة"، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص١٨-٢٠، ديسمبر ١٩٩٧، ص٣.

(٢٧) David Rothkop, in Praise of Culture Imperialism ? Effects of Glopalization,ForienPolicy,June٢٢,P.٧

(٢٨) أحمد صدقي الدجاني، مداخلة قدمها في ندوة العرب والعولمة، مرجع سابق، ص٦٢.

(٢٩) محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨ ن ص١٣٧.

(٣٠) انظر:

-Peter Golding, Phil Harris, Beyind Wltural Impevalism Sage, London, ١٩٩٧, pp. ٤٩-٥٠.

(٣١) Ibid, pp. ٥١-٥٢.

(٣٢) انظر:-طيب تيزينى، محور العولمة وقضايا الهوية، مجلة النهضة، العدد ١٤، ربيع ١٩٩٨.

-طيب تيزينى، العرب والعولمة،مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٨، فبراير ١٩٩٨.

(٣٣) أحمد عباس البديع، ظاهرة العولمة: جذورها التاريخية وتداعياتها المعاصرة، مجلة النيل، العدد ٧٢، القاهرة: الهيئة العامة للاستعلامات، ١٩٩٩، ص١١.

(٣٤) John Tomlinson, Cultural Globalization and Cultural Imperialism, in ALI MOHAMMADI (ed) international Communication and Globalization,(LONDON: Sage Publication, ١٩٩٧, p.١٧٠

(٣٥) أحمد عباس البديع، مرجع سابق، ص١٢.

(٣٦) بثينة حسنين عمار العولمة وتحديات العصر وانعكاساتها على المجتمع المصري، القاهرة: دار الأمير للنشر والتوزيع،٢٠٠٠، ص٢١.

(٣٧) جريدة الأهرام، مصطلحات فكرية، ١٠/ ٤/ ١٩٩٨.

(٣٨) David Rothkop, Op. Cit, P. ٨

(٣٩) HalukSahin, GlobalMediaandCulturalIdentityinTurkeyJournalofCommunication, Spring ١٩٩٣, Vol ٤٣ , No ٢ , P.٣١

(٤٠) رولاند روبرتس. محلية العولمة. في: مايك فيزر ستون. (محرر) محدثات العولمة. ترجمة عبد الوهاب علوب. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. رقم ٩٣. ٢٠٠٠. ص٥٢.

(٤١) سمير أمين. مناخ العصر – رؤية نقدية. في عبد الباسط عبد المعطى (محرر). العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي. القاهرة: مكتبة مدبولي. ١٩٩٩. ص٣٢.

(٤٢) إسماعيل صبري عبد الله. الكوكبة: الرأسمالية العالمية في مرحلة ما بعد الامبريالية. المستقبل العربي. العدد ٢٢٢. أغسطس ١٩٩٧. ص٢٥.

(٤٣) صادق جلال العظم. ما هي العولمة. تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. ١٩٩٦. ص٤.

(٤٤) حوار مع طيب تيزيني. صحيفة البعث السورية. ١٩٩٧/٩/٨.

(٤٥) جلال أمين. العولمة والدولة. المستقبل العربي. العدد ٢٢٨ . مرجع سابق. ص٢٣.

(٤٦) حماد إبراهيم. أثر العولمة الثقافية في التربية. ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر الثاني لمجلس أمهات منطقة أبو ظبي التعليمية " المسيرة التربوية بالقيم ترتقي وبالإبداع تتميز " أبو ظبي. ١-٢ مارس ٢٠٠٤ نقلاً عن: على محمود العائدي. الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة. سلسلة دراسات إستراتيجية. أبو ظبي: مركز الإمارات للبحوث والدراسات الإستراتيجية. ١٩٩٩. ص ص ٨٨. ٨٩.

(٤٧) المرجع السابق نفسه.

(٤٨) المرج السابق نفسه.

(٤٩) JohnTomlinson,Op.Cit.,P١٧٤.

يلاحظ هنا أن جون توملينسون يعتبر من المروجين للعولمة وليس من المعارضين لها (انظر رقم ٣٤) . والتعريف هنا ورد في دراسته لباحث آخر.

(٥٠) إبراهيم نافع. انفجار سبتمبر بين العولمة والأمركة. القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر. ٢٠٠٢. ص ٢٧.

(٥١) حسين كامل بهاء الدين. الوطنية في عالم بلا هوية: تحديات العولمة. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ص ٦٢.

(٥٢) السيد ياسين. مفهوم العولمة. مجلة المستقبل العربي. العدد ٢٢٨. مرجع سابق. ص ٦.

(٥٣) تقرير نصف سنوي صادر عن صندوق النقد الدولي عن "العولمة" عن النصف الأول لعام ١٩٩٧ ومنشور في مقال: أحمد نجيب الشابي. "نحن والعولمة والديمقراطية". صحيفة الحياة. ١٩٩٧/١٠/١.

(٥٤) نقلاً عن الكاتب الفرنسي أوليفيه دولجوس في كتابه " العولمة" الصادر عام ١٩٩٧في: على محمود العائدي. مرجع سابق. ص ٨٧.

(٥٥) المرجع السابق نفسه.

(٥٦) Unesco, World Communication Report, Paris: ١٩٩٧, P.٧٢

(٥٧) جان فيدرن بيترس. العولمة والتهجين. في: مايك فيزر ستون (محرر). مرجع سابق. ص ٦٠.

(٥٨) جيمس روزناو. ديناميكية العولمة: نحو صياغة عملية. قراءات إستراتيجية. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. ١٩٩٧.

(٥٩) Halton. J. Robert, Under Standing Globalization: History and Representation in The Emergence of the World as A single Place , U.K: Macmillan Press , ١٩٩٨ P. ٢٣

(٦٠) على محمود العائدي. مرجع سابق. ص ٨٨.

(٦١) أحمد عامر " العولمة على مائدة ابن خلدون ". الأهرام ٢٠٠٠/٣/٣. ص١٠.

(٦٢) محمد الغرباوى. " ماذا بعد أن أصبح للعولمة مفهوم أمنى ". الشعب. ١٩٩٩/٧/١٣ ص٥.

(٦٣) عامر عبد المنعم. " لسنا وحدنا ضد العولمة المستبدة ". الشعب. ٢٠٠٠/٤/٢٥. ص١١.

(٦٤) محمد عابد الجابري. ما هي العولمة؟. مجلة الطريق. العدد(٤)لعام ١٩٩٧.

(٦٥) صبحي غندور. الأطروحة الأمريكية: الترهيب بصدام الحضارات. الترغيب بالعولمة. سلسلة كتاب المعرفة (٧) نحن والعولمة من يربى الآخر . مرجع سابق. ص٨٣

Http: // WWW. Hawai. edu / Freder /Glocon / Html (٦٦)

(٦٧) ماهر أحمد عبد العال الضبع. العولمة والهوية الثقافية: دراسة لموقف المثقف المصري. رسالة دكتوراه غير منشورة. القاهرة: جامعة عين شمس. كلية الآداب. ٢٠٠٢. ص٧.

(٦٨) شوقى جلال. العولمة بلغة المعلومات. الأهرام. ١٩٩٩/١٠/٢٢. ص١٠

(٦٩) ورد في مقال الدكتور / السيد فليفل. نعم للعولمة الموضوعية. ولا للهيمنة. الأهرام. ١٩٩٩/٥/٢١. ص١٠.

(٧٠) انظر:

-جلال أمين. العولمة والدولة. المستقبل العربي. العدد ٢٢٨. مرجع سابق. ص٢٣.

-عواطف عبد الرحمن. الإعلام العربي وقضايا العولمة. القاهرة: العربي للنشر. ١٩٩٩. ص١٢.

(٧١) انظر مكونات ثقافة العولمة في:

Smith Antony, Towards a Global Cultural in: Global Culture. (ed) Feather Stone and-.Mike. London: Sage, ١٩٩٠, p. ١٧٦

(٧٢) حسين علوان حسين. مرجع سابق.

(٧٣) انظر: السيد يسين. العولمة والطريق الثالث. القاهرة: ميريت للنشر والمعلومات. ١٩٩٩. ص٩٥، ١٠٥.

الفصل الثاني: عولمات متعددة في عالم واحد

تداخل بين أنواع العولمة وأبعادها وأهدافها ومزاياها ومخاطرها الشاملة – الجزئية – الأمريكية – الأوربية – الاقتصادية – التكنولوجية – الفكرية

أولاً : أنواع العولمة

١/ عولمة الشعارات في مقابل عولمة الواقع

في هذا الصدد ثمة مستويان لا يجب التمييز بينهما كما هو شائع في كتابات العولمة. بل يجب أن يكملا بعضهما بعضاً:

أ-مستوى تقدم فيه العولمة نفسها على أنها فكر وعمل إيجابي سيكون له آثاره الإيجابية في كل المجالات ولكل دول وشعوب العالم. بينما ما يعكسه هذا الفكر في حقيقة الأمر هو عمليات نصب واحتيال وترهيب ورشاوى للأنظمة والرؤساء وإثارة الفتن والخلافات والخصومات بين فئات الشعب الواحد. هو فكر دعائي وإعلاني كاذب ومخادع ومُضلل ليس له علاقة بالواقع الذي تريده العولمة وتساعد في صنعه. وبالتالي هو مجرد شعارات وإدعاءات لا تستند إلى تطبيق ملموس على الأرض شأنه في ذلك شأن المقولات المروجة "**للنظام العالمي الجديد**". بل إنها تتشابه معه. وفي كثير من الأحيان تأتي كإعادة إنتاج له مع استبدال مصطلح "النظام العالمي الجديد" بكلمة.

"**العولمة**". ومع وجود فارق في تطور الأحداث والأفكار التي شهدت بداية التسعينات تركيزاً إعلامياً وعلمياً وثقافياً على النظام العالمي تحول هذا التركيز في منتصف التسعينات إلى العولمة وأصبحت صاحبة الزخم والاهتمام الأكبر.

وتعتبر القوى المستفيدة من العولمة وحلفائها هي المسئول الأول عن إنتاج هذا الفكر سواء كانت هذه القوى المستفيدة:- أصحاب رؤوس الأموال والشركات الاقتصادية متعددة الجنسية عابرة الحدود. أو وكالات الأنباء والمؤسسات الصحفية والإعلامية والإعلانية الكبرى عابرة الحدود. أو شركات الإنتاج الفني والسينمائي. أو الشركات المتخصصة في صناعة الترفيه وتسويقه ذات العلاقة الوثيقة بكتاب ومؤلفين ومفكرين وباحثين وقنوات التلفزة ودور النشر والعرض السينمائي. أو صناعة المعلومات والاتصالات كشركات الحاسب الآلي والانترنت والمحمول. أو المسئولين الحكوميين في بعض الدول الصناعية الكبرى كالولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. أو العاملين بالمنظمات والجمعيات الدولية. أو العاملين بمنظمات المجتمع المدني. أو المفكرين والكتاب والباحثين ذوي النزعة

العنصرية أمثال: توماس فريدمان المعروف بتعصبه للصهيونية وإسرائيل. وفاكوياما المعروف بتعصبه لليبرالية (نهاية التاريخ لليبرالية بجوانبها السياسية والاقتصادية والثقافية). وهنتجتون المعروف بكراهيته لكل الشعوب ما عدا الأمريكان وحلفائهم من الأوربيين (صدام حضارات بين الغربية من ناحية والإسلامية والصينية من ناحية أخرى) إضافة إلى نظرائهم في العالم كله بما فيه العالمين العربي والإسلامي من المغزوين فكرياً أو المستفيدين مادياً واجتماعياً. ولا شك أن هناك شرائح بشرية مؤيدُة للعولمة سواء من المثقفين أو من الشباب والفتيات الذين يؤمنون بالحرية المطلقة غير المضبوطة.

ب- مستوى نقد العولمة وبيان أضرارها ومخاطرها وآثارها السلبية

وهذا المستوى من الكتابات لا يهتم بمقولات وفكر العولمة ذاتها. ولكنه يركز على ما يجرى على الأرض من آثار وأضرار ومخاطر خلفتها سياسات العولمة ومؤيدوها والقوى المروجة لها والمستفيدون منها. وقد تبنت معظم هذه الكتابات في البداية رفضاً شديداً للعولمة ودعت إلى مقاطعتها ولكنها سرعان ما أدركت قوة تيار العولمة الكاسح والجارف والاجتياحي – على الأقل في المرحلة الحالية وعلى المستوى القريب – فعدلت مواقفها نحو رفض ايجابي قائم على نقد العولمة وإظهار مخاطرها والتحذير من شرورها وأضرارها والتوصل إلى أساليب مناسبة للتعامل معها تؤدي إلى تفادي أكبر قدر ممكن من الخسائر وتحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب.

وقد تبنى هذا الفكر التيارات القومية والإسلامية والتيارات النقدية داخل الليبرالية ذاتها. والتيارات الواعية التي تشعر بمسئوليتها تجاه أوطانها وتجاه العالم كله – بغض النظر عن انتمائها إلى أيديولوجية معينة. وقد حملت هذه التيارات على عاتقها مسئولية صنع فكر مضاد للعولمة (العولمة المضادة) ثم تجاوزت ذلك إلى الدعوة إلى إيجاد "عولمة بديلة"[1] تحقق بالفعل التقدم الاقتصادي والعدالة الاجتماعية وتحفظ لكل حضارة هويتها في إطار من الانفتاح الايجابي.

إلاّ أن هذه التيارات أو العولمة البديلة تعاني كثيراً من قلة الإمكانات وغياب القنوات الإعلامية التي تُعبر عنها وتنقل وجهة نظرها إلى العالم كله. ولم يتاح لها إلا الانترنت لسهولة تكاليفه واستخدامه بمأمن من قوى العولمة المحليين والدوليين. ولكنه وسيلة غير فعالة وخاصة في مجتمعات العالم الثالث. ليس فقط لاقتصار استخدامه على شرائح معينة كالنخب المثقفة وذوى المستويات الاقتصادية المرتفعة ولكن بسبب الأمية التعليمية التي تزيد عن ٥٠٪ وضخامة الأمية الكمبيوترية والتكنولوجية بشكل عام. إضافة إلى ما تكشف عنه الدراسات العلمية من سؤ استخدامات الإنترنت من قبل شعوب العالم الثالث وخاصة الشباب من الجنسين مما يؤدى إلى عدم فاعلية الانترنت كوسيلة فكرية ثقافية وخاصة في مجال الثقافة المضادة. كما أنه يجب ألا ننسى أن الانترنت أساساً أحد أهم وسائل العولمة في نشر ثقافتها والمرتبط بها ارتباطاً وثيقاً. ولا شك أن القطاعات الأكبر في العالم كله – باعتبارها المتضررة فعلياً من سياسات العولمة - هي التي تتبنى مواقف نقد العولمة والدعوة إلى إيجاد أفضل السبل في التعامل معها.

٢/ عولمة شاملة في مقابل عولمة جزئية

ومما يؤدى إلى صعوبة تعريف العولمة وغموضها أيضاً هو وجود مستويين من الكتابات حولها وحول تعريفاتها بشكل خاص؛ مستوى عام يتحدث عن عدة أبعاد أو جوانب من جوانب العولمة ومستوى خاص يقتصر في حديثه على بعدٍ واحد أو بعدين.

وبمراجعة التعريفات التي تم الإشارة إليها في الفصل السابق يتبين ذلك. ففي التعريفات التي لا تحمل مواقف نحو العولمة نجد أن تعريف جيمس روزناو أحد أبرز علماء السياسة الأمريكيين يُعتبر من أكثر التعريفات شمولاً. يليها تعريفات إبراهيم نافع وحسين كامل بهاء الدين. وفى التعريفات التي تعارض العولمة تبرز أكثر التعريفات شمولاً تعريف جلال أمين و إسماعيل صبري عبد الله. أما التعريفات الخاصة أو الجزئية فينتمي معظمها إلى التعريفات المؤيدة. حيث ركز كل واحد منها على بعد واحد. فهي إما تقارب اجتماعي، أو تقارب ثقافي، أو انفتاح اقتصادي، أو انتشار تكنولوجي..الخ

ولمزيد من الايضاح يمكن التفريق بينهما على النحو التالي:

العولمة الشاملة وتعني: مجموعة الظواهر والمتغيرات والتطورات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والإعلامية والتكنولوجية والمعلوماتية التي تمتد تفاعلاتها وتأثيراتها لتشمل معظم دول العالم ومناطقه[٢] أما العولمة الجزئية فتقتصر على بعد واحد أو تربط بين بعدين من أبعاد العولمة، ووفقاً لهذا فإن هناك عولمة سياسية، اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، إعلامية، تكنولوجية، إنسانية...الخ من الأبعاد الأخرى للعولمة كالبعد الأمني والإداري والديني والتربوي والتعليمي والفلسفي والفكري، وسوف يتم تناول كل منها بالتفصيل في أنواع العولمة وفقاً لمجالات الحياة المختلفة.

ويمكن أن نرصد ثلاثة أسباب لوجود مستويين (شامل وجزئي) في كتابات العولمة:

البعد الزمني لهذه الكتابات التي ركزت في البداية على **البعد الاقتصادي**، نظراً لظهور العولمة في بادئ الأمر على أنها ظاهرة اقتصادية فقط، ثم سرعان ما ظهر لها وجوه أخرى الواحد تلو الآخر تكنولوجي، معلوماتي، إعلامي، ثقافي، سياسي، اجتماعي...الخ. ولذلك نجد مع مرور الوقت تطوراً في تعريف العولمة من الجزئي إلى الشمولي ليس فقط على مستوى الكتابات عامة بل على مستوى الكاتب الواحد.

ميل كثير من الكتاب والباحثين وخاصة في الإنتاج الصحفي والدوريات العلمية إلى تحقيق السبق البحثي أو الكتابي في تناول الظواهر الجديدة على حساب الشمول والعمق والتأمل لفهم الظاهرة من كافة أبعادها.

إيثار كثير من الباحثين والكتاب لأسلوب النقل من الصحافة أو الأدبيات الغربية اعتماداً على الترجمة دون مراعاة للأبعاد الزمنية والموضوعية والمكانية التي ظهرت أو أنتجت فيها هذه الأدبيات.
تنوع اهتمامات وتخصصات الكتاب والباحثين والمفكرين وتأثر كل تخصص بالبعد المُناظر له في العولمة.

٣/ عولمة أمريكية في مقابل عولمة أوربية (وفقاً للجغرافية السياسية)

طرحت الجغرافيا السياسية في أطروحة النظام العالمي الجديد أكثر من تصور لإدارة شئون العالم: إما أحادى القطبية تديره الولايات المتحدة الأمريكية فقط وإما ثنائي القطبية تشترك معها أوربا الموحدة، أو إدارة ثلاثية تشترك فيها اليابان، بل إن هناك تصورات أخرى أضافت الصين، وألمانيا، وروسيا. وهناك من استشرف مستقبل النظام في ضوء حتمية التكتلات وركز على تكتل أمريكا وكندا والمكسيك، وتكتل دول أوربا الموحدة، وتكتل آسيا أو جنوب شرق آسيا والذي يعتمد على اليابان والصين في الأساس. أما أطروحة العولمة فلم تشر وفقاً- للجغرافية السياسية - إلاّ إلى عولمتين هما: العولمة الأمريكية، والعولمة الأوربية مما يؤكد أن الصراع العولمي ليس بين الولايات المتحدة والعالمين العربي والإسلامي فحسب بل إنه صراع في الأساس بين الولايات المتحدة وأوربا لتحقيق وتأمين المصالح وفرض النفوذ والهيمنة على العالم كله بما فيه العالمين العربي والإسلامي. بينما كانت تركز أطروحة النظام العالمي على استهداف الإسلام تحديداً سواء كان إسلاماً عربياً أو غير عربي. وفيما يلي توضيحاً لكل من العولمة الأمريكية، والعولمة الأوربية:

العولمة الأمريكية:

وهى امتداد لمفهوم الأمركة الذي تم تناوله في الفصل السابق وتعنى العولمة الأمريكية ببساطة أن هناك رؤية أو محاولة أمريكية للعولمة تسعى الولايات المتحدة الأمريكية إلى فرضها وإقناع العالم بها بكافة الوسائل والأساليب بما فيها استخدام القوة العسكرية والاحتلال المباشر كما حدث للعراق، وهذه الرؤية – بطبيعة الحال – تركز على مصالح وأهداف أمريكية مع تقليص دور ونفوذ القوى الأخرى وعلى رأسها أوربا الموحدة.

فهي إجمالاً تعنى محاولة أمريكية لتنميط العالم وفرض القيم الأمريكية عليه، تلك القيم القائمة على "الفردانية" أي حرية الفرد المطلقة[٢] وتفصيلاً هي: الحالة التي تتم فيها عملية تغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة القيم والعادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة والتي تزعم أنها سيدة الكون وحامية النظام العالمي الجديد.

العولمة الأوربية:

والتي تظهر بشكل واضح في المحاولات الفرنسية والألمانية فهي لا ترقى أن تكون عولمة بديلة. وإنما يمكن أن تكون عولمة مضادة وناقدة ومنتقدة للهيمنة الأمريكية. ليس دفاعاً عن العالم الثالث أو العالم كله كما يبدو من ظاهر أفكارها ومواقفها. ولكن دفاعاً عن نفسها من الاجتياح الأمريكي الذي طالها بقوة. وبالتالي فهي تريد أن تُعبئ الرأي العام والأنظمة في العالم ضد المفهوم والإجراء الأمريكي الذاتي للعولمة والذي لا يراعى المصالح الأوربية في الحسبان. فليس هناك اعتراض على الفكر الليبرالي بشقيه السياسي والاقتصادي الذي أسهمت أوربا فيه بالنصيب الأكبر منذ القرن السادس عشر ولكن الاعتراض على ليبرالية جديدة متطرفة بلا ضوابط وبلا حدود. ورأسمالية مستبدة محتكرة غير عادلة اجتماعياً وخالية تماماً من مراعاة الجوانب الإنسانية وقائمة بشكل أساسي على التنافس غير الشريف. وثقافة استهلاكية تخدم شركات وأنظمة على حساب شعوب ودول. وهذه الشركات العابرة للحدود يتمركز معظمها في الولايات المتحدة وبالتالي تستأثر على أرباحها وعوائدها. ومن هنا يأتي قلق دول صناعية كبرى مثل فرنسا وألمانيا والصين واليابان يفترض أن ترحب بالعولمة – وهى فعلاً ترحب – ولكن بالعولمة التي تسمح لها أن تلعب دوراً فاعلاً وليس دوراً هامشياً في ظل الهيمنة الأمريكية على العولمة.

إن أساليب الدعاية التي تمارسها الولايات المتحدة الأمريكية في نشر فكرها وثقافتها على أنها فكر وثقافة العولمة أدت إلى دعاية مضادة مكثفة للمركزية الأوربية أو للثقافة القائدة كما يجرى التعبير عنه في ألمانيا. أو الثقافة النقية التي يُفترض ألاّ تُشوه باحتكاكها مع الثقافات الأخرى. ومن هنا انطلق البعض للقول بوجود عولمة أمريكية وأخرى أوربية تقاوم العولمة الأمريكية رغم أن العالم كله لا يعرف ثقافة نقية واحدة. فثقافات الشعوب كانت وما تزال وستبقى في تماس وتفاعل وتبادل مستمر. كما لا توجد ثقافة قائدة بالمعنى الذي روج ويروج له العنصريون والنازيون القدامى والجدد[٤].

وقد أوضح ذلك صبحي غندور مدير مركز الحوار العربي في واشنطون. حينما قال: أن أمريكا هي القوة العظمى الوحيدة الآن التي تسعى لإبقاء السيطرة والهيمنة على أوربا ومنع أن يتحول الاتحاد الأوربي إلى قوة عظمى منافسة لها. وفى المقابل تسعى أوربا الغربية إلى صنع علاقات خاصة مع الدول العربية والى سياسة "متوسطية" نسبة إلى البحر الأبيض المتوسط الذي يشترك فيه الأوربيون والعرب. بينما تسعى أمريكا إلى الإنفراد بالشرق الأوسط الكبير (الثروات العربية والإسلامية خاصة).

إن موقف أوربا الغربية من الصراع العربي الإسرائيلي يحاول أن يكون متوازناً قياساً على الموقف الأمريكي المُنحاز لإسرائيل دائماً. أي أن الصراع في الدائرة الغربية نفسها ولكنه على المصالح العربية والإسلامية والعالمية بشكل عام. فمشكلة أوربا الآن هي مع أمريكا سياسياً واقتصادياً وثقافياً حتى ولو جمعتها حضارة واحدة. فوحدة الحضارة لم تمنع الصراع الفرنسي – البريطاني

على العالم. ولم تمنع من وقوع أخطر حربين عالميتين على الأرض الأوروبية في القرن الحالي. لذلك تسعى أمريكا إلى التخفيف من حدة "الاستقلالية الأوربية" التي تقودها فرنسا وألمانيا واستباق تحول الاتحاد الأوربي إلى قوة منافسة خطرة على المصالح الأمريكية خاصة في الأرض العربية والإسلامية ذات الثروات الطبيعية والموقع الاستراتيجي والرموز والمقدسات الدينية. وبالتالي فإن أطروحة الصدام المرتقب بين الإسلام والغرب تخدم الإستراتيجية الأمريكية التي تستهدف تطويع الأوربيين وضمان وجودهم تحت المظلة الأمريكية من جهة. وتبرير أي إجراء أمريكي في العالم الإسلامي من جهة أخرى (وهي تذكر دائما بسلبيات الماضي عند الطرفين العربي والأوربي: الامتداد الإسلامي إلى قلب أوربا ورد الحروب الصليبية عليه. الاحتلال الأوربي الغاشم لمعظم دول المنطقة في القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين). وبالتالي فإن الرافضين لأطروحة الترهيب "**صدام الحضارات**" عليهم القبول بأطروحة أخرى تدعو إلى وحدة الانتماء لحضارة إنسانية واحدة غربية الملامح وأمريكية القيادة والتوظيف "العولمة" وهذا الاختيار بين الترهيب من صدام الحضارات أو الترغيب بالانضمام إلى العولمة بالمفهوم الأمريكي هو تماماً كالتمييز بين الحرب أو الاستسلام[٥].

أي أن العولمة الأوربية عولمة تستهدف بالأساس أن يكون لأوربا هويتها وثقافتها ودورها الفاعل وموقعها المتميز ونصيبها الوافر من المصالح والمنافع التي تليق بإسهاماتها التاريخية والحديثة في صنع التقدم العالمي وترفض أن تستأثر الولايات المتحدة بدور القيادة والتوظيف للعولمة وثقافتها.

ثانياً : أبعاد العولمة

١/ الجانب الاقتصادي (العولمة الاقتصادية)

تعتبر العولمة الاقتصادية هدفاً أساسياً للعولمة وفى نفس الوقت الوسيلة الرئيسية لتحقيق الأنواع الأخرى للعولمة أو تحقيق أهداف الأبعاد الأخرى للعولمة. فالاقتصاد هو المرتكز الرئيس للعولمة بكافة أبعادها. ومما يدلل على ذلك أن العولمة في بداية ظهورها كانت قاصرة على الجانب الاقتصادي بشقيه سواء كان إيجابي أو سلبي.كما أن معظم تعريفات العولمة جاءت كتعريفات اقتصادية أو لا تخلو من البعد الاقتصادي (راجع تعريفات العولمة التي أوردناها في الفصل السابق) وتشمل العولمة الاقتصادية ما يلي:[1] - تكتل اقتصادي وحركة اندماج غير مسبوقة تؤدي إلى توسيع نطاق المشروعات الاقتصادية وإيجاد أسواق مشتركة ومن ثم تخفيض تكلفة المنتج وتقليل هامش الربحية عليه مما يعود بالنفع على المستهلكين ويمكن الاستدلال بتكتل السوق الأوربية المشتركة التي تضم ٢٥ دولة وخروج العملة الموحدة إلى الوجود (اليورو). وغيرها من التكتلات بين أمريكا وكندا. وبين دول شرق أسيا. ومحاولات السوق العربية المشتركة. واتفاقيات الشراكة بين دول عربية والاتحاد الأوربي...الخ. إلاّ أن حركة الدمج أو التكتلات – حتى الآن – لا تتم إلاّ على مستوى أفقي إما بين الأقوياء ليزدادوا قوة في مواجهة قوى أخرى أو بين ضعفاء لا يستطيعون مواجهة الأقوياء. خاصة وأن تكتلات الضعفاء غالباً ما تأتى شكلية وللاستهلاك السياسي المحلى فضلاً

عن محاولات إفشالها من قبل التكتلات الكبرى. ولذلك جاءت دعاوى العولمة الأكثر تطوراً بدمج اقتصاديات كل البلدان في اقتصاد عالمي وانفتاح جميع أسواق الدول على السوق العالمي ليتحول العالم إلى سوق واحدة كبيرة تضم عدة أسواق وذلك من خلال التخصص الإنتاجي وحرية مطلقة لتدفقات السلع والخدمات والمال والنقد والائتمان والتمويل والاستثمارات. إلاّ أن هذا لم يحدث حتى الآن إلاّ من جانب واحد يسير فيه التدفق من الدول الأغنى إلى الغنية إلى الفقيرة إلى الأفقر مما أدى إلى مزيد من اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء ليزداد الغنى غناءً والفقر فقراً وتتحول الدول إلى دول منتجة وأخرى مستهلكة.

- تقديم منتجات جديدة(سلعية. خدمية. فكرية) أو تطوير منتجات موجودة يتم إنتاجها بكميات وأحجام ضخمة مما يقلل من تكلفتها ويؤدى إلى استهلاكها بكثرة وعلى نطاق واسع في كافة أنحاء المعمورة مما يقلل من تكلفتها ليس فقط من أجل إشباع الحاجات ولكن لإرضاء التطلعات البشرية غير المحدودة مثل برامج الكمبيوتر والوجبات السريعة. ولعل منتجات بهذه الطريقة وهذه التكلفة لا يمكن إنتاجها إلاّ من قبل شركات كبرى تتعدى ميزانياتها ميزانيات كثير من الدول بما فيها حتى دول أوربية كما سيتضح فيما بعد مما يهدد اقتصاديات الدول بشكل عام والدول النامية بشكل خاص والتي لا تستطيع منتجاتها أن تصمد لا من حيث الجودة ولا من حيث السعر أمام هذه المنتجات سواء في أسواقها أو في الأسواق الخارجية مما أدى إلى عولمة الإنتاج عولمة حقيقية بالفعل من خلال تنميط الاستهلاك لجموع البشر في كل أنحاء العالم.

- استخدام أساليب تسويق متطورة وفعالة تستفيد من نظم التجارة الاليكترونية والشراء والتعامل من بعد وتقوم على خلق منافذ للبيع منتشرة في كل مكان وسياسات تسعير وبيع بالتقسيط تتناسب مع كافة مستويات المستهلكين وسهولة وصول المنتج إلى المستهلك في أسرع وقت وإلى مكان إقامته. فضلاً عن تطور أساليب الإعلان والإعلام والنشر لهذه المنتجات وتنوع وتجدد طرق عرضها مما يؤدى إلى خلق الرغبة في شرائها دون أن تكون هناك حاجة حقيقية في اقتنائها أو شرائها. ولعل هذا يصب في اتجاه زيادة الاستهلاك العالمي لصالح الطبقة الرأسمالية المسيطرة في الغرب صاحبة شركات الإنتاج العولمي.

- تزايد دور المنظمات والهيئات الاقتصادية الدولية مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية ليس فقط في تمويل المشروعات الاقتصادية. بل في صناعة الفرص الاقتصادية إلى درجة أصبحت قادرة فيها على تحييد الحكومات وجعلها تتنازل كثيراً عن سيادتها. وإتاحة وسائل ونظم تمويل فورية وواسعة الانتشار وفائقة السرعة في التحويل بحيث لا تتوقف صفقة ما على ندرة التمويل. ولا يتعثر مشروع لعجز المشترى عن تدبير النقود مما أدى إلى تزايد ارتباط اقتصاديات الدول واستمرار نموها بالقوى الاقتصادية الكبرى سواء كانت شركات أو دول وخير مثال على ذلك ما شهدته منطقة النمور الأسيوية في جنوب شرق أسيا من اضطرابات اقتصادية ضخمة وتدهور في أسواق المال نتيجة لأحد قرارات إحدى الشركات المتعددة الجنسية.

▪ لم يقتصر الأمر على ممارسة الحرية التامة للتسويق والتجارة وانتقال السلع، بل تعداه إلى **حرية غير مسبوقة في نقل مكان الإنتاج نفسه** فأصبح مقر الشركة في واشنطون أو نيويورك ومصانعها تدور في أوربا وشرق أسيا وجنوب أفريقيا والأرباح تصب في النهاية هناك في أمريكا- دولة المقر- وأصحاب الشركة المساهمين، مما أدى إلى انتقال مركز الثقل الاقتصادي العالمي من المستويات الوطنية والقومية إلى المستويات العالمية (أمريكا واليابان وألمانيا وبريطانيا وفرنسا)، ثم تمركزه – بين المستويات العالمية- في دولة واحدة (أمريكا) مما يجعلها تنفرد بدور القيادة أو الزعامة في إدارة الشئون الاقتصادية في العالم، ولكن ما يجب الانتباه إليه هنا هو أن الحرية الاقتصادية بكافة أبعادها حرية مفروضة ومن جانب واحد اضطرت إلى قبولها معظم دول العالم تجنباً لأضرار أكبر أو خوفاً من ضغوط أمريكية تهز الاستقرار الاقتصادي أو السياسي أو كليهما معا.

▪ **إلغاء القيود الجمركية** وفرض ما يُسمى بالإصلاح وإعادة الهيكلة **"التكيف"** في اقتصاديات البلدان المختلفة وخاصة بلدان العالم الثاني والثالث ليتلاءم مع بنية واقتصاديات الشركات الرأسمالية المتعددة الجنسية دون الأخذ في الاعتبار ظروف تلك البلدان ومشكلاتها، إضافة إلى سعى مجموعة من هذه الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسية إلى السيطرة على العملية الاقتصادية الدولية برمتها، أي على مجمل مراحل عملية إعادة الإنتاج على النطاق الدولي باستخدام أساليب وأدوات كثيرة تسمح بها القوانين السائدة، والصحافة مليئة بأخبار عمليات إفلاس وابتلاع واندماج الكثير من الشركات الرأسمالية ببعضها تحت ضغط المنافسة أو من أجل إقامة أكبر الاحتكارات العالمية القادرة على الهيمنة الفعلية على العملية الاقتصادية الدولية، وتقوم تلك الشركات المتعددة الجنسية بالسيطرة على مصادر إنتاج الموارد الأولية وإخضاعها لمصالحها وسياستها كما هو الموقف من النفط الخام في الشرق الأوسط مثلاً.

▪ **تحول المعرفة والمعلومة إلى سلع إستراتيجية** تدر أرباحاً طائلة تتجاوز في كثير من الأحيان الأرباح التي تحققها الصناعة ويكفى أن نعرف أن دولة صغيرة مثل فنلندا تحقق عشرات المليارات من الدولارات من خلا ل شركة واحدة للأجهزة الالكترونية هي شركة "نوكيا".

▪ تزايد أهمية **مصادر الطاقة** وسعى القوى العظمى وخاصة أمريكا إلى السيطرة على منابعها مما أدى إلى احتلالها لدول أخرى كالعراق مثلاً دون موافقة الشرعية الدولية وبدون أي مبرر في ظل ما كشفت عنه التقارير النهائية للجان التفتيش الدولي من خلو العراق من أية أسلحة نووية أو بيولوجية أو كيميائية وعدم وجود أية علاقة بينها وبين جماعات العنف وخاصة تنظيم القاعدة، إضافة إلى انتشارها العسكري والاقتصادي في كل دول الخليج، وإسقاطها حكومة طالبان في أفغانستان والتواجد العسكري على الحدود الأفغانية الباكستانية الذي يقربها من بترول بحر قزوين، وتدخلها في المسألة السودانية وفى كثير من المسائل التي ترتبط جغرافياً بمصادر الطاقة.

▪ تحول كل دول العالم تقريباً- باستثناء الصين وكوريا الشمالية- إلى **النظام الرأسمالي واقتصاديات السوق** والاندفاع نحو سياسة الخصخصة وتحرير سعر الصرف وتشجيع الاستثمارات

الأجنبية والانضمام إلى منظمة التجارة العالمية، وحتى الصين التي لا تزال تلتزم بالنظام الاشتراكي أقامت منطقة حرة في شنغهاي في إشارة إلى إتباع أسلوب التدرج في اقتصاديات السوق.

- إتباع أساليب جديدة في توظيف واستثمار البشر قائمة على معايير واحدة ومتشابهة في العالم كله "عولمة الكوادر البشرية" بحيث تصبح قادرة على التعايش مع العديد من أصحاب الجنسيات الأخرى في ذات الشركة الواحدة وفى الموقع التشغيلي الواحد وتقبل اختلاف عاداتهم وتقاليدهم وديانتهم وعقائدهم وطرق تفكيرهم وتكوينهم النفسي والعقلي...الخ. وقد لمست بنفسي في دول الخليج وخاصة دولة الإمارات العربية المتحدة معاناة الموظفين والموظفات الجدد من الجنسيات العربية نتيجة تعايشهم مع الجنسيات الأخرى من الهند والفلبين وغيرها خاصة وأن الشركات في دول المقر تفرض تعاملاً واحداً ومناخاً واحداً حتى بما في ذلك توحيد المسكن بحيث يتعايش العربي مع الأسيوي مع الأوربي ليس فقط في مكان العمل،بل في ساعات الراحة والنوم أيضاً. وتحرص الشركات المتعددة الجنسية على اختيار كوادرها من أصحاب المواهب والملكات والقدرة على الابتكار واكتشاف الفرص واستثمارها والارتقاء بما هو قائم بغض النظر عن الجنس والعرق والنوع واللغة واللون وحتى الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الموظف أو العامل مما يفرض أيضاً على المستهلكين من مختلف الجنسيات والمستويات إتباع أسلوب واحد في التعامل مع هذه الشركات وفروعها في مختلف دول العالم ومن هنا تأتى عملية صياغة التفضيلات ونمطية الأذواق ونمطية الرغبات والاحتياجات ومحو الفوارق وطمس الاختلافات الفاصلة بين المستهلكين في مختلف الدول فيستهلك المستهلكون ذات المنتجات بنفس المواصفات والتصميمات والعلامات المسجلة وبدون أي تغيير يذكر. فنفس برنامج ويندوز ٢٠٠٠ تقوم الشركة بتوزيعه على كافة الأسواق. وكذلك خدمات التليفون المحمول والانترنت والخدمات التمويلية ومحلات تقديم الوجبات الغذائية السريعة مثل ماكدونالد وكنتاكى وومبى والهامبورجر والكوكاكولا، إضافة إلى وسائل وأماكن الترفيه المتشابهة والملبوسات وحتى الأفلام والقنوات الجنسية...الخ.

ومما تقدم يتضح الفارق بين دعاوى العولمة في المجال الاقتصادي والآثار السلبية الناجمة عنها في ذات المجال. بل في المجالات الأخرى وخاصة السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية...الخ نظراً للارتباط الطبيعي بين أبعاد عملية العولمة إلى درجة لُوحظ فيها تغير مواقف بعض الكتاب الذين كانوا يتبنون اتجاهاً ايجابياً نحو العولمة الاقتصادية فأصبحوا يتحدثون عن أخطار هذه العولمة خاصة بعد أحداث **سياتل ودافوس** وغيرها من الأحداث التي كشفت النقاب عن مخاطر العولمة الاقتصادية؛ فقد أذابت العولمة الحدود الجغرافية وأزاحت الأسواق المحلية من الساحة وأفسحت المجال لمزيد من هيمنة السوق العالمي واحتكاراته وضغوطه لصالح كيانات اقتصادية كبيرة ازدادت توحشاً وقسوة. وفرضت نمطاً معيناً من الحياة استخدمت فيه كافة وسائل القهر المادي والنفسي والعقلي التي تقبلها كثيرين لا إرادياً وذلك لبيع وتصدير منتجاتها من السلع والأفكار والخدمات. وعظمت دور القطاع الخاص على حساب القطاع العام ليلعب الدور الأكبر في الحياة الاقتصادية. ووظفت وهيأت النظم الاقتصادية في دول العالم الثالث لخدمة الاقتصاد العالمي أو بالأحرى الاقتصاد الأمريكي وبعض الدول الكبرى. وعممت الرأسمالية بما تحمله من قيم الحرية المفروضة والحرية غير

المنضبطة وحرية الأقوياء واستعباد الفقراء ومنافسة اقتصادية غير متكافئة وتحقيق السيطرة بلا منازع ولا منافس لرأسمالية ليبرالية مفرطة على مقدرات العالم بلا حماية للمواطن مهما بني من شبكات لصد العواصف الاقتصادية مما أدى في النهاية إلى مزيد من تبعية العالم الثالث وانصهار أو ذوبان الاقتصاديات القومية داخل الاقتصاد العالمي أو اقتصاد الدولة الكبرى المهيمنة على النظام العالمي وما يترتب على ذلك من ضياع سيادة الدولة وإلغاء دورها وطمس هويتها على نحو يتضح بالتفصيل في العولمة السياسية والثقافية.

٢/ البعد التكنولوجي (العولمة التكنولوجية)

في إحدى مداخلاته يستأذن **جلال أمين** أستاذه **سمير أمين** – وهو على حد قوله متأكد أنه لن يأذن له- في كون العولمة تمت بفعل التطور التكنولوجي وليست بفعل تطور الفكر الرأسمالي الذي انتهى بالرأسمالية المعولمة كما يزعم **سمير أمين**. إذ أن **جلال أمين** يرى أن التقدم أو التطور التكنولوجي هو العامل الأساس المسئول ليس فقط عن نشأة ظاهرة العولمة وإنما عن استمرارها وتسارعها. ويُرجع السبب في ذلك إلى أنه من بين كل العوامل الدافعة أو المساعدة أو المصاحبة للعولمة يكاد التطور التكنولوجي أن يكون أكثر هذه العوامل استقلالاً، بحيث يكاد المرء لا يحتاج إلى البحث عن العوامل المسببة له. إذ لا يعتمد في وجوده إلاّ على ذلك الميل الطبيعي لدى الإنسان لتخفيف ما يبذله من جهد وما يتحمله من مشقة في سبيل البقاء على قيد الحياة. أو من أجل الإنتاج والاستهلاك. فالإنسان يطور التكنولوجيا باستمرار وكأنه مدفوع "**بيد خفية**" إلى ذلك من أجل أن يشبع حاجاته بأقل جهد ممكن. وهو في خلال تطويره للتكنولوجيا يندفع. دون أن يكون هذا بالضرورة جزءاً من مخططٍ واع ومدبر نحو المزيد ثم المزيد من العولمة(٧).

فهل نفهم من ذلك أن التكنولوجيا في حد ذاتها بريئة من فعل الهيمنة والسيطرة؟ وأن توظيف البشر واستخدامه لها هو الذي يجعلها كذلك. أم أن الأمر لا يخلو من تفكير مُسبق في تطوير تكنولوجيا ما بهدف التفوق على الغير والسيطرة عليهم؟ إنني لا أستطيع أن أتفق مع أيديولوجي كبير مثل جلال أمين في هذا الأمر خاصة وأنني مؤمن بفكرة أو نظرية التآمر الغربي على الآخر مسلماً كان أم غير مسلم ولكنى لا اعتبر هذا التآمر هو السبب الرئيس في ضعفنا أو حتى مبرراً لذلك لأن أسباب القوة والضعف تبدأ من الداخل وتنتهي بالخارج.

كما أن جلال أمين نفسه يعود ويتهم التكنولوجيا بإحداث القهر الثقافي للأفراد والجتمعات، بل يعتبرهما ظاهرتين متلازمتين. فهي يمكن أن تتحول بكل سهولة من أداه لخدمة الإنسان وتحرره إلى أداة لقهره وليس هناك قانون يضمن للإنسان أن يقتصر في تطويره للتكنولوجيا على تلك الدائرة التي تتفق مع طبيعته فلا يتجاوزها. بل قد يذهب إلى حدود ربما تتعارض تعارضاً جسيماً مع الهدف الذي كان يبتغيه ابتداءً (تخفيف أعباء الحياة وزيادة قدرته على الاستمتاع بها والمحافظة على بقائه)(٨).

ولعل مقولة ماكلوهان "الوسيلة هي الرسالة" The Medium is The Message تؤكد هذا المعنى الذي لم يقصده ماكلوهان، لأنها جاءت في معرض حديثه عن التأثير الايجابي لتكنولوجيا الإعلام في تقارب الشعوب والثقافات وتحويل العالم إلى قرية كونية واحدة. ولم يكن يعلم **مارشال ماكلوهان** وقتها في أواخر الستينات أن تطور التكنولوجيا بعد ذلك سيحول العالم إلى قرى صغيرة منعزلة وجماعات منفصلة. بل وأفراد تتباين أذواقهم داخل الأسرة الواحدة بفعل استمرار عملية التطور التكنولوجي وتوجهها إلى مخاطبة أفراد بدلاً من مخاطبة مجتمعات وميلها إلى تفتيت الجماهير الضخمة بدلاً من توحدها. وقد كان لهذه التكنولوجيا أدواتها التي فرضت ذلك من قنوات فضائية متخصصة. صحف ومجلات الكترونية. كاميرات وفيديوهات رقمية. أقراص مدمجة. أقراص ممغنطة. شرائح. أفلام. أشرطة. بريد الكتروني. مواقع انترنت لا حصر لها ومتباينة الاهتمامات والأشكال والأهداف. فيديو كاسيت. فيديو ديسك. التليفزيون الكابلي ذو الاتجاهين. تكنولوجيا الهاتف المحمول وما تتيحه من تسجيل وتصوير... وغيرها من الوسائل التي تؤكد أنه من الصعب أن تلتقي أسرة واحدة على مشاهدة قناة واحدة أو برنامج واحد. إضافة إلى النزعة الفردية التي تتسم بها بعض الوسائل كالانترنت والمحمول والحاسبات الالكترونية وخدمات التليفزيون الكابلي. وصار لكل فرد داخل كل أسرة عالمه الخاص مما يؤدى إلى خلق الإنسان الاستهلاكي على المستوى العالمي.

نخلص من ذلك بأهمية الجانب التكنولوجي في العولمة. ولا أرى اختلافاً بين **سمير أمين** في تركيزه على الجانب الاقتصادي وبين **جلال أمين** في تركيزه على الجانب التكنولوجي. لأن التطور الاقتصادي الرأسمالي عبر قرنين من الزمان وخاصة خلال نصف القرن الأخير اعتمد بشكل أساسي على التكنولوجيا بكافة أشكالها وليست تكنولوجيا الاتصال فحسب. وإن كانت هي الدعامة الرئيسية التي اعتمدت عليها العولمة في إلغاء حواجز الزمان والمكان واللغة والسياسة والثقافة وحتى أساليب الحياة مما أدى إلى ظهور ما يسمى"**باقتصاد المعلومات**" المرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وخاصة مع ظهور العولمة في بداية التسعينات من القرن العشرين.

كما أنه يجب أن لا ننسى أن التطور التكنولوجي ذاته يتطلب إمكانات اقتصادية وقدرات بشرية متميزة في الإبداع والابتكار. وأن هذا لن يتم بعيداً عن مناخ الوفرة والحرية الاقتصادية التي أفرزته الرأسمالية خلال الفترة الماضية. فالتكنولوجيا هنا تكنولوجيا الاقتصاد الرأسمالي وليست تكنولوجيا أي اقتصاد آخر. والرأسمالية هنا هي رأسمالية التكنولوجيا "**رأسمالية معولمة**" كما يحلو لسمير أمين أن يُسميها. وبالتالي فإن العولمة تعكس تطور التكنولوجيا والرأسمالية معاً. ولعل **السيد يسين** حين قال أن جوهر عملية العولمة يتمثل في سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على النطاق الكوني. كان يقصد هذا التزاوج بين الاقتصاد والتكنولوجيا وخاصة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والإعلام بالمقام الأول باعتبارها هي التي تحقق سهولة الحركة لعناصر الإنتاج أو يتحقق ذلك من خلالها[٩] أما **أنتوني تاونسيد** فقد عبر عن ذلك صراحة بقوله:

أن العولمة تعنى أن هناك تكنولوجيا جديدة سمحت للأفراد والشركات والمنظمات والدول بحرية في الحركة لم يسبق لها مثيل وتحولت إلى قوى كبرى تدفع إلى التحضر[١٠].

وفى هذا الاتجاه أيضاً هناك من يرى أن التطور التكنولوجي مُخطط ومُدبر-وليس بريئاً كما يرى جلال أمين- حيث تُعرّف العولمة بأنها سلسلة مترابطة من العمليات التكنولوجية التي تتم بهدف تحرير الأسواق وتمكين الملكية الخاصة للأصول. وتهميش وتكميش سيطرة الدولة البيروقراطية على النشاط الاقتصادي. وجعل دور الدول قاصراً على أنشطة معينة بذاتها يمكن التنازل عنها مستقبلاً لصالح كيانات أكبر حجماً من الدول. وما يتطلبه ذلك من تطبيق أوضاع تكنولوجية فائقة القدرة كثيفة الانتشار بسيطة وسهلة الاستعمال تدعم من قدرة المشروعات على التعولم[١١].

البعد الفلسفي للعولمة (العولمة الفكرية)

إذا كانت مظاهر – أو بتعبير أدق - أعراض العولمة ظهرت في البداية اقتصادية أو تكنولوجية، فإنها انطلقت في الأساس من قاعدة فكرية فلسفية لها مرتكزاتها الأيديولوجية المتعددة. حتى أن الأمر لم يخلُ من تعريف العولمة تعريفاً فكرياً بحتاً خاصة من قبل مفكرين إسلاميين بارزين كالدكتور/ محمد عمارة، والدكتور /عبدا لوهاب المسيري، ومحمد إبراهيم مبروك وغيرهم. حيث يرونها: محاولة لفرض الفلسفة البرجماتية النفعية المادية العلمانية وما يتصل بها من قيم وقوانين ومبادئ وتصورات على سكان العالم أجمع. وهي حضارة الغرب بشقيه الاشتراكي والرأسمالي كامنة في منظومة الفكر المادي والعلمانية. وهى قيم مادية تنفى الخصوصية الإنسانية وتختزل الإنسان في شقه الجسماني والاقتصادي فقط. وهؤلاء المفكرون يعتبرون العولمة – وفقا لرؤيتهم لها- قادمة من الفكر الغربي وتنطلق من الأسس المعرفية الإغريقية التي تقتصر على العقل وخبراته في إدراك الحقائق وتصريف الأمور[١٢].

وهناك ثلاث أفكار أو أطروحات فكرية أساسية تُعتبر جوهر الأساس الفلسفي والفكري لأطروحة العولمة :

الأولى هي:

"**نهاية التاريخ والإنسان الأخير**" التي طرحها الكاتب الأمريكي الياباني الأصل "**فرانسيس فوكوياما**" عام ١٩٨٩. حيث يزعم أن الغرب قد وصل إلى نقطة حاسمة في التاريخ البشرى تتحدد بانتصار النظام الرأسمالي والديمقراطية الغربية على سائر النظم أو التنظيمات المنافسة لهما،وأن العالم أدرك بعد فترة حماقة طويلة أن الرأسمالية هي أفضل النظم الاقتصادية، وأن الليبرالية الغربية هي أسلوب الحياة الوحيد لصالح البشرية، وأن الولايات المتحدة وامتدادها الاقتصادي القيمي (النظام الرأسمالي المادي) في أوربا يمثلان الدورة النهائية للتاريخ وأن الإنسان الغربي هو الإنسان الكامل الأخير[١٣].

الثانية هي:

"**صدام الحضارات**" التي طرحها أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد "**صمويل هنتجتون**" في مقال له بمجلة الشئون الخارجية في ربيع ١٩٩٣قدم من خلاله تصوراً معيناً للمستقبل يحل فيه صدام أو صراع الحضارات محل الحروب الباردة والمعارك الأيديولوجية التي سيطرت على صراعات القرن الماضي (الفاشية والاشتراكية والديمقراطية). ويتوقع هنتجتون أن يميل الناس إلى تعريف أنفسهم وفقاً لانتماءاتهم الحضارية: الغربية، الإسلامية، الكونفوشيوسية الصينية، السلافية الأرثوذكسية، الأمريكية اللاتينية...الخ(١٤). وأن هناك مواجهة حضارية قادمة بين الحضارة الغربية من ناحية والحضارات الأخرى وبخاصة الإسلامية والصينية من ناحية أخرى، إلاّ أنه أفرد مساحة أكبر للحضارة الإسلامية واعتبرها الأكثر خطورة والأكثر استمرارية في صراعها مع الغرب وأرجع ذلك إلى الزيادة المستمرة والهائلة في أعداد المسلمين، وتمردهم على ثقافة الغرب وحضارته. إضافة إلى تزايد المد الإسلامي وعدم توقف نشاط التيارات الأصولية والإرهابية "الجهادية" والسلفية المتشددة(١٥).

ومن يتأمل الفكرتين في إطار سياقهما الزمني والموضوعي يجد أنهما يكملان بعضهما البعض. فنهاية التاريخ عام ١٩٨٩ لصالح الإنسان الغربي بعد سقوط الشيوعية وتحول العالم إلى الرأسمالية دعوة تبدو واقعية وصريحة إلى العالم كله للدخول في الدين الجديد "**العولمة**" بسلام ودون أي مواجهات. أما من يشك في ذلك أو يتأمل الفكرة في إطارها المستقبلي كمحطة في التاريخ وليس نهايته (عجلة التاريخ، دورة الحضارات) أو حتى من يجتهد في تفنيد ونقد القيم الرأسمالية الجديدة أو المعولمة التي تفرغ الإنسان من إنسانيته وروحانيته أو من يتجرأ على المستوى العملي ويرفض الانخراط في العولمة فلا يجد أمامه إلاّ المواجهة والصدام والصراع مع الغرب الأمريكي النموذج الأقوى اقتصادياً، والمتفوق عسكرياً، والمنتصر ايدولوجياً وحضارياً، والمهيمن إعلامياً ومعلوماتياً وتكنولوجياً "**صدام الحضارات**" عام١٩٩٣ وكل لبيب بالإشارة يفهم، فمن لم ينخرط في العولمة سلماً سينخرط فيها عنوة، وليبيا نموذجاً للانخراط السلمي والعراق نموذجاً للانخراط العسكري أو القسري، بل إن الحكومة العراقية المؤقتة قدمت النموذج الأسوأ من بين الحكومات العربية والإسلامية قاطبة في التعامل مع الأمركة، ومن يُحلل خطابها وفعلها السياسي مع شعبها لإرضاء الاحتلال الأمريكي يتبين له أكثر من هذا الوصف.

وكلا الفكرتين (**النهاية والصدام**) نابعتين من الأرض والجنسية الأمريكية ما يعكس ليس فقط دور القيادة والزعامة في إدارة الغرب لشئون العالم، بل ضرورة أن ينضم الغرب تحت اللواء الأمريكي ويعمل في إطاره عند مستوى الحليف التابع وليس الشريك المستقل، ففكرة نهاية التاريخ لصالح الإنسان الغربي وليس الأمريكي فقط. وصدام الآخر مع الغرب كله وليس الأمريكي فحسب، أي أن الغرب كله يجب أن يتوحد ضد الآخر لصالح الإنسان الغربي عامة.

هذه مغالطة كبرى وضعت الغرب الأوربي في حيرة كبيرة، بين محاولة الإفلات من التبعية الأمريكية والخوف من الآخر أياً كان الإسلامية أو الصينية. وهى مغالطة لم تمر على الغرب مر الكرام.

بل إنها شطرته إلى قسمين. بين معارض ومؤيد للعولمة بالمفهوم الأمريكي (فرنسا وألمانيا في مقابل بريطانيا وايطاليا) بل أنها شطرت الرأي العام داخل الدولة الواحدة إلى شطرين. كما أنها غيرت التوجه السياسي لدولة واحدة (ايطاليا) في فترة وجيزة من التأييد إلى المعارضة بعد سقوط حكومة (بيرلسكوني المعادي جداً للإسلام) حين قامت ايطاليا بسحب قواتها من العراق.

إن حقيقة ما يجري هو أن مشكلة الآخر مع الأمريكي فقط وليس مع الغربي بشكل عام. وحتى الأمريكي هنا بمعنى النظام أو الإدارة وليس بمعنى الشعب الأمريكي. يبرهن على ذلك غزوتي نيويورك وواشنطون اللتان قام بهما تنظيم القاعدة في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ودمر فيهما وزارة الدفاع الأمريكية بالعاصمة واشنطون. ومركز التجارة العالمي بنيويورك (جناحي العولمة الاقتصادي والعسكري) وكلاهما رموز تخريب وتدمير واستغلال. فضلاً عما كان مُخطط له من تدمير البيت الأبيض الجناح السياسي لهذه الرموز.

إن السياسة الخارجية الأمريكية تعلم جيداً أن مشكلة الآخر معها هي وحدها وليس مع أوربا. وأن نهاية التاريخ ستكون لها هي وحدها. ولكنها لن تستطيع تحقيق ذلك منفردة. ولن ترغب في نفس الوقت اقتسام المكاسب مع أحد فلجأت إلى المنطق المعكوس ليس فقط لخدعة الأوربيين ولكن لخدعة الشعب الأمريكي أيضاً.

إن ازدواجية السياسة الخارجية الأمريكية وخاصة في تناقض القول مع الفعل أصبحت من الأمور الواضحة والمكشوفة حتى للعامية من الناس في كل بلدان العالم. ولعل هذا الأمر بمفرده – على المدى المستقبلي – يُعتبر من أقوى التحديات التي تُسقط الإمبراطورية الأمريكية. حيث لا يوجد في التاريخ حاكم مستبد استمر في حكمه أو استبداده. كما أنه لا يوجد في التاريخ شعب أو شعوب استسلمت للأبد للحكام المستبدين. كما أن التاريخ علمنا أن زوال الإمبراطوريات أقترن دائماً بظلمها وجبروتها واستبدادها ورفاهيتها أيضاً ليس فقط على مستوى الحضارة الغربية (بريطانيا وفرنسا. البرتغال وأسبانيا. الفرس والروم) ولكن على مستوى الحضارة الإسلامية ذاتها (تفكك الدولة العثمانية وسقوط الأندلس ودول البلقان في أواسط أوربا).

الثالثة :

"حوار الحضارات" وإذا كانت فكرة صدام الحضارات موجهة بالأساس لاحتواء أوربا وترهيب الآخر غير الغربي وفي مقدمته الإسلام. فإن الدهاء والمكر الأمريكي المُتخوِّف من رد الفعل الإسلامي سواء على مستوى الرأي العام أو على مستوى التنظيمات الإسلامية من جانب وإحراج أنظمة الدول الإسلامية الحليفة من جانب آخر أدى إلى ظهور الفكرة الثالثة أو الخدعة الثالثة **"حوار الحضارات"** ولكن هذه المرة موجهة بالأساس إلى الإسلام وحده. والحضارة الإسلامية وحدها. ليس فقط لتطويق المد الإسلامي وتهدئة أنصار الحفاظ على الهوية وضرب حركات الجهاد والمقاومة الإسلامية وما يسمى **"بالإرهاب"** ولكن لتفريغ الحضارة الإسلامية ومحاولة إذابتها في الحضارة الغربية من خلال

الجدل والسفسطة والنشر المُنتج والبث غير المتوازن الذي يوهم المسلمين بأن هناك حواراً ولكنه حوار غير متكافئ يعكس إذلال الرموز الدينية والثقافية لدينا والعكس لديهم (استقبال شيخ الأزهر للحاخام اليهودي، تردد كتاب ومفكرين عرب مسلمين على إسرائيل بحجة السلام...الخ).

إن الحوار المقنع في عالمنا المعاصر – أو في ظل العولمة – يجب أن يتم بين طرفين متكافئين أو متقاربين في القوة، إن إسرائيل هي الطرف الأضعف فكرياً وحضارياً في كل شيء (هي المحتلة المعتدية دائماً، المخلة بالوعود، الناقضة للاتفاقيات، غير الملتزمة بتطبيق القوانين والقرارات الدولية، صاحبة أطماع توسعية، ذات نزعة عنصرية، قامت على احتلال أراضي الغير، دولة ليست لها جذور، حديثة المنشأ، ذات تركيبة سكانية غير متجانسة، إرهابية، رافضة للسلام مع جيرانها، تهدد وتضرب سوريا بلا أي سبب...الخ) لكنها- رغم ذلك كله- تتحول بفعل القوة العسكرية والآلة الإعلامية الدولية إلى الطرف الأقوى (الطرف المظلوم والمعتدى عليه من الإرهابيين) في أي حوار عربي أو إسلامي.

فما الذي يمكن أن نجنيه إذن من حوار الحضارات إذا كان الحوار ستديره آليات الإعلام الغربي؟ ويقوم على تحريره وصياغته مصادر غربية أو وسطاء وتلامذة عرب؟ ويتحكم في اختيار ضيوفه وانتقاء مروجيه ومن يقومون بتغطيته جهات وأنظمة موالية للتوجه الغربي سواء برضاها أو غير رضاها؟ ما الذي يمكن أن نجنيه من الحوار إذا كان الطرف المحاور المسموح له بالحوار من الجانب الإسلامي طرفاً غير مختلف مع الغرب (التيار الرسمي ثقافياً أو دينياً)؟ ما الذي نجنيه من الحوار إذا كان الطرف الإسلامي المختلف مع الغرب ممنوعاً من الحوار داخل الوطن وخارجه؟ وهل نحن نملك مقومات وآليات ومناخ الحوار داخل الديار الإسلامية نفسها كي نخرج بالحوار إلى الآخر؟ هل من عاقل يُصدق هذا الهراء أن ثمة حواراً يمكن أن يدور بيننا وبين الغرب على أسس عادلة، وقيم موضوعية، واحترام متبادل؟ أي حوار هذا وإعلامنا العربي والإسلامي يعتمد على الإعلام الغربي حتى في تغطية الأحداث الجارية على الأرض العربية والإسلامية؟ أي حوار هذا وتسعون بالمائة من برامج أطفالنا الكرتونية (أكثر البرامج مشاهدة) أمريكية الصنع؟ أي حوار هذا ومنظمات المجتمع المدني في البلدان العربية والإسلامية (التي يفترض أنها مؤهلة لذلك بحكم استقلاليتها عن الحكومات وتعبيرها عن اتجاهات الرأي العام) تعمل وفقاً لأفكار العولمة؟ أي حوار هذا وإعلامنا العربي يعمل وفق المعايير الغربية مهنياً وأخلاقياً وقيمياً؟ أي حوار هذا ومناهج التعليم والتدريب الإعلامي في بلداننا منقولة من الغرب في ظل غياب المراجعة والرؤية النقدية؟

إنه حوار العبيد مع الأسياد، أو حوار المتفقين قبل أن يلتقوا؛ فهل ينكر أحد أن بعالمنا العربي تياراً يؤيد العولمة والحضارة الغربية ويرى الحل والإصلاح في تلمس خطاها وتبنى نموذجها؟ وهل ينكر أحد أن هناك من ينتمي إلى فكرة انتهاء الأيديولوجيات، وأننا نمر بعصر زوال القوميات ومن بينها القومية العربية، وأن الاعتبار الوحيد الجدير بالاهتمام هو المصلحة الاقتصادية، وأن الظروف لم تعد تسمح إلاّ بالانخراط في العولمة؟ والأدهى من ذلك أن هناك من ينفى فكرة الغرب التي تنظر للإسلام كعدو استناداً إلى خطابات وتصريحات المسئولين الأمريكيين سواء الموجهة إلى مسلمي أمريكا أو مسلمي العالم للاستهلاك والخداع (اعتذار الرئيس بوش للمسلمين عن قوله "لتكن

حربا صليبية" بصدد حربه على أفغانستان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر مُبرراً ذلك بأنها "زلة لسان" بينما يؤكد علماء اللغة أن ما يُسمى بزلات اللسان هو تعبير حقيقي عن أفكار دفينة داخل النفس البشرية يحرص الإنسان على إخفائها ولا تخرج إلاّ في مثل هذه المواقف).

إن منظومة الغرب متكاملة في هذا الصدد. حتى على المستوى الفكري ثمة أمريكيون يقترحون التعامل مع الحركات الإسلامية الثورية باحتوائها بدلاً من مواجهتها ويرون أن هناك مبالغة وتحريفاً لطبيعة الإسلام(١٦) وهى رؤية حقيقية وصحيحة لكن تصديقها والاستدلال عليها في الدفاع عن الأفكار والسياسات الأمريكية هو أمر في غاية الخطورة لسبب رئيسي وهو أن هذه الرؤية استثناء مؤقت مرتبط بالمصلحة الأمريكية وغير فعال ومنعدم التأثير الايجابي على صورة الإسلام لدى الرأي العام الأمريكي.

إن فكرة الحوار في حد ذاته سواء كان حضارات أو أديان بيننا وبين الغرب مجرد وسيلة تنويم ثقافي. أومُسكّن طبي سريع المفعول حتى لا تكون هناك شكوى من الآخر المُعتدى المُستغل.

ومما تقدم يتبين أن الأساس الفلسفي للعولمة يقوم على ثلاثة أفكار أساسية: الترغيب بالعولمة. الترهيب بالصدام. التنويم بالحوار. انعكست على السياسات العربية فجعلتها الأكثر التزاماً بالهرولة نحو الولايات المتحدة أو الخوف من الصدام معها أو النوم العميق تحت أنغام الحوار.

ويتولد من هذه الأفكار الأساسية أفكاراً فرعية من أهمها:

- **الفردية:** وتعنى أن حقيقة الإنسان في الكون هي فرديته. فكل ما عدا المرء غريب عنه لا يعنيه. فهي فردية تقوم على تخريب الرابطة الجماعية (العائلة. القبيلة. المدينة. الوطن...) بحيث يتحلل الفرد تماماً من الشعور الجماعي ويصبح مؤمناً بأن وجوده لا يكمن في انتمائه لجماعة أو لطبقة أو لأمة. ملغياً بذلك كل ما هو جماعي ليبقى إطار واحد هو الإطار العولمي.

- **الحرية من دون مسئولية:** وهى حرية مطلقة بلا ضوابط يمارس فيها الفرد خياراته الشخصية ومصالحه الخاصة دون مراعاة لأية اعتبارات تخص الآخرين أو حتى الوطن ذاته – لأنه في هذه الحالة لا يوجد وطن من أصله بالمعنى الحقيقي السيادي للوطن باستثناء وطن العولمة ومركزه في الولايات المتحدة الأمريكية – وهى حرية تتكامل مع مبدأ الفردية السابق فتكرس مبدأ النزعة الأنانية التي تعتبر القاعدة والركيزة الأساسية لليبرالية الجديدة المتوحشة (المعولمة). والفرد لا يهمه إلاّ الربح الخاص وتحقيق المنفعة الخاصة وينسى تماماً ما يُسمى بالمنفعة العامة التي لا توجد فقط إلاّ في وطن العولمة. فالكل يتنازل عن الشعور العام والمنفعة العامة لصالح العولمة. وعلى المؤسسات والجماعات والدول – إذا أرادت أن تنخرط في تيار العولمة- أن تعي أن انتماء الإنسان وولاءه ينبغي أن يكون للمصالح والمكاسب التي يجنيها فقط (رفض القيم الروحانية).

▪ **الحياد السلبي:** وما دام كل فرد حر وله حق الاختيار فهو "**محايد**" وحتى الناس الذي يعيش بينهم والأشياء التي تحيطه "**محايدون أيضاً**" وبالتالي فلا توجد مسئولية تقع على أحد. ولا قيم يتم الالتزام بها. ولا مبادئ يتم الارتباط بها. فالناس متحللون من كل شيء لا يفعلون إلاّ ما يُرضي رغباتهم وأهوائهم. ونظراً لأن الحياة بلا التزام تُغرى كثير من النفوس البشرية بغض النظر عن معتقداتها الدينية. فثمة كثير من الشباب والفتيات والنساء من آمن بفكر العولمة وثقافتها.

▪ **طبيعية الفروق البشرية:** فالعولمة تنظر إلى الفوارق بين الأغنياء والفقراء. بين المستغلين والمستغلَين. بين الجلاد والضحية. بين الغالب والمغلوب كفوارق طبيعية. كالفرق بين الليل والنهار وبين الشتاء والصيف. وأن هذه الفوارق ناجمة عن التنافس الطبيعي في الحياة.

▪ **الاعتقاد بغياب الصراع الاجتماعي:** لأن التسليم بهذا المبدأ يكرس الاستسلام للعولمة والانخراط فيها أو- بتعبير عابد الجابري- يُكرس التطبيع مع الهيمنة لعملية الاستتباع الحضاري الذي يشكل الهدف الأخير للعولمة. أما الصراع فقد يؤدى إلى الخروج من التاريخ والحكم على الرافضين للعولمة بالزوال والانقراض.

▪ **محاكاة القيم والأبنية الغربية الرأسمالية:** يتعين على غير الغربيين في سائر مناطق العالم من مختلف الجنسيات والأعراق والطوائف أن يلتفتوا إلى ما لدى المجتمعات الرأسمالية من منظومة قيم أو أبنية سياسية وثقافية واجتماعية ليحاكوها ويلتزمون بها ويعملون على تطبيقها في بلدانهم لأن هذا هو الطريق الوحيد لأن يعيشوا داخل التاريخ ويلحقوا بحضارة العصر "العولمة" خاصة في ضوء انتهاء الصراع بين الرأسمالية والشيوعية لصالح الأولى. فالالتزام بقيم الرأسمالية هي المعيار الأساسي للنجاح. ولا مجال لقيم نظم ترتبط بعقائد أو فلسفات أو مذاهب أخرى[١٧].

▪ **الإخلاص لثقافة واحدة:** للعالم في عصر العولمة ثقافة واحدة يتعين على الفرد والمجتمع أن يتبناها لأن هذا هو ما يكفل الانجاز السليم للمصالح والبلوغ اليسير للأهداف. وبمقدار ما يخلص الفرد لهذه الثقافة ينهل من خيرات العولمة. وهذا حقه طالما أنه أخلص لها ومنحها الانتماء والولاء ولم يلتفت لوطن أو جماعة أو عقيدة أو قيم. وأدرك أن انتماءه الوحيد للدين الجديد "العولمة"[١٨].

▪ **رفض الآخر وحضارته:** على الآخر- أيا كانت بيئته- أن يدرك جيداً أنه أمضى زمناً طويلاً من العيش في مجتمع متخلف. وكل ما كان لديه لم يُسهم في تغيير أوضاعه على النحو الأفضل. وأن عليه أن يغادر ذلك كله صوب مجتمع تضمن له فيه العولمة حياة يتجاوز معها ما كان يعيش فيه من بؤس وحرمان. وأن العولمة في جوهرها مشروع للهيمنة يتجه نحو نفي حضارات الآخرين ولا يعترف بالتعددية الثقافية ولا يقر بالذاتية الحضارية ولا يتسامح مع الديانات الأخرى. ويرى في الحضارة الإسلامية مثل ما يرى في غيرها خطراً على الحضارة الغربية. ويأتي هذا في إطار إعادة رسم خريطة الوطن العربي جغرافياً وتغيير نُظمه السياسية وإعادة صياغة نظمه التعليمية والتربوية والسيطرة على مؤسساته الإعلامية والدينية ولا سيما التي ينظر إليها على أنها عقبة أمام مسيرة العولمة[١٩].

■ **المكانة الأمريكية:** النموذج الأمريكي – بحكم تفوقه - عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً وإعلامياً هو المركز/القلب في فكر العولمة وعلى الآخرين أن يدركوا حدود قوتهم في العلاقة مع الولايات المتحدة. وأن يتصرفوا وفقا للمسار الذي تحدده لهم. مسار ما أسمته بالنظام العالمي الجديد أو العولمة.

مراجع وهوامش الفصل الثاني

١/ عواطف عبد الرحمن. الإعلام والعولمة البديلة (القاهرة: العربي للنشر والتوزيع. ٢٠٠٦).

٢/ حسنين توفيق إبراهيم. العلاقة بين أطروحتي نظام عالمي جديد وعولمة. مجلة منبر الحوار. العدد ٣٧. لبنان. ١٩٩٩. ص٧٢

٣/ السيد فليفل. مرجع سابق.

٤/ مصطفى المصمودي. ما بين الإعلام والسياسة في القرن الحادي والعشرين. مجلة شؤون عربية. العدد١٠١. مارس ٢٠٠٠.

٥/ صبحي غندور. مرجع سابق. ص٨٤-٨٦.

٦/ المرجع السابق نفسه.

٧/ اعتمد الباحث في رصده لمضمون وآثار العولمة الاقتصادية على شواهد الواقع وتحليله ونقده لكتابات كل من:

- محسن احمد الخضيرى. مرجع سابق. ص٣٧-٤١.
- فرانسيس فوكوياما. نهاية التاريخ. ترجمة حسين أحمد أمين (القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر) ١٩٩٢.

٨/ جلال أمين. العولمة. سلسلة اقرأ. العدد ٦٣٦. القاهرة: دار المعارف. ص٥١-٥٢.

٩/ المرجع السابق. ص٥٤.

١٠/ السيد ياسين. مفهوم العولمة. مجلة المستقبل العربي. العدد ٢٢٨. مرجع سابق. ص ٦.

١١-Anthony. M. Townsed, Network Cities and the Global structure of the Internet, American Behavioral Scientist, Vol. ٤٤. No.١٠, Sage Publications, Inc, P.١٩٧

١٢/ محسن احمد الخضيرى. مرجع سابق. ص ٤٦.

١٣/ وردت هذه المقولات في: عبد الوهاب المسيري. الإسلام والعولمة. القاهرة: الدار القومية العربية. ١٩٩٩. ص ٨٤- ٨٥.

١٤/ ألفت حسن أغا. الأصولية الإسلامية في الإعلام الغربي. سلسلة كراسات إستراتيجية. العد ٢٥. القاهرة: مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية. يناير ١٩٩٥ ص٧.

١٥/ صمويل هنتجتون. صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي. ترجمة طلعت الشايب. القاهرة: سطور. ١٩٩٧.

١٦/ يتبنى هذه الرؤية جون اسبوزيتو الأستاذ بجامعة (جورج تاون) وجراهام فوللر الباحث بمؤسسة (راند) المحلل السياسي السابق بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية. انظر: محمد حسام الدين. العولمة وصورة الإسلام. القاهرة: المدينة برس. ٢٠٠٢. ص١٥-١٦.

١٧/ حماد إبراهيم. مرجع سابق. ص٢-٣.

١٨/ المرجع السابق نفسه.

١٩/ المرجع السابق نفسه.

الفصل الثالث: عولمات متعددة في عالم واحد

تداخل بين أنواع العولمة وأبعادها وأهدافها ومزاياها ومخاطرها

الثقافية – الاجتماعية– التربوية – القانونية –

الأمنية – السلطوية – الإنسانية "البديلة" – المضادة

البعد الثقافي (العولمة الثقافية)

تُعتبر العولمة الثقافية من أخطر أنواع العولمة ليس فقط لأنها تتصل مباشرة بالوجود أو العدم، الحياة أو الفناء، نكون أو لا نكون. ولكن لأنها من أكثر أنواع العولمة تخطيطاً وتدبيراً. فالتهيئة الثقافية من خلال وسائل الإعلام والمعلومات أمر يجرى قبيل أي محاولة عولمية سياسية كانت أم اقتصادية أم عسكرية أم تعليمية...الخ. وبالتالي لا يمكن صناعة الإنسان الاستهلاكي أو المادي أو غير المُنتمي إلاّ من خلال فعل ثقافي يعتمد بالدرجة الأولى على الإكثار من المواد الترفيهية والمسلية والقاتلة للوقت بكافة أشكالها بالإضافة إلى الإعلانات.

وقد أُحكم هذا الأمر جيداً بإقامة تعاون وتزاوج واندماج بين هذا وذاك (برامج التسلية مع الإعلانات) فأصبح المُعلن هو الذي يُصيغ ثقافة المشاهد وذوقه وقيمه وحتى أخلاقياته. مما أدى إلى تزايد ظاهرة برامج التسلية برعاية الشركات الإعلانية.

ولم يقتصر الأمر على المجال الاقتصادي أو الاستهلاكي والأخلاقي. بل إنه ثابت في كل المجالات. فعمليات تشكيل الرأي وتوجيهه. وصياغة المواقف الخاصة والعامة نحو القضايا والأحداث المؤثرة تتم عبر فعل ثقافي معلوماتي من الدرجة الأولى يقوم فيه الإعلام بصناعة الرأي – لاحظ هنا استخدام كلمة صناعة- للإشارة إلى عمليات التضليل والتزييف والخداع والحذف والتشويه والتقديم والتأخير والتهوين والتهويل والإبراز والدفن واللاتوازن في العرض...الخ (صناعة الرأي العام العالمي نحو العراق في الحالتين الأولى ١٩٩٠ والثانية ٢٠٠٣، وكذلك نحو القضية الفلسطينية وغيرها).

نخلص من ذلك إلى خطورة العولمة الثقافية وتأثيراتها على كافة الجوانب الأخرى للحياة وخاصة: الثقافة الوطنية أو المحلية، الخصوصية الثقافية، الهوية، الانتماء والولاء، العقيدة والدين، الأخلاقيات والقيم، والعادات والتقاليد، طريقة التفكير ونمط الحياة من المأكل والمشرب والملبس والموسيقى والفن ومفهوم الحرية والمقاومة والصمود والعنف والإرهاب والجهاد ومظاهر التعبير عن الفرح والحزن . السلوك بوجه عام.

وقد عبر عن خطورة هذا الأمر فوكنر وزير الخارجية الكندي الأسبق بقوله "لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في صناعة الثقافة، حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار، وإنما تثبيت الأفكار أيضاً[١] والعولمة الثقافية يختلف معناها والموقف منها من المؤيدين إلى المعارضين".

التيار المؤيد لعولمة الثقافة: يرى هذا التيار أن العولمة الثقافية تعنى انتقال تركيز اهتمام ووعى الإنسان من المجال المحلى إلى المجال العالمي، ومن المحيط الداخلي إلى المحيط الخارجي، حيث يزداد الوعي بعالمية العالم وبوحدة البشرية. وستبرز بوضوح الهوية والمواطنة العالمية التي ربما ستحل تدريجياً – وربما على المدى البعيد – محل الو لاءات والانتماءات الوطنية، وستنظر الإنسانية إلى ذاتها ككتلة واحدة ذات مصير واحد وبقاء وفناء واحد. وتشترك مع بعضها البعض في قيم عميقة، وتتخطى كل الخصوصيات الحضارية والثقافية. ففي ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بعده العالمي ويتعرف على هويته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر. كما أن بروز الهوية في ظل العولمة لا يعنى تلقائياً تراجع أو تهميش أو نفى الهوية الوطنية للفرد أو تهديداً للهوية المجتمعية[٢]. كما يتصور أنصار هذا التيار أن عولمة الثقافة تمر بثلاث مراحل أو آليات[٣].

■ الأولى:
تفقد فيها الدول الصغيرة خصوصية ثقافتها تحت ضغط الاجتياح الثقافي العالمي، حيث تتخلى بالتدريج عن خصائصها الثقافية التي تذوب في ولصالح الثقافة العالمية الواحدة، ويتحول الموروث الثقافي في هذه المرحلة إلى مجرد تراث حضاري يهدى إلى الطريق السليم ولكنه لا يفرض على العولمة هويته، بل يستجيب تدريجياً وطوعياً لاتجاهاتها.

■ الثانية:
يحدث انقسام وتفكك وتصدع ثقافي وحضاري يؤدى إلى ظهور الثقافة الوطنية في صورة باهتة عاجزة عن تقديم التصورات والشخصية الراقية، بينما تظهر ثقافة العولمة كنموذج أفضل للثقافة الإنسانية، خاصة – على حد قول محسن الخضيرى – في مجال تحقيق العدالة الاجتماعية وحق الإنسان في الحياة الأفضل، وفى اكتساب هوية ثقافية أرقى وأكثر انفتاحاً.

■ ظهور منافذ وجسور تعبر عليها الثقافة الوطنية إلى ثقافة العولمة لتصبح اختياراً من الأفضل إلى الأفضل، وهذا الانتقاء الثقافي لن يلغي ثقافة وحضارة الآخر، بل سَيبقى عليها ويساهم في تحولها من نطاقها المحلى الضيق إلى آفاقها العالمية الواسعة فارضاً احترامها وتقديرها من جانب الآخرين بمختلف انتماءاتهم وعقائدهم.

ثم لا يكتفي الخضيرى بهذه الأوهام التي لا تستند على واقع أو حتى إلى سوابق تاريخية، ولكنه يدعو الجميع بأن يقبلوا العولمة كحتمية وبديهية سيتم التوصل إليها كنتاج لكل الثقافات، لأن الجديد فيها مجرد تفاعل حركي ارتكازي على ما سبق وأنتجته ثقافات العالم، فالانتخاب الثقافي للعولمة ما هو إلاّ نتاج تلاقح للثقافات الوطنية عبر بوابات التعولم.

وعليه فإن ثمة خلط كبير بين عالمية الثقافة، وعولمة الثقافة، صحيح أن هناك ثقافة عالمية ولا بأس ولكن ثقافة العولمة شان آخر سيتضح بالتفصيل ليس فقط من آراء المعارضين، ولكن من مجرد عرض خصائص ثقافة العولمة.

ويستند أنصار هذا التيار إلى بعض المقولات السائدة عن "**سوسيولوجيا التحديث**" وإيجابيات الاحتكاك الثقافي، والتي تقول أن الانتشار الثقافي الناتج عن نقل ثقافة المجتمع الحديث (الرأسمالي أو العولمي) إلى المجتمع التقليدي، من شأنه أن ينقل المجتمع التقليدي إلى مرحلة الحداثة. ومن ثم يستطيع تخطى الفارق الزمني الذي يفصل بين المرحلة التي يعيش فيها، وبين المرحلة التي يعيش فيها المجتمع الحديث(٤) كما يرون أن العولمة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التذويب بل تُعيد تشكيلها أو حتى تطويرها لتتكيف مع الحاضر. فالإنسان يتجه نحو إمكانية أن يعيش بهويات متعددة مثل المهاجرين(٥).

التيار المعارض لعولمة الثقافة:

يستند هذا التيار إلى مجموعة من الأفكار والحقائق من أهمها:

- عدم صحة الفكرة التي تقوم على "**سوسيولوجيا التحديث**" إذ أن التبادل الثقافي أمر غير وارد بين ثقافتين غير متكافئتين. كما أن الاحتكاك والانتشار الثقافي لم يساعد الدول الفقيرة في تخطى مرحلة التخلف. ولم يقدم لنا التاريخ أنموذجاً لذلك. بل على العكس. فإن الدول التي اعتمدت على ذاتها هي التي حققت خطوات نحو التقدم (اليابان. الصين. ماليزيا. اندونيسيا. الهند. إيران. تايوان. وغيرها) بينما ظلت كل الدول تقريباً التي اعتمدت على الغير سواء الولايات المتحدة أو الاتحاد السوفيتي سابقاً كما هي. بل هناك من يرى أنها تدهورت إلى الأسوأ والواقع يدلل على ذلك ومعظم الدول العربية نموذجاً لذلك. حيث وقعت- نتيجة الاحتكاك بالغرب خاصة- في ازدواجية انفصامية ما بين رغبة في تحقيق الانفتاح الاقتصادي وحرية السوق، وما بين غريزة الديكتاتورية المتسلطة سياسياً واقتصادياً مما أفرز نموذجاً موسعاً من الفساد الاقتصادي والسياسي أدى إلى صناعة اقتصاديات هشة. اقتصاد شكله جميل، لكنه أجوف من الداخل. حقق بعضه معدلات فائقة من النمو. ومن تراكم الثروة. ولكن بدون عدالة اجتماعية. اقتصاد بدون أعمدة إنسانيه قوية تسنده وتسانده. يتضح ذلك من تراجع معدلات التنمية في كل الدول العربية. بما فيها حتى دول النفط البترولية. وابتلاع رؤوس الأموال في حروب لا هدف لها إلاّ استنزاف الثروات لصالح مُنتجي السلاح من الدول الكبرى التي وجدت الفرصة سانحة في تأجيج نيران الحروب الحدودية للتخلص من بعض الأسلحة. وبسط الحماية. وفرض الوصاية. وتأجير جيوشها. لتأمين موارد هائلة تنفق منها على برامجها الاقتصادية والاجتماعية. وتعتمد عليها بشكل أساسي في تمويل ميزانياتها "**اقتصاد الحرب**" الذي أصبح سمة أساسية مميزة للاقتصاد الأمريكي الحديث والمعاصر وخاصة العولمي منه (أي منذ حرب الخليج الأولى مروراً بالثانية والثالثة والممتدة على الشرق الأوسط الكبير كله ولم تنته بعد).

- إن حالات التبادل الثقافي غير المتكافئ أدت وتؤدى تدريجياً إلى فقدان الثقافة الأدنى لمقومات استمراريتها. ومن ثم تفككها وانهيارها مما يخلق إشكالية كبرى على صعيد الهوية. وعلى نمط الحياة الاجتماعية من جراء العولمة الثقافية أو ما يطلقون عليه الاختراق أو الغزو الثقافي(٦).

▪ إن الثقافة لا تُعولم، وأن أية عولمة لها هي في حقيقة الأمر هيمنة لثقافة معينة على الثقافات الأخرى، هيمنة تستند فيها تلك الثقافة إلى قوة من خارج مجال الثقافة، سواء كانت هذه القوة مستمدة من مجال التكنولوجيا، أو من مجال الاقتصاد، أو من القهر السياسي(٧).

▪ استحالة قيام ثقافة معولمة، لأن العولمة حتى إذا انتشرت في مجالات أخرى، فإنها لن تمتد إلى مجال الثقافة، لأن الثقافة قادرة على الاحتفاظ بتنوعها بوسائل عديدة طالما بقيت الفروق البشرية واختلاف المواقع والتجارب والتاريخ. ولذا تساءل المفكر العربي **محمد سيد أحمد**: هل من الممكن أصلاً الجمع بين المصطلحين "**عولمة الثقافة**" بينما تنبثق الثقافة وتتطور وتثمر في موقع معين؟ هل تقبل الثقافة "**التعولم**" أم تظل غير مؤهلة أصلاً لهذه الخاصية؟ وتعود الإجابة للنقطيين السابقتين(٨).

▪ تنصرف العولمة الثقافية إلى تحطيم القيم والهويات التقليدية للثقافات الوطنية، والترويج للقيم الفردية الاستهلاكية الأمريكية، والمفاهيم الاجتماعية الغربية بصفة عامة، واعتبار تلك القيم والمفاهيم هي وحدها المقبولة كأساس لتعاون الدول في ظل العولمة. وتستند هذه الحقيقة إلى عدة وقائع: الهجوم الإعلامي الغربي وخاصة الأمريكي على القيم الأسيوية واعتبارها مسئولة عن الأزمة المالية الأسيوية سنة ١٩٩٧، ودعوته للدول الشرق أسيوية إلى التخلي عن تلك القيم كشرط للخروج من الأزمة - سعى الاتحاد الأوربي إلى تغيير بعض القيم الدينية في الدول العربية المطلة على البحر المتوسط بحيث تتوافق مع القيم الأوربية وفقاً لما أشارت له صراحة الوثيقة المُسماة "**الإستراتيجية المشتركة للاتحاد الأوربي في المتوسط**" والتي أصدرها مؤتمر قمة الاتحاد الأوربي في يونيو عام ٢٠٠٠ – تصريح رئيس البرلمان الأوربي في المنتدى الاقتصادي الدولي في دافوس يناير ٢٠٠٣ بأن "**مشكلة ضم تركيا للاتحاد الأوربي ليست مشكلة سياسية بل هي مشكلة قيم**" في إشارة واضحة لمنظومة القيم الأوربية كنموذج مهيمن يجب أن تقبله تركيا كدولة إسلامية أو حتى علمانية تدين بالإسلام – سعى القوى المحافظة في الغرب وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية إلى استهداف الإسلام كعدو جديد للغرب، وافتعال صراع حضاري جديد بينهما يتمكن بموجبه الغرب من فرض قيمه الثقافية نهائياً(٩). - تتعارض العولمة الثقافية مع الهوية القومية وتسعى للقضاء على التنوع الثقافي وإحلال الثقافة الغربية أو الأمريكية بشكل خاص محلها، وذلك من خلال توحيد العالم في منظومة قيمية وفكرية واحدة تستجيب دون مقاومة لمتطلبات ومصالح السوق العالمية(١٠) وهي بذلك فعل اغتصاب ثقافي وعدوان رمزي على سائر الثقافات، إنها رديف الاختراق الثقافي الذي يجرى بالعنف المسلح على الثقافة فيهددها في كل المجتمعات التي تبلغها هذه العملية(١١).

والعولمة الثقافية وفقاً لهذا التيار تتعارض تعارضاً تاماً مع قواعد القانون الدولي ومع طبيعة العلاقات الدولية، كما أنها تتعارض كلية مع الاقتصاد الوطني، ومع السيادة الوطنية، ومع قانون التنوع الثقافي(١٢).

البعد الاجتماعي (العولمة الاجتماعية)

ثمة تداخل منطقي بين العولمة الاجتماعية والأنواع الأخرى للعولمة وخاصة الاقتصادية والثقافية والإعلامية والتكنولوجية، ولذلك تقول أحد التعريفات الشاملة والمهمة للعولمة: أن العولمة في الحقيقة هي عولمة نمط معين من الحياة شاع الاعتقاد بضرورة تبنيه وإتباعه[١٣].

ومن أهم ما يتضمنه الجانب الاجتماعي للعولمة: تطوير العلاقات الاجتماعية على كل المستويات جغرافياً واتصالياً وإنسانياً وثقافياً...الخ في محاولة لتحقيق التكيف والتقارب والتوافق والتناغم والمصالحة والانسجام بين شعوب العالم التي عانت من الاختلافات والصراعات فترات طويلة على أن يتم ذلك بسرعة مذهلة لا توجد معها فواصل زمنية، وحرية مطلقة لا توجد معها ضوابط ومعايير وانفتاح بلا حدود لا يوجد معه احتمال للتراجع أو التردد.

هذه هي الفلسفة الاجتماعية للعولمة، وهي في الحقيقة ليست عملية انسجام ومصالحة ولكنها عملية استلاب لوعي البشرية وإرادتها لصالح قوى عظمى مهيمنة على الوعي، وعلى الإرادة، وعلى الإدراك، من خلال توسيع نمط الاستهلاك، وتنميط السلوك وكافة جوانب الحياة الاجتماعية مثل التعود على الوجبات السريعة والملابس الكاجوال والملابس الجينز وسماع الموسيقى السريعة الصاخبة وبطاقات الائتمان والمحلات الضخمة متعددة الأغراض Mega-Malls وشبكات التسوق عبر التلفاز والفضاء الالكتروني واقتناء الأطباق الفضائية اللاقطة والاعتماد الكلي على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والحاسبات المتقدمة والفضائيات لتحل محل الأنماط التقليدية في العلاقات الاجتماعية وقضاء الوقت مما أدى إلى اندثار صلة الرحم وغياب اللقاءات المباشرة وزيادة التفكك الاجتماعي والأسري وتغير نمط علاقات القرابة وأساليب الحياة الاجتماعية بشكل عام.

ومن أشكال التنميط والنمذجة أيضاً فرض الأعباء الاستهلاكية وتقبل الناس لها كعبودية اختيارية، حيث يندفع الناس إلى استهلاك أكثر من حاجاتهم (في حالة التسوق من المحلات الضخمة)، وإلى صرف نقود لا يملكونها أصلاً (في حالة بطاقات الائتمان)، وإلى استهلاك سلع لا يحتاجون إليها، وتناول أطعمة تحت ضغط الدعاية والإعلان، وشراء ماركات معينة، والشراء من أسواق معينة لتحل لغة العلامات التجارية محل لغة الكلام والتفكير والمقارنة. وفي كل الأحوال تتبدل الحياة ويدخل الناس في عالم جديد، عالم تختفي فيه العلاقات الأصيلة تحت طغيان مظاهر الزيف والتفاعل بالرمز والإشارة عن بعد[١٤] إنها صيغة قابلة للانتشار في شتى مناحي الحياة كما يتضح في كل أنواع العولمة الأخرى.

لقد أعادت العولمة ترتيب العلاقات الاجتماعية ونسقها القيمي فجعلت العالم يعيش مرحلة عدم استقرار وخلخلة اجتماعية واسعة وتهيئة للتخلي عن الأصالة والتراث وكافة أشكال القديم والمنقول والموروث، وتقبل كل ما هو غربي/أمريكي جديد، إنها تريد خلقاً من جديد ليس له جذور ولا انتماءات قبلية أو عرقية أو قومية أو حتى أخوية أسرية، إنها حياة الفردية أو الفردانية.

البعد التربوي التعليمي (عولمة التعليم)

يُعتبر المجال التعليمي والتربوي هو الأهم من نوعه بالنسبة للعولمة وهو الأخطر بالنسبة للطرف المُنفذ للعولمة: ليس فقط لارتباطه بالأطفال والشباب الذين يشكلون حاضر الأمة ومستقبلها فحسب. بل لأنه يشكل ذاكرة الأمة وتاريخها ووعيها وإدراكها وثقافتها وهويتها ومعتقداتها الدينية والسياسية والأيديولوجية. وأنساقها القيمية وأبنيتها الاجتماعية. فالتعليم مُتعدد المضامين ومرتبط مباشرة وبشكل أساسي بنهضة المجتمع وتقدمه. كما انه مُتعدد الأبعاد والعناصر فهو نظام أو نمط إداري. وفلسفة اقتصادية. ورسالة اجتماعية شاملة. ومناهج أو مضامين. وأساليب وطرق تربية وتعليم. ومربون معلمون. ونشء يمثل مستقبل الأمة كما ذكرنا. ولقد طالت العولمة كل هذه الأبعاد والعناصر:

▪ فتوسعت الملكية والإدارة الخاصة للتعليم (خصخصة التعليم) وظهرت كبديل يساهم في حل مشكلة عجز الدولة في استيعاب وقبول كل التلاميذ والطلاب في نظامها التعليمي بدءاً من المرحلة الابتدائية وانتهاء بالجامعة وحتى الدراسات العليا بكل مراحلها إلى الدكتوراه – هذا من جانب- ومن جانب آخر حل مشكلة شرائح كبيرة من الأسر المقتدرة مادياً وتعانى من ضعف المستوى التعليمي لأبنائها وعدم حصولهم على الدرجات المناسبة للالتحاق بالتعليم الحكومي. وخطورة التعليم الخاص تكمن في أنه مشروع تجارى استثماري خاص. تُسيطر عليه الأهداف الخاصة لصاحب المشروع والتي قد تتعارض مع الأهداف العامة للمجتمع. فإذا اهتم بالجودة قد لا يحظى بإقبال أولياء الأمور عليه نظراً لمستوى طلابهم كما أشرنا. وحتى إن اهتم بالجودة فستكون – في الغالب – من قبيل الدعاية التي تستهدف مزيداً من إقبال الطلاب (أي مزيداً من الربحية). ولذلك يلجأ إلى جودة من نوع آخر - غير إتقان الرسالة التعليمية والمعايير الصحيحة والدقيقة لتقويم الطلاب- تشمل المباني والأدوات والوسائل التعليمية وهياكل تنظيمية واستخدام التكنولوجيا وتسهيل الخدمات الطلابية بمقابل مادي. ورفع أجور الأساتذة والمعلمين لكي يكون ولائهم للسياسة التعليمية وبرمجة شخصياتهم مُتسقة مع النظام السائد. وتسهيل حصول الطلاب على درجات أعلى من مستواهم وإبلاغهم بها أول بأول حتى يمكن تجنب عملية الرسوب لأي أحد. وتجزئة الدرجات إلى اختبارات عديدة وتوزيعها على فترات زمنية لتوفير كل الضمانات لنجاح وتفوق الجميع أو الغالبية العظمى.

▪ أما المعلمون والأساتذة فقد هرول معظمهم إلى المدارس والجامعات الخاصة التي تدفع –من أموال الطلاب- راتباً أعلى كأحد المرغبات لاستقطاب الصفوة منهم. ولا أنسى يوم أن قال لنا عميد إحدى الكليات: يجب أن تنسوا تماماً القيم التي كنتم تعملون بها في جامعاتكم الحكومية. وتعلموا أن بقائكم مرهون بمدى قدرتكم على الانفصال والازدواجية والتكيف مع الـ System ويقصد بـ System نظام الجامعة التي نعمل بها. فالطالب على حق دائماً ويجب احترامه إذا كان جيداً. واحتوائه إذا كان سيئاً. إنها حالة تخريب وتخلي عن القيم التي تحفظ للأستاذ هيبته واحترامه وبالتالي قدرته على التأثير وتشكيل شخصية الطالب. كما أنها حالة تخريب للطالب أيضاً الذي

يتعود على فقد أهم قدوة في حياته وفى أهم مرحلة يتشكل ويتكون فيها. إن الانخراط في العولمة سيُدهور مستوى الطلاب والأساتذة معاً ليس فقط تربوياً وتعليمياً، ولكن بحثياً ومعرفياً أيضاً ويكفى ما عبر عنه أحد أساتذة علم الاجتماع بقوله: إن الباحثين عن المعرفة في ظل العولمة - وخاصة في العلوم الاجتماعية- يعملون على طريقة ماك في الحصول على المعرفة السريعة، وفى تنظيم البحوث بطريقة نمطية على المنوال نفسه الذي ينظم به عمال ماك شطائرهم، حيث يؤدون أعمالهم من أجل إعادة إنتاج المعرفة لا من أجل خلقها. فالباحث يعرف مكونات بحثه كما يعرف عامل ماك مكونات شطيرته[١٥].

▪ التوسع في انتشار موضة مدارس اللغات أو المدارس الأجنبية، واحتكارها ليس فقط لأبناء الطبقة "الهاي" كما كان سائداً، بل واحتكارها لمعظم أبناء الصفوة المثقفة والطبقة فوق المتوسطة باختلاف توجهاتها الفكرية والاجتماعية والسياسية، فضلاً عن شرائح الحرفيين والمهنيين والتجار الذين يمتلكون المال بغض النظر عن مستوياتهم التعليمية. فأصبح هناك إجماع على ضرورة التحاق الأبناء بالمدارس الأجنبية رغم ما يمارسه الآباء من انتقادات شديدة للتعليم الأجنبي، وتلاشت الفروق بين اليسار واليمين والوسط في هذا الشأن. وقد يكونوا معذورين في ذلك ما دام التعليم الأجنبي يضمن لهم فرصة عمل لا تُتاح لنظرائهم أو حتى من أفضل منهم من خريجي التعليم العربي، إضافة إلى الهالة المعنوية والاجتماعية التي توليها مؤسسات ومنشآت العمل العربي لخريجي التعليم الأجنبي وخاصة الأمريكي والبريطاني.

إنه من الصعب على كثير من رافضي العولمة ودعاة الأصالة أن يُضحوا بمستقبل أبنائهم في زمن العولمة من أجل الحفاظ على الهوية والعقيدة، ليس لأنهم يؤثرون المصلحة الخاصة على العامة، ولكن لأنهم ليسوا واثقين من أن هناك مناخاً جماعياً أو مجتمعياً يُقدِّر ذلك، وبالتالي لن تكون مصلحتهم إلاّ ضرباً من "اللاواقعية" وظُلم الأبناء وضياعاً للأولاد والمجتمع معاً. إن المجتمعات العربية- باستثناء محاولات الإخوان المسلمون التي تُحارب وتُحاصر ويُضَّيق الخناق عليها – تخلو من أي نظام تعليمي يكون بديلاً عن نظام العولمة، وحتى النظام الرسمي للدول يشهد تغييرات جوهرية تمس العقيدة والتاريخ واللغة العربية والتربية الوطنية والقومية بشكل قد يؤدى إلى خدمة المخططات الصهيونية والأمريكية والحضارة العربية عامة، وكل ذلك تحت لافتة "التطوير أو إصلاح التعليم" على نحو يجرى تفصيله في النقطة القادمة.

▪ تعديل أو تغيير مناهج التعليم العربي "الإصلاح والتطوير". وفى هذا الصدد ليس لم يجد الكاتب أفضل مما كتبه حماد إبراهيم، حتى وإن طال[١٦]:

لم يظهر هذان المصطلحان بهذه الكثافة في وسائل الإعلام الدولية والعربية إلا إبان اكتشاف الولايات المتحدة لمدى الضعف الذي وصلت إليه الأمة العربية، حسبما تجلى أثناء إعدادها للعدوان على العراق وعقب احتلاله، حيث ساد مؤسسات صنع القرار الأمريكي شعوراً قوياً بأن الوقت مهيأ

لدعوة الدول العربية إلى إصلاح تعليمها وتطويره. وأن اختيار الدول العربية لموقف (الصمت) تجاه احتلال دولة عربية كان ثمرة من ثمرات التهديد التي سبقت العدوان وصاحبته مما دعا الولايات المتحدة إلى أن تنقل التهديد إلى مجال آخر يتصل بمؤسسات صناعة الذاكرة الوطنية وبناء العقل الجمعي في المجتمعات العربية.

إن الضغوط الأجنبية في الدعوة إلى التطوير لا تتركز في علوم الكيمياء والأحياء أو الرياضيات والحاسب الآلي وتكنولوجيا المعلومات مثلاً. بل إن الخطاب الأجنبي والأمريكي في دعوة الدول العربية والإسلامية إلى إصلاح مناهجها التعليمية وتطويرها يخلو تماماً من هذا الأمر. وكل الوفود الأجنبية التي تكالبت على بلادنا في الفترة الأخيرة لم تعبأ بتسجيل أي ملاحظة أو انتقاد على ما يجرى تدريسه في هذه المجالات. فهل يعنى هذا أنها مناهج عصرية تسهم في بناء جيل واع وقادر على التعامل مع قضايا العصر ومشكلاته؟

إن صمت القوى الأجنبية عن دعوة مؤسساتنا العربية إلى التطوير في هذه المجالات أو العلوم يعكس حرصها على إبقاء الوضع التعليمي على ما هو عليه بما لا يسمح للإنسان العربي بالتفوق في علوم ذات بعد تطبيقي تسهم كثيراً في صناعة النهضة والتقدم وتُهيئ للأمة فرص امتلاك مصادر القوة على النحو الذي يحفظ لها مكانتها في العالم المعاصر ويُضعف من فرص الأجنبي في تهديد مصالحها أو الإساءة لها (التهديدات الأمريكية والغربية لإيران بسبب ملفها النووي نموذجاً).

على العكس من ذلك تماماً نلاحظ حضوراً مكثفاً للدعوات الأجنبية /الأمريكية إلى "الإصلاح والتطوير" في مجالات بعينها تتصدرها علوم الدين والتاريخ واللغة العربية والتربية الوطنية والقومية؛ ففي مجال التربية الدينية يتركز الاهتمام على استبعاد آيات قرآنية متعددة ذات علاقة بتصور الإنسان المسلم نحو (الآخر) وحذف أحاديث نبوية تعرض لسنة الرسول علية الصلاة والسلام على النحو الذي ينزع من العقلية المسلمة عودتها إلى (الأسوة الحسنة) وحرمانها من أن تجعل الرسول قدوتها في التعامل مع المشاكل التي تواجه المجتمعات الإسلامية. ويُلاحظ أن جُل التدخلات الأمريكية في مجال التعليم الديني تصب في مجرى تنقية التعليم من تلك المعارف التي تتصل: بعقيدة الجهاد في الإسلام، أو التي تُرسخ قيماً تُسهم في وحدة العالم الإسلامي وتعزيز مسئولية الإنسان المسلم في نصرة أخيه، والوعي بضرورة عدم موالاة الكفار، والاستعداد للتضحية بالنفس فداء لنصرة العقيدة، والفهم العميق للجذور التاريخية – من المنظور الديني- منعاً للصدام مع الحركات الصليبية والصهيونية.

وفى مجال التاريخ تتزايد الضغوط من أجل حذف تلك المواد التعليمية التي ترتفع بمستوى وعى الجيل الجديد تجاه معارك المسلمين في مواجهة الحملات الصليبية التي شنها الغرب على العالم الإسلامي، وتجاه المشروع الاستيطاني لليهود في فلسطين الذي يلتزم بشعار تاريخي يقوم على فرض السيطرة من النيل إلى الفرات، كما تتجه خطط الإصلاح والتطوير المزعوم نحو تصفية

الروايات التاريخية التي تقوم على تمجيد عدد من رموز الإسلام والعروبة ممن أبلوا بلاء حسناً في مواجهة الحملات الصليبية والحركة الصهيونية؛ كي لا تُتاح للأجيال الشابة في الوطن العربي والدول الإسلامية فرص التعرف على جوانب مضيئة من تاريخ أوطانهم ما كان لها أن تحدث لولا وجود قادة أو زعماء أو مصلحين نذروا أنفسهم لخدمة أمتهم، واستحقوا أن يكونوا أبطالاً، فتحولوا إلى(منارات) في تاريخ الأمة. ولا شك في أن نجاح المخططات الأجنبية في هذا المجال تعنى – في التحليل الأخير – قطع الصلة بين ماضي الأمة وحاضرها وقتل الأمل في نفوسها وحرمان الأجيال الناشئة من الاستفادة من تاريخ هؤلاء الأبطال، لأن تدريس سير البطولة والفداء يمد الأجيال بإحساس قوى في مستقبل أفضل، انطلاقاً من الأمة التي صنعت مجداً كبيراً في عصور سابقة يُمكن أن تصنع مجداً أكبر في حاضرها، وإذا ملكت إرادة التغيير فعليها أن تقرأ جيداً (قانون) التقدم والنهضة الذي أمسك بهم أسلافهم في مجالات مختلفة.

وفى مجال اللغة العربية فهي تتعرض من (بني الوطن) أو(المنتسبين إليه اسماً) ممن ينظرون إليها على أنها (لغة متحفية عفا عليها الزمان) ويدعون إلى هجرتها طالما أنها تمثل عقبة أمام التواصل والتفاعل مع الحضارات الأخرى، ولدينا في الوطن العربي شرائح أو فئات اجتماعية يعيبها كثيراً أن تُرسل أطفالها إلى مدارس ومعاهد وكليات تعتمد العربية لغة للتدريس فيها أو تلتزم بالمناهج العربية لوزارات التربية والتعليم، بينما تعتبر هذه الفئات والشرائح أن إرسال أطفالها إلى مدارس ومعاهد تعتمد على المناهج الأمريكية والبريطانية مصدراً للفخر والمباهاة يمنحهم إحساساً بالمكانة الاجتماعية المميزة التي تضع حداً فاصلاً بينهم وبين غيرهم من المواطنين الذين اعتادوا إرسال أطفالهم وأبنائهم إلى مؤسسات التعليم الرسمية. وإذا كان لهذا الانقسام بين الفئتين أساسه الاقتصادي الذي يتيح للفئة الأولى الإنفاق على التعليم الأجنبي بينما لا يتيح للفئة الثانية مجرد التفكير فيه، فإن لهذا الانقسام آثاره الثقافية والتربوية الخطيرة على المدى البعيد، حيث ينشأ جيلان في مجتمع واحد ويترعرعان وفقاً لأنظمة تربوية وقيمية متباينة.

أولها: يقوده النظام التعليمي البريطاني أو الأمريكي إلى قيم ورؤى وتصورات ومبادئ واتجاهات وأنماط سلوك ترتبط بالمجتمع الذي أسس هذا النظام وأنشأه لخدمة أهداف تخصه وترتبط بمشكلاته وقضاياه وتحديات بيئته، وثانيها: يقوده النظام التعليمي العربي، وهذا النظام بطبيعة الحال له (خصوصية) يستمدها من بيئته العربية ويتجه نحو ترسيخ مجموعة من الأفكار والمبادئ والاتجاهات والقيم وأنماط السلوك التي تتفق مع أهداف الدول العربية وتستجيب لمواجهة التحديات والمشكلات المثارة في المجتمعات العربية وترتبط في الأصل بعقيدته وتراثه الثقافي والحضاري.

مثل هذا الانقسام يعتبر مصدراً رئيسياً لزيادة حدة التفتيت الاجتماعي والثقافي والفكري في المجتمعات العربية، وهذا هو جوهر المهمة الرئيسية للعولمة في المجال التعليمي (التفكيك من الداخل) في ظل وعى الاستعمار التقليدي بضرورة تجاوز (الإبادة من الخارج) وهو نشاط مقصود تحكمه فلسفة محدده ؛ وهى أن عمليات التغيير من الخارج لا قيمة لها ولا أمل في نجاحها ما لم تستند إلى (قاعدة اجتماعية داخلية) تتشكل من بعض الفئات والشرائح التي ترتبط مصالحها

الاقتصادية بضرورة مساندتها للمشروعات والاستراتيجيات الأجنبية في الوطن العربي والدفاع عنها وتبريرها والعمل على تجميلها لدى ما تبقى من فئات اجتماعية أخرى ما تزال تتبنى موقف الشك والحذر والرفض تجاه هذه المخططات.

▪ إن الدعوة إلى "إصلاح وتطوير التعليم" تأتي في إطار دعوة شاملة للتغيير خاصة بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١، حيث رصد التقرير الاستراتيجي الخليجي لعام ٢٠٠١/٢٠٠٢ العلاقة بين النظام التعليمي والأمن العالمي،وركزت التحليلات على البنية التعليمية التي تؤدى إلى إحياء أفكار الغلو والتطرف وتنعش بيئة الإرهاب وتوجهت الاتهامات إلى مناهج التعليم والدراسة في دول الخليج وخاصة في السعودية، وتركزت الحملة المنظمة في الولايات المتحدة والغرب عامة على ضرورة تغيير النظام التعليمي وتنقيحه مما يدعو إلى التعصب أو يحض على الفتنة والكراهية وهى نفس ما دعت إليه القمة الخليجية ٢٠٠٤، كما توالت أصداء ١١ سبتمبر على مع معظم الدول الإسلامية في مجال التعليم : فقال الرئيس اليمنى على عبد الله صالح أن قرار إغلاق المعاهد الدينية في بلاده أبعد اليمن عن ضربة كانت مؤكدة في سياق الحملة ضد الإرهاب، واتجهت باكستان إلى إغلاق المدارس الدينية مقابل ما يزيد على مائة مليون دولار وعدت بها الولايات المتحدة باكستان لبناء معاهد ومارس عصرية، كما دعت وزارة التربية والتعليم الكويتية القوى السياسية والاجتماعية والاقتصادية في البلاد على المشاركة في إمكانية وسبل إصلاح النظام التعليمي، وتشكلت لجان لدراسة النظام التعليمي السعودي، وسرعان ما أصبح الملف التعليمي في الخليج أكثر أهمية من الملف الأمني في ظل النظرة للنظام التعليمي باعتباره البوابة الأولى لتكريس الأمن العالمي واجتثاث فكر ما يسمى "**بالإرهاب**" من جذوره "**تجفيف المنابع**".

الجانب القانوني (العولمة القانونية)

كان من الضروري أن تستند العولمة سواء في إيجابياتها المزعومة أو في ومخاطرها المؤكدة إلى تشريعات إضافية تسهل لها القيام بمهام وتبرير أفعال، وكلاهما في مصلحة القوى المستفيدة من العولمة سواء كانت دول أو شركات، تشمل هذه التشريعات كل المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والفكرية والمعلوماتية والتكنولوجية والإعلامية والإنسانية...الخ. ويخضع تفسير هذه التشريعات عند العمل بها لوجهات نظر ومصالح قوى العولمة، ويتوقف تنفيذها من عدمه على إرادة هذه القوى أيضاً ؛ فهناك العديد من القرارات والقوانين والمعاهدات والاتفاقات الدولية التي تستند إلى واقع وحقائق وأدلة لا تقبل الشك وضربت بها إسرائيل عرض الحائط، بينما توجد قرارات ومعاهدات قامت على الباطل والظلم وتستند إلى أكاذيب ومغالطات (قرار غزو العراق الأخير٢٠٠٣) ورغم ذلك تم تنفيذها مخالفة للشرعية الدولية باستخدام القوة العسكرية، أي أن هناك استخدام من قبل قوى العولمة للمنظمات الدولية وأجهزتها المختلفة وتوظيفها في تحقيق مصالحها مما أدى إلى ازدواجية التشريع الدولي، وظهر جلياً توقف عملية تنفيذ وتطبيق القرارات الدولية على مبدأ وحيد هو (القوة)، فوكالة الطاقة الذرية وخلفها قوى العولمة لا يمكنها مراجعة الملف النووي الكوري رغم التهديدات والانتقادات التي تواجهها من كوريا الشمالية، بينما يخضع الملف الإيراني لمراجعة مغلوطة وغير عادلة وتستهدف منع التقدم العلمي وليس الأغراض

العسكرية كما خضع الملف العراقي من قبل وكان الجسر الذي عبر عليه الاحتلال الأمريكي.
وعلى هذا الأساس اتجهت العولمة إلى[١٧]:

- ازدياد دور التشريع الدولي في حكم العلاقات ما بين الدول وداخل نطاق كل دولة. وتنامي قدرة السلطات التشريعية الدولية وتطورها بشكل سريع وفعال سواء في إصدار القوانين أو في وضع الضوابط الحاكمة لها. ومن ثم فإن ما كان يُطلق عليها تشريعات محلية حاكمة ومتحكمة سوف تتلافى وتندمج في التشريعات الدولية ويُصبح التشريع الدولي هو الأساس وهو المرجع عند الاختلاف حتى لو تعارضت معه القوانين المحلية أو الخاصة.

- ازدياد دور المحاكم الدولية وامتداد سلطات التنفيذ الدولية إلى خارج الدولة. وتزايد سطوتها غير المحدودة في تنفيذ الأحكام أو القرارات التي أصدرتها المحاكم أو المنظمات الدولية.

- ازدياد قوة القضاء الدولي وامتداد ولايته لشمل كل أنحاء العالم ولجوء المؤسسات والأفراد إليه في قضاياهم المحلية والدولية.

العولمة الأمنية (العولمة الإرهابية)

تعتبر العولمة الأمنية جزءاً أساسياً وظاهراً في زمن العولمة السياسية التي نتعرض إليها بالتفصيل في الفصل القادم. وقد أشار توني بلير رئيس وزراء بريطانيا إلى هذا المفهوم الأمني الجديد

"**العولمة الأمنية**" وعنى به "أن يكون لحلف الأطلنطي مهام أمنية جديدة في أماكن متفرقة من العالم والتي تحتاج إلى تدخل الحلف لحسم النزاعات"[١٨]. وقد تجسد هذا المفهوم في الدور الذي اضطلعت به بريطانيا مع دول أخرى كحلفاء لواشنطون في تدمير العراق ٢٠٠١ من أجل النفط وأهداف أخرى بحجة تحرير الكويت.

ويُضاف إلى العولمة الأمنية مفهوم آخر وهو "**إجراءات بناء الثقة**" كطريق لحل الصراعات الإقليمية وهو مفهوم مزدوج. حيث تتم الإجراءات حينما يكون لدول الجنوب مطالب إزاء الشمال بينما يتم التغاضي عن تلك الإجراءات وما تأخذه من وقت إذا كان لدول الشمال مطالب عند دول الجنوب[١٩] فالصراع العربي الإسرائيلي يحل فقط بإجراءات الثقة ومن الطرف الفلسطيني العربي وحده. ولكن الصراع الأنجلو/أمريكي – العراقي لا يحل إلاّ باستخدام القوة المسلحة!

وتتخذ العولمة الأمنية من العولمة الإنسانية – التي نتعرض لها لاحقاً- وما تُسميه "**التهديدات الأمنية الجديدة**" ذريعة لها؛ فباسم "**حقوق الإنسان**" و"**الديمقراطية**" تمارس الدول الدافعة والمستفيدة من العولمة حقها في التدخل العسكري أو ما تُسميه "**بالتدخل الإنساني**" بدعوى مراقبة وحماية تطبيق هذه المفاهيم (الحالة الأفغانية والعراقية أمثلة واضحة لذلك. بيد أن هذا التدخل عادة ما يكون تدخلاً انتقائياً يتم فقط عندما تُنتهك مصالح الدول الداعمة للعولمة ويتم

التغاضي عنه إذا تمت حماية تلك المصالح ولو على حساب الشعوب وسيادة الدول (الحالة العراقية في مقابل الحالة الإسرائيلية).

أما "التهديدات الأمنية الجديدة" في نظر العولمة - ليست الاحتلال الإسرائيلي التوسعي الدموي ولا العدوان والغزو الأنجلو /أمريكي على المجتمعات العربية والإسلامية ولا التهديدات المروعة للأنظمة والشعوب المعادية - ولكنها تشمل ما تُسميه: "بالإرهاب" (المقاومة الوطنية والدفاع المشروع والجهاد الإسلامي). أنظمة غير ديمقراطية. أنظمة تفرخ الإرهاب أو تدعمه. دول محور الشر. دول تسعى لامتلاك السلاح النووي. تجارة المخدرات وغسيل الأموال والهجرة غير الشرعية بجانب التهديدات الأمنية التقليدية كامتلاك أسلحة الدمار الشامل واحتلال الأراضي[٢٠].

وبسبب هذه الازدواجية والتناقضات والأعمال الإرهابية التي تقوم بها السياسات الأمنية للعولمة فإن هذه الدول المُستفيدة منها لا تزال تشعر بضرورة مواصلة التسلح وتعزيز حلف الأطلنطي وتكوين قوات التدخل السريع مما يُثير شكوك بقية بلدان العالم إزاء النوايا الفعلية لتلك السياسات. خاصة وأنها تشجع على سباق التسلح التقليدي في بلدان العالم الثالث – التي تبتلع معظم مواردها المالية – كما تقوم بتنشيط ذهنية ورغبة هذه الدول على حل نزاعاتها من خلال القوة والحرب لتعود قوى العولمة تلعب دور الوسيط السياسي المعلن وتاجر السلاح الخفي. وتلعب الولايات المتحدة تحديداً دور الشرطي الدولي على نطاق واسع باعتبارها القطب الأوحد والأقوى حالياً[٢١].

وباعتقادي أن العولمة الأمنية هي في حقيقتها عولمة إرهابية تقوم بها القوى المُستفيدة من العولمة دول وشركات متعدية القومية. أنجلو/أمريكية في الغالب. صهيونية الايدولوجيا في الأساس. معتمدة على تهميش دور الأمم المتحدة وتعظيم دور الحلف الأطلنطي مع التوسع المستمر في نطاق عملياته.

العولمة الإنسانية في مقابل العولمة السلطوية (الحياة في مقابل المال)

العولمة السلطوية:

هي العولمة التي يجرى تنفيذها والعمل على استمرارها ويلمسها الجميع شعوباً ومسئولين. وتحظى بترويج إعلامي كاسح بكل أبعادها السياسية والإرهابية والاقتصادية والثقافية...الخ. بينما لا تحظى العولمة الإنسانية في كافة المجالات إلاّ باهتمام ضعيف نظراً لفقر إمكاناتها وخاصة الاقتصادية والإعلامية. فالعولمة السلطوية ليست بها جوانب إنسانية على الإطلاق. وما يرد فيها من إنسانيات هو مجرد ذرائع لتحقيق مصالح العولمة السلطوية.

والعولمة الجارية الآن على أرض الواقع سواء السياسية منها أو الاقتصادية أو الثقافية هي العولمة السلطوية. وهى بلا شك تعكس مفهوم الهيمنة تارة والأمركة تارة أخرى، وهى لا تستطيع أن تلتزم بما تدعيه في الجوانب القانونية أو الإنسانية. لأن القانون الدولي والشرعية الدولية تعرقل بل تفشل كل مخططاتها وأهدافها. كما أن الجوانب الإنسانية تعوق تحقيق أهدافها الاقتصادية. ولذلك فهي تحاول دائماً أن تستتر وراء القانون وحقوق الإنسان.

والعولمة السلطوية في أحد تعريفاتها هي: ما تسعى السلطات الأقوى إلى ترويجها حتى تكاد تكون نوع من الشمولية العالمية. وهي فرض وإقحام وتدعيم وتوحيد نمط حياة يزعمون نجاحه وتفرده. ومن ثم فهي تسعى مثلاً لفرض: أيديولوجية واحدة. نظام سياسي واحد. موقف واحد من الدين. منهجية واحدة. لغة واحدة. طريقة تفكير وتكوين للمفاهيم واحدة[٢٢]. وهم في ذلك كله يزعمون عكس ذلك ويدعون أن كل هذه الأمور مشتركة وليست واحدة. ويبدو أن مفهوم "مشترك" يعنى لديهم أن يكون الجميع نسخة واحدة "**الشمولية بعينها**" ولكنها هذه المرة أكثر قسوة واستبداداً.

العولمة الإنسانية:

فهي العولمة التي يحلم وينادى بها فلاسفة ومفكرون ومثقفون كعولمة بديلة لعولمة السلطة. وهذا النوع من العولمة "**العولمة البديلة**" يعاني كثيراً من الترويج لأفكاره. لأنه يفتقد الوسائل الإعلامية الخاصة به. كما لا تلقى أفكاره قبولاً في إعلام العولمة – أي عولمة السلطة – ولذلك يعتمد بشكل أساسي على الانترنت.

ونظراً لضآلة مستخدمي الانترنت وخاصة في العالم الثالث. بالإضافة إلى استخدام الغالبية له في الدردشة والبريد والمحادثات الالكترونية لرخص سعره بالمقارنة مع البريد العادي والمكالمات الهاتفية وقلة استخدامه في متابعة الموضوعات الفكرية وخاصة ذات البعد الدولي كما أشارت كثير من الدراسات إلى نخبوية استخدام الانترنت في هذا المجال بالذات. فإن الانترنت كوسيلة إعلام لم ولن يكفِ لنشر ثقافة العولمة البديلة. خاصة في ضوء عدم اهتمام الإعلام العولمي بتغطية ومتابعة بعض المؤتمرات والمظاهرات التي تصب في اتجاه السعي والمناداة بعولمة بديلة تقوم فعلاً لا قولاً وحقيقة لا تضليلاً بالاهتمام بقضايا البشر وخاصة المُهمشين. قضايا الفقر والمرض والصراعات العرقية وحقوق الإنسان والديمقراطية والبيئة والعدالة الاجتماعية وانخفاض معدل الجريمة ووقف نزيف الحروب الأهلية والحدودية وتقرير المصير للشعوب المحتلة ونشر السلام والأمن والأمان وتأمين حق الناس في الحياة بمعناها الحقيقي "**الحياة الكريمة**" وحمايتهم من الاحتكار الاقتصادي العالمي والاستبداد والإهمال الداخلي والاستلاب الثقافي وتفريغ الهوية وإضعاف المعتقد الديني وفرض النمط الاستهلاكي والغربي في الحياة من خلال عبودية الاختيار وليس حرية الاختيار...الخ من المآسي والآلام والأوضاع التي يُعانى منها الإنسان. إنسان الأكثرية وليس إنسان الأقلية المسيطرة مالياً وسلطوياً.

فالعولمة الإنسانية تستوعب الاختلاف من أجل التكامل وليس من أجل سيطرة الأقوى، وتسعى لتدعيم وتنوع أنماط التفكير الخاص واللغة الخاصة القابلة للترجمة وطرق تكوين المفاهيم والأيديولوجيات مفتوحة النهاية. كما تسعى لتدعيم وتنمية نظم سياسية متنوعة ومتغيرة، فالحرية الحقيقية ليست بالضرورة الديمقراطية الغربية كما يروج فوكوياما لأن الموقف الإبداعي مفتوح النهاية على عكس ما ذهب إلية فوكوياما في نهاية التاريخ[٢٣].

العولمة المضادة:

وهي ليست عولمة إنسانية ولا يجب أن تكون عولمة بديلة للعولمة الحالية (عولمة السلطة) لأنها عولمة مُعارضة أو مضادة لا من أجل الإنسانية، ولكن من أجل مصالح القوى التي تعبر عنها، فالعولمة المضادة عولمة تسعى إلى وقف اجتياح العولمة السلطوية الجارية حالياً لتحل محلها أو تشاركها في إدارة شئون العالم واقتسام ثروات ومقدرات الشعوب، وبالتالي فهي عولمة تشترك فيها أكثر من قوة ليست بالضرورة أن تكون قوى متجانسة الاتجاهات والتوجهات والأيديولوجيات والقيم ولكن مصلحة واحدة تجمعهم هي وقف زحف العولمة الحالية التي تُخضع وتُقهر العالم كله لصالح قوة واحدة تستأثر بنصيب الأسد، وقد تُعطي الفتات لمن لا يُخالفها كما تفعل الولايات المتحدة مع قلة من الدول الأوربية كبريطانيا وايطاليا وأسبانيا مثلاً.

ولذلك فإن قوى عديدة يمكن أن تجمعها مظلة العولمة المضادة وتشمل كل القوى السياسية التي يمكن أن تتأثر مواردها ومقدراتها وحاضرها ومستقبلها بفعل العولمة الحالية كألمانيا وفرنسا والصين واليابان والهند وغيرها من كافة دول العالم، إلاّ أن هذه الدول ليست مضادة للعولمة القائمة حالياً بدرجة واحدة.

فألمانيا وفرنسا في المقدمة، وأوربا بشكل عام لأنها الطرف المقابل في الصراع على اقتسام الغنائم، تليها الصين واليابان، ثم دول أخرى بما في ذلك القوى السياسية المعارضة داخل الدول الصامتة الخائفة التي لا تملك بسبب ضعفها وخوفها من فعل العولمة إلاّ أن تساير الاتجاه العولمي كما هو الحال في الدول العربية والإسلامية.

ولنا أن نتصور لو أُتيح لهذه القوى مثل فرنسا وألمانيا واليابان والصين وغيرها ممن تأتي في المرتبة الثانية على المستوى الأفقي من قوى العولمة أن تهيمن على إدارة العولمة، فإنه بطبيعة الحال قد توقف أو تخفف من الزحف الأمريكي الكاسح لكنها ليست بالضرورة أن تكون عولمة في صالح شعوب العالم كله، بل قد تسعى في الغالب إلى صبغ العالم كله بقيمها وأنماط حياتها، وقد تسعى قوة واحدة منها أو قوتان إلى فرض نموذجها على العالم كله، أو على الأقل تُدير شئون العالم لصالحها كما تفعل العولمة الحالية.

ففي نهاية المطاف تأتي العولمة المضادة كعولمة صراع وسباق على الهيمنة والسيطرة، صحيح أنها قد لا تصل إلى جبروت العولمة الحالية، ولكنها لن تكون عولمة بمعنى التقارب والعالمية.

لذا فإن العولمة التي يُفترض أن تسود العالم وتحظى بدعم ومساندة الشعوب والمثقفين والإعلام هي العولمة الإنسانية التي تتخذ من خدمة الإنسان وحل مشاكله وتوفير احتياجاته الضرورية والأمنية هدفاً لها في محاولة على المدى البعيد لفرض قيمها وقوانينها وأهدافها على القوى العولمية المهيمنة على إدارة شئون العالم. وهي عولمة نادي بها الإسلام وحدد أطرها وآدابها والأسس القانونية للتعامل البشري فيها والمبادئ الأساسية لإدارة شئون البشرية. بل وإدارة العوالم الأخرى كعالم الجن والطير والنبات والحيوان والبحار والأرض والطبيعة.. الخ.

مراجع وهوامش الفصل الثالث

١/ عمرو عبد الكريم، العولمة: عالم ثالث على أبواب قرن جديد، المنار الجديد، ص٤٤.

٢/ سالم يفوت، هويتنا الثقافية والعولمة، مجلة فكر ونقد، سبتمبر ١٩٩٨ ص٣٧-٤٣.

٣/ محسن احمد الخضيري، مرجع سابق، ص٤٤-٤٥.

٤/ أحمد مجدي حجازي، العولمة وتهميش الثقافة الوطنية: رؤية نقدية من العالم الثالث، عالم الفكر العدد(٢) أكتوبر /ديسمبر، ١٩٩٩، ص١٣٦.

٥/ حيدر إبراهيم، العولمة وجدل الهوية الثقافية، عالم الفكر، العدد (٢) أكتوبر /ديسمبر، ١٩٩٩، ص١٠٤.

٦/ أحمد مجدي حجازي، مرجع سابق، ص١٣٧.

٧/ محمد سيد أحمد، حول ندوة العولمة الثقافية في جامعة ليون بفرنسا، صحيفة الراية القطرية، ١٩٩٨/٧/٢، وأعيد عرضه في: حيدر إبراهيم، مرجع سابق، ص١٠٤.

٨/ المرجع السابق نفسه.

٩/ محمد السيد سليم، آثار العولمة على العالم الإسلامي ٢٠٠٢/٣/٣٠ المنشور على موقع .WWW.Voiceofarab .com\Modules.Php? Name= Conect&Pa=Showpage&PID=١٨\K

١٠/ عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة،مرجع سابق ص٢١.

١١/ عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية: عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة، المستقبل العربي، العدد٢٤١، مارس ١٩٩٩، ص٩٨.

١٢/ عبد العزيز التويجري، الهوية والعولمة من منظور حق التنوع الثقافي، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة" إيسيسكو"، ١٩٩٧، ص١٨.

١٣/ جلال أمين، العولمة والدولة، مرجع سابق، ص٩٨.

١٤/ أحمد زايد، مرجع سابق، ص٢٠.

١٥/ المرجع السابق نفسه، ص٢٠-٢١.

١٦/ حماد إبراهيم، مرجع سابق، ص٤-١٠.

١٧/ محسن احمد الخضيري، مرجع سابق، ص٥٠-٥٢.

١٨/ محمد السيد سليم، مرجع سابق.

١٩/ المرجع السابق نفسه.

٢٠/ المرجع السابق نفسه.

٢١/ مصطفى المصمودي، مرجع سابق.

٢٢/ يحيى الرخاوي، العولمة والأحداث الجارية والطب النفسي، دراسة منشورة على الموقع التالي للانترنت: //:http .www.elazayem.com

٢٣/ المرجع السابق نفسه.

الفصل الرابع

الآثار الإيجابية والسلبية

للعولمة السياسية على الإعلام العربي

العولمة السياسية:

العولمة في المنظور السياسي تعنى أن الدولة لا تكون هي الفاعل الوحيد على المسرح السياسي العالمي، ولكن توجد إلى جانبها هيئات متعددة الجنسيات ومنظمات عالمية وجماعات دولية وغيرها من التنظيمات الفاعلة التي تسعى إلى تحقيق مزيد من الترابط والتداخل والتعاون والاندماج الدولي، بحيث تكف الدول عن مراعاة مبدأ السيادة الذي يأخذ في التقلص والتآكل تحت تأثير حاجة الدول إلى التعاون فيما بينها في المجالات الاقتصادية والبيئية والتكنولوجية وغير ذلك، مما يعنى أن السيادة لا تكون لها الأهمية نفسها من الناحية الفعلية، فالدول قد تكون ذات سيادة من الناحية القانونية، ولكن من الناحية العملية قد تضطر إلى التفاوض مع جميع الفاعليات الدولية، مما ينتج عنه أن حريتها في التصرف بحسب مشيئتها تصبح ناقصة ومقيدة(١).

ويؤكد د.عابد الجابري على ذلك بقوله: "العولمة نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، وبالتالي فإنه يعمل على التفتيت والتشتيت وإيقاظ أطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب بعد أن تضعف إرادة الدولة وهوية الوطن"(٢).

وهناك العديد من التعريفات الأخرى التي تركز على البعد السياسي وترتبط بالواقع الحالي منها:

- زيادة الترابط والالتحام بين الأجزاء المكونة للكوكب، من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية بصورة لم تشهدها البشرية من قبل، وأصبح اتخاذ قرار سياسي في بلد ما، يمكن أن يؤثر على حياة ملايين من البشر في أماكن بعيدة(٣).

- أما د. محمد عبد الشفيع فيعرفها بأنها (اتجاه جديد لصبغ الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالصبغة العالمية، فأي مجتمع قومي لا يستطيع الانكفاء على ذاته اليوم وإنما لابد أن يدخل في علاقات مفتوحة يُسمونها متعددة الأطراف، وهذا المعنى يجسد هذه الظاهرة العالمية الجديدة)(٤).

- وأخيراً هناك من يعرفها بأنها(غطاء وقناع للإمبريالية)(٥).

وكما هو واضح من سرد للآراء، فان العولمة من المنظور السياسي هي نقل لسلطة الدولة واختصاصاتها إلى مؤسسات عالمية تتولى تسيير العالم وتوجيهه، وهى بذلك تحل محل الدولة وتهيمن عليها.

الفرق بين العولمة والهيمنة
(العولمة وأيديولوجيا العولمة)

إلاّ أن اتجاهاً آخر ينادي به الإستراتيجيون من علماء السياسة يرى ضرورة فك الاشتباك بين العولمة والهيمنة. إذ يرى هؤلاء أن العولمة عملية تطور تاريخي موضوعي لا نملك إلاّ الاستجابة إليها. أما الهيمنة. فهي: "أيديولوجيا العولمة" وهو ما يجب مُحاربته على اعتبار أن الهيمنة انتعاش لموازين القوى السياسية والاقتصادية في العالم لصالح قطب واحد يريد أن يفرض سياسات يسير الكل في ركابها. وهذه محاولة لإعادة نظام السيطرة القديم[٦].

العلاقة بين الإعلام والسياسة في عصر العولمة:

تأخذ العلاقة بين الإعلام والسياسة منذ بداية العقد الأخير من القرن العشرين أبعاداً جديدة سواء من حيث الشكل أو المضمون. فهناك أبعاد قديمة أصبحت أكثر فاعلية وعمقاً سلباً وإيجاباً. وهناك أبعاد استجدت نتيجة مستجدات سياسية واقتصادية دولية أهمها تزايد الأطماع والمصالح الأنجلو الأمريكية في الشرق الأوسط والعالم وبصفة خاصة في العالمين العربي والإسلامي.

وليس من قبيل المصادفة أن يُعلن فرانسيس فوكوياما في أطروحته "**نهاية التاريخ**" ١٩٨٩ أن نهاية التاريخ لصالح النظام الرأسمالي الديمقراطي ومرحلة الانتصار النهائي للنموذج السياسي والفكري الليبرالي[٧]. ثم يأتي صامويل هنتجتون اليهودي الأمريكي في مقاله "**صدام الحضارات**" صيف ١٩٩٣ ليؤكد حتمية صدام الحضارات ويحدد الحضارتين الإسلامية والكونفوشوسية في الطرف المقابل للحضارة الغربية[٨]. في إشارة لصناع القرار ومخططي السياسات الشاملة في السياسة الخارجية الأمريكية إلى أن الصراع لم ينته بتفكك الاتحاد السوفيتي. وأن رهان المستقبل يكشف عن وجود طرفين آخرين (الإسلام والكونفوشوسية).

وليس من قبيل المصادفة أيضاً أن يحظى مصطلح "**النظام العالمي الجديد**" بزخم إعلامي كبير يواكب تدمير قوات الحلفاء بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية للعراق بحجة تحرير الكويت في حرب الخليج الثانية ١٩٩١. ويقع الإعلام العربي وخاصة الرسمي في فخ الشعارات الزائفة التي سُميت خطأ "بالمبادئ" لأن كلمة مبدأ تنطوي على ثوابت سلوكية عادلة. بينما تحطمت "مبادئ" النظام العالمي الجديد على الأرض العربية والإسلامية في العراق وفلسطين والملف الليبي وإثارة الخلافات الحدودية ومحاربة الصحوة الإسلامية وإخماد الحركات الشعبية النشطة...الخ.

وأمام تشويه مصطلح "**النظام العالمي الجديد**" بعد عام على أكثر تقدير من بدء الحملات الإعلامية والدعائية له مع تدمير وتقسيم العراق. استبدل المصطلح بمصطلح آخر هو "**العولمة**" بعدما تأكد للعالم كله بما فيه الغرب أكذوبة بوش الأب التي أطلقها في ١٩٩١/١/١٦ من "أن العالم أمامه فرصة لبناء نظام عالمي جديد يسوده القانون ويُمكّن الأمم المتحدة من فرض مصداقيتها والقيام بواجباتها لحفظ السلام"[٩].

فأين القانون الذي يحكم تصرفات الدول؟ وأين مصداقية الأمم المتحدة؟ وهل هي تقوم بواجباتها؟ وأين هو السلام؟

وقبل الانتقال إلى علاقة العولمة بالإعلام في إطار الفعل السياسي يجب أن نتوقف قليلاً أمام علاقة الإعلام العربي بالنظام العالمي الجديد ليس فقط لأنه أسبق في الظهور والاهتمام الإعلامي من العولمة فحسب ولكن للعلاقة الوثيقة بينهما فهو نظام العولمة الذي أفرزته عبر حقب تاريخية انتهت ببداية التسعينات من القرن العشرين كما أن العولمة نفسها هي عولمة النظام الدولي الجديد فهما وجهان لعملة واحدة وظاهرة واحدة وليسا ظاهرتين. وإن كانا ظاهرتين فهما متلازمتين وليس هناك فارق بينهما إلاّ من حيث ظهور المصطلح كما أشير سابقاً.

وعلية يمكن أن نسجل بعض الاستنتاجات الجديرة بالرصد والتأمل والتي تعكس موقف الإعلام العربي من العولمة السياسية كمدخل أساسي لفهم وتقييم الأدوار والآثار الإيجابية والسلبية للعولمة السياسية على الإعلام العربي:

- إن الإعلام العربي الرسمي كان أكثر ترحيباً من الإعلام الغربي نفسه بالنظام العالمي الجديد وخاصة في بداية التضخيم الإعلامي له وانصهاره في بوتقة العراق ١٩٩١ ظناً منه أن هذا النظام سيقدم حلولاً سلمية ونهائية للصراعات والتوترات في المنطقة العربية والإسلامية. وعندما تبخرت هذه الوعود وحدث العكس وزادت حدة التوترات والصراعات والانتهاكات القانونية وخرق الشرعية الدولية وافتقاد الأمن والأمان لدى الشعوب والأنظمة عاد الإعلام العربي الرسمي ينتقد النظام و"المبادئ" التي روج لها.

- إن ترويج الإعلام العربي الرسمي "لمبادئ" النظام ومفاهيمه الإيجابية دون السلبية لم تكن بدافع التصديق البريء خاصة وأن هذه المبادئ انطلقت من مؤسسة صناعة الكذب في العالم "البيت الأبيض بقيادة بوش الأب" فضلاً عن وجود إجماع عربي – إن لم يكن عالمي- على فقدان الثقة في سياسات الولايات المتحدة الأمريكية نحو الشرق الأوسط خاصة بسبب سياسات الكيان الصهيوني من ناحية والأطماع الإستراتيجية والنفطية من ناحية أخرى.

- إن الدافع الحقيقي لاستمرار الإعلام العربي الرسمي في الترويج والتأييد للنظام وشعاراته الزائفة طوال عامي ١٩٩١،١٩٩٢ هو نتيجة لتبنيه سياسة التبعية المطلقة للأنظمة العربية خاصة في خصوصية علاقتها بالسياسة الخارجية الأمريكية. إلاّ أنه من المهم الإشارة إلى غباء السياسات الإعلامية العربية في تبعيتها للأنظمة السياسية. وغباء الأنظمة العربية الرسمية في تبعيتها لمخرجات السياسة الخارجية الأمريكية بسبب الطاعة العمياء وعدم إعمال العقل أو ممارسة التفكير وتبني سياسة رد الفعل المماثل من جانب المتبوع للتابع والتي تصل في أحيان كثيرة إلى جهل واضح بالمسموح والممنوع والمساحة المتاحة لكل منهما.

▪ ومما يؤكد النقطة السابقة هي تحول الخطاب الإعلامي الأمريكي نفسه من تبنى سياسة التأييد المطلقة للمبادئ المعلنة عن النظام إلى ظهور أصوات عديدة شككت في مصداقية هذه المبادئ على أرض الواقع نتيجة وجود حرية إعلامية مما دفع الإعلام العربي الرسمي متأخراً في العام ١٩٩٣ – أي بعد عامين من تأييده شبه المطلق – إلى تبني اتجاه نقدي وتشكيكي في هذه المبادئ واعتبرها خدعة مؤقتة لإنجاز تدمير العراق وانتشار القوات الأمريكية في الخليج ومزيد من الهيمنة على السياسات النفطية. ومما ساعد في ذلك استمرار وتزايد الدعم الأمريكي للعدوان والاحتلال الإسرائيلي. وفتح الملف الليبي (لوكيربي) واستمرار ضرب وحصار ومعاقبة الشعب العراقي رغم إنهاء عملية تحرير الكويت. ومحاربة الحركات الإسلامية.

▪ إن التزام الإعلام العربي الرسمي بأجندة الإعلام الغربي اليميني المحافظ الداعم على طول الخط للأهداف الصهيومسيحية وخاصة في العالمين العربي والإسلامي لم يكن التزاماً على مستوى القضايا فقط. ولكنه كان التزاماً على مستوى أجنده التفسير وأجنده الاتجاه. بمعنى أن الإعلام العربي الرسمي تبنى نفس المفاهيم التي تبناها الإعلام الأمريكي المحافظ والتي تقدم صورة إيجابية للنظام. كما أن الإعلام العربي الرسمي تبنى نفس الاتجاه الذي تبناه الإعلام الأمريكي المحافظ في دفاعه عن المبادئ المعلنة للنظام والدعوة إلى تصديقها والاقتناع بها. والأكثر من ذلك تبرير بعض الممارسات على المستوى الحركي والتي سُميت علمياً "**بملامح**" نظراً لكونها في طور الإشارات الأولى للنظام.

▪ أن الإعلام العربي غير الرسمي وهو في الغالب إعلام صحفي فقط تبنى خطابات على الرغم من اختلافها في الدوافع والمقاصد إلاّ أنها اتفقت على التشكيك في نوايا النظام العالمي الجديد وانتقاد المبادئ التي روج لها. وكشف التزييف والأباطيل التي تضمنتها هذه المبادئ من تضليل الرأي العام وصياغته على نحو يتقبل أو يبرر السياسة الأنجلو الأمريكية في الشرق الأوسط.

▪ عكست هذه التيارات الإعلامية غير الرسمية ثلاثة تيارات أيديولوجية: التيار الليبرالي. التيار القومي. التيار الإسلامي. وهى تيارات كانت على درجة كبيرة من الوعي لمخاطر النظام العالمي الجديد والمصالح التي يسعى لتحقيقها في الشرق الأوسط والخليج العربي خاصة. إلاّ أن هذه المواقف والتيارات كانت تنطلق من أيديولوجيات وفلسفات تحكمت في: تنوع تفسيراتها. ومدى ثبات مواقفها. والتزامها الأخلاقي أو المصلحي أو العقائدي من النظام ومبادئه ومخاطره ومصالحه ومستقبله وطرق مواجهته والتعامل معه.

▪ أن سلوك النظام العالمي الجديد فيما بعد حرب الخليج الثانية ١٩٩١ أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك خطأ المواقف التي تبناها الإعلام العربي الرسمي وقتذاك في مقابل استنارة وصحة المواقف التي تبناها الإعلام غير الرسمي (الإسلامي والقومي والليبرالي) وعلى الرغم من ذلك فقد وقع الإعلام العربي الرسمي في نفس الخطأ وأمام نفس الأطراف والأهداف (حرب أنجلو أمريكية على العراق)

انتهت بسقوط بغداد في التاسع من أبريل ٢٠٠٣ وأدت إلى مزيد من الهيمنة الأمريكية على قرارات ومقدرات الشعب العربي والمسلم وتصاعد المد والغطرسة الإسرائيلية في فلسطين ودول الجوار وإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط على مستوى الأنظمة والشعوب تحت شعار "الإصلاح" وباسم "الشرق الأوسط الكبير".

▪ إن تكرار نفس الخطأ وأمام نفس الأطراف والأهداف رغم الدروس والتجارب التي أفرزها الموقف السابق للإعلام العربي الرسمي (١٩٩١) إنما يدل على إصرار وسائل الإعلام العربية في استمرار تبعيتها المطلقة للسياستين العربية والأمريكية دون إبداء أية مناورات تساهم في توعية الرأي العام العربي حتى لو من قبيل التوظيف الشكلي لما يُسمى بالحرية الإعلامية وهامش الديمقراطية التي تعيشه البلدان العربية.

▪ لقد استخدم الإعلام مرة أخرى وبأدوار جديدة وأكثر فاعلية في تهيئة الرأي العام دولياً وعربياً لتقبل إسقاط نظام صدام حسين على الرغم من عدم وجود أية أسانيد قانونية أو سياسية أو أمنية يمكن الاستناد عليها لتبرير هذا الفعل حتى في إطار التسليم بالانتهاكات التي ارتكبها هذا النظام في حق شعبه وجيرانه. إلاّ أن خوض الحرب دون قرار من الأمم المتحدة ضاعف من مسئولية الإعلام المعولم في محاولاته لتبرير هذه الحرب وتخفيف حدة المعارضة لها وكسب مساحة من التأييد الإقليمي والدولي وحتى المحلي داخل العراق نفسه.

▪ لقد كان العراق قاسماً مشتركاً في الكشف عن الوجه القذر للنظام العالمي الجديد في العام ١٩٩١ والوجه الأكثر قذارة للعولمة السياسية في العام ٢٠٠٣ ولم يكن من قبيل المصادفة أن يكون الوجه القذر هو بوش الأب في ١٩٩١ والوجه الأكثر قذارة هو بوش الابن في ٢٠٠٣ وكلاهما أعضاء بارزين في إحدى الحركات الصهيومسيحية التي تؤمن بأن الدعم المادي والمعنوي اللامحدود لدولة إسرائيل والكيان الصهيوني هو عمل يرضى الرب وإلزام إيماني وديني يفرضه الإنجيل ويحقق مصالح الولايات الأمريكية في الحاضر والمستقبل.

▪ وقد تأكدت هذه الحقائق على لسان كتاب مسيحيين(١٠) ومسلمين أيضاً حيث يؤكد فهمي هويدي أن القناعات الدينية للرئيس بوش الابن هي صاحبة الدور الأساسي في تحديد وقفه الداعم لإسرائيل وأن ما يفعله في إطار هذا الموقف لم يصدر عن رغبة في التقرب إلى اليهود فحسب لكنه كان أيضاً رغبة في التقرب إلى الله: فقبل أكثر من عام في ٢٠٠٢/٣/١١ كان عنوان غلاف مجلة نيوزويك في كلمتين اثنتين هما: "بوش والرب" وفى الداخل خصصت المجلة حوالي ١٢ صفحة استعرضت فيها الجانب الإيماني في حياة الرئيس الأمريكي الذي بعد أن هداه الله وكف عن الشقاوة اعتبر نفسه من بين الذين "ولدوا من جديد". وهذه ليست صفة، ولكنها عنوان لجماعة تحمل ذلك الاسم وتضم ٦٤٪ من أبناء الشعب الأمريكي (يُقدر البعض عددهم بنحو ١٢٠ مليون نسمة ويرى آخرون أن هذا الرقم مبالغ فيه وأن عددهم لا يتجاوز ٤٠ مليوناً). وهي تقدم الرئيس

بوش وفريقه ممن يوصفون بأنهم من المحافظين الجدد. ووصفتهم المجلة بأنهم الأشد رسوخاً في الإيمان في العصور الحديثة. قائلة كأن الرئاسة تأسست ودُعمت وأرشدت في ظل قوتهم الدنيوية والروحانية. وأضافت المجلة أن الرئيس بوش يؤمن بأن الإرادة الإلهية تحركه وتبارك خطواته. لذلك فإنه قبل أن يترشح للرئاسة جمع نفراً من القساوسة لينال بركتهم. بعدما أخبرهم أنه تمت دعوته لكي ينشد منصباً أرفع. ومنذ تولى منصبه وهو يتصرف كمبشر يتولى منصب القيادة. ويفسر الأحداث تفسيراً غيبياً.

هؤلاء الإنجيليون الذين ولدوا مرة ثانية أصوليون بامتياز. حيث يعتبرون النبوءات التوراتية عموداً فقرياً لرسالتهم. إذ من خلالها يقرأون التاريخ ويفسرون العالم. ويعتبرون أن العالم سينتهي قريباً. وأن المعركة الفاصلة التي ستكون علامة النهاية تعارضها الكنائس الكاثوليكية والأرثوذكسية والإنجيليكانية وتعتبر أطروحاتها(هرطقة لا تستحق المناقشة لاهوتيا). ويرون أن نهاية العالم المحققة للنبوءات التوراتية بدأت عام ١٩٤٨. مع إنشاء الكيان الصهيوني على أرض إسرائيل. ذلك أن تجمع اليهود على أرض الميعاد هو في نظرهم إرادة عليا القصد منها الإعداد للمعركة الفاصلة بين قوى الخير (إسرائيل والولايات المتحدة) وقوى الشر التي تضم كلاً من: العرب والمسلمين والأوروبيين وأيضاً الأمم المتحدة. وستنشب المعركة حسب النص التوراتي الذي يقرأونه. في مرج ابن عامر شمال فلسطين (هرمجيدون أو وادي الملح). في تلك المعركة سيجرى تدمير الأرض. وهو ما يشير إلى عودة المسيح ليحكم العالم ألف سنة. أما اليهود فما عليهم إلاّ أن يشهروا إيمانهم (بالمسيحية) ولو قبل دقائق من وقوع الكسوف الأخير وذلك بأن يقوموا بنسف المسجد الأقصى لكي يبنوا مكانه الهيكل الثالث. تكفيراً عن إنكارهم الطويل لحقيقة أن عيسى ابن مريم هو المسيح الحق. (٧١٪ من الإنجيليين يؤمنون بهذا السيناريو).

الكاتبة الأمريكية جريس هالسل التي ألفت كتابين عن الأصوليين الإنجيليين أو ما يُسمى بـ **"الصهيونية المسيحية"**. تحدثت في كتابها **"يد الله"** عن الحضور الإعلامي القوى لتلك الحركة في الولايات المتحدة. فذكرت أنها تملك وتشرف مباشرة على مائة محطة تليفزيون وألف محطة إذاعة. ويتسع نشاطها الكنسي على نحو مثير للانتباه. حيث يُبشر بتعاليمها ٨٠ ألف قسيس. وفى الثمانينات وحدها تم إنشاء ٢٥٠ مؤسسة وجمعية دينية في الولايات المتحدة. مؤيدة لإسرائيل في إطار الرؤية الصهيونية المسيحية[١١].

لقد حلت العولمة محل النظام العالمي الجديد كفن لتحقيق المصالح بالمصطلحات خلال النصف الثاني من العقد الأخير بالقرن العشرين وبلغت أقصى درجات التجسيد لذلك في احتلال العراق وإسقاط حكومة طالبان والضغوط المتزايدة على السعودية وإيران وباكستان وليبيا ومصر. والعقوبات التي فرضت على سوريا والتحول الكبير في الصراع العربي الإسرائيلي لصالح الطرف الأخير واستخدام الإعلام في الترويج لذلك على نحو لم تعهده البشرية من قبل في قلب الحقائق. وفرض الكذب. وتقديم الباطل على أنه الحق. والحق على أنه باطل. ومحاسبة البريء وإطلاق يد المتهم.

ومعاقبة الضعيف المظلوم ومكافأة القوى الظالم. ووصف الإرهابي بأنه رجل سلام "شارون" ووصف المسالم بأنه إرهابي "عرفات". وحظر الأعمال الخيرية والإنسانية لأسر الشهداء والجرحى، والسطو على أموال حركات التحرر الوطني والمقاومة والتدخل في شئون الدول والقوميات والأديان والثقافات وأنظمة ومناهج التعليم والسياسات الإعلامية. - ونتيجة لما تقدم استخدم الإعلام بشكل أكثر خللاً من القيم والأخلاقيات في التشويه والتعتيم أو التحسين والتبييض لعمليات الصورة فأسست أمريكا قسماً خاصاً في الإدارة الأمريكية، وأطلقت قناة الحرة، وصدرت مجلة النيوزويك العربية، وبيعت مساحات كبيرة في أبرز الصحف العربية انتشاراً كالأهرام المصرية والاتحاد الإماراتية والسياسة الكويتية لنشر مقالات لمستشارين أمريكيين في الشرق الأوسط ومورست الكثير من الضغوط المباشرة وغير المباشرة على الإعلام العربي عبر الحكومات من ناحية، وعبر وكالات الإعلان الدولية والشركات المتعددة الجنسية من ناحية أخرى إضافة إلى الاعتماد الكبير على وكالات الأنباء العالمية التي تخدم في الغالب مصالح الطبقة الرأسمالية اليهودية ذات العلاقة الوثيقة بالإدارة الأمريكية والحركة الصهيونية العالمية.

▪ والأهم من ذلك في توضيح الدور الذي يلعبه الإعلام السياسي في عصر العولمة والذي يصل إلى حد الاعتماد عليه بشكل أساسي لا غنى عنه في إعادة رسم العلاقات الدولية في منطقة ما: هو ما قام به الإعلام الدولي قبيل الاحتلال الأمريكي للعراق (٩ أبريل ٢٠٠٣) من تهيئة العالم كله وحتى العرب والعراقيين أنفسهم من وجود أسلحة دمار شامل في العراق، وحشد الإعلام الدولي كل الفنون والأساليب والأدلة التي توحي بالمصداقية أو على الأقل الاعتقاد بصحة وجود الأسلحة واستند في سبيل إثبات ذلك إلى مصادر متنوعة من خارج السياسة والخابرات الأمريكية مثل الخابرات البريطانية، والمعارضة العراقية، وما كان لأحد حتى كاتب هذه السطور أن يتخيل لحظة ما أن العراق خال من أسلحة الدمار، كما أن الإعلام العربي نفسه لم يتبن مطلقاً براءة العراق من هذه التهمة حتى ولو من قبيل أحد الخيارات المحتملة ولكنه وزع مواقفه بين الخيار الآخر بدرجات متفاوتة واكتفى بنقل الاتجاهات الأمريكية والأوروبية والتي اتفقت على الاتهام ولكنها اختلفت فقط في أساليب التعامل، حيث تبنت فرنسا وألمانيا والصين ضرورة الاستناد على الأمم المتحدة ووكالة الطاقة الذرية بينما تمسكت بريطانيا وأمريكا بضرورة استخدام القوة العسكرية. وبهذا لم يكن للإعلام العربي موقف خاص كما لم يلتزم الحياد الإيجابي ولكنه كان البوابة التي مرت منها الرؤيتين (الخطاب الأمريكي المحافظ والخطاب الرسمي العربي). ومن يتأمل هذا الدور الذي لعبه الإعلام الدولي ومعه الإعلام العربي في إقناع العالم بتواجد أسلحة الدمار الشامل في العراق وما أفضى إليه ذلك من احتلال العراق والتغيير الجذري في السياسة الليبية نحو الغرب والضغوط والعقوبات على سوريا والتوسع في الاعتداء والاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية يمكنه بسهولة إدراك دور الإعلام في رسم وصياغة العلاقات الدولية.

▪ لقد تداخلت العلاقة بين الإعلام والسياسة في عصر العولمة بصورة كبيرة ينطبق عليها القول: أنهما وجهان لعملة واحدة، إذ أن الأهداف أو الوظائف السياسية للعولمة (العولمة السياسية)

أصبحت حاضرة بقوة في أجنده الإعلام الدولي المهيمن الذي تأثرت به وسائل الإعلام العربية الرسمية في كثير من الجوانب والأبعاد(١٢).

الآثار الإيجابية والسلبية للعولمة السياسية على الإعلام العربي

إذا كانت الأدوار السلبية التي يقوم بها الإعلام العولمي أكثر من الأدوار الإيجابية فإن هذا يقود إلى تأسيس أو بناء جديد لنوع خاص من علاقات التبعية بين الإعلام والسياسة. علاقة لا تقوم على تعددية تبعيات كما كان سائداً قبل العولمة وإنما تبعية واحدة على المستوى السياسي (الهيمنة الأمريكية) وعلى المستوى الإعلامي (الإعلام الأمريكي) الذي يحتل نصيب الأسد في الإعلام الدولي سواء في وكالات الأنباء أو الشركات المتعددة الجنسية أو وكالات الإعلان الدولية والهيمنة على سوق الإعلان الدولي والإنتاج الإعلامي والسينمائي(١٣).

وما يؤكد علاقة التبعية والتلاقي في الأهداف هو ما يشكله الإعلام العولمي الآن كجزء إن لم يكن الأساس في البيئة السياسية الدولية. كما أن ثورة المعلومات وتطور تقنيات الاتصال الحديثة أثرت تأثيراً مباشراً في العملية الإعلامية من حيث أساليبها وأهدافها في العمل السياسي والتحرك الدبلوماسي حيث يقدر خبراء ومتخصصين في الإعلام الدولي أن ممارسة الحياة السياسية ستتأثر كثيراً بتطور تقنيات الإعلام. إذ ستكون الديمقراطية قابلة تقنياً للتحقق لأول مرة في التاريخ من خلال المراسلة الإلكترونية ونظام المحاضرات عن بعد عبر الإنترنت والأقمار الصناعية(١٤).

لقد أضحت المهنة الدبلوماسية تبحث عن حدود وآفاق جديدة تحت تأثير تقنيات الاتصال. إلاَّ أنَّ ما تُتيحه الثورة الاتصالية من إمكانات وما ينجم عنها في الوقت ذاته من تيارات تخترق الحواجز والمسافات يستدعى اليقظة الكاملة والحذر. ذلك أن الشبكات الفضائية ومواقع الإنترنت ليست كلها ملتزمة بممارسات وأدوار إيجابية سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الاجتماعي أو حتى الاقتصادي والتربوي(١٥).

ولذا فإنه من المناسب هنا التعرض إلى المظاهر والأدوار والآثار الإيجابية والسلبية للعولمة السياسية في الإعلام العربي خاصة والإعلام بشكل عام:

١ / الآثار والمظاهر والأدوار الإيجابية:

▪ **تزايد النفوذ الإعلامي في صنع السياسات الداخلية والخارجية**. حيث استطاع الإعلام في عصر العولمة أن يفرض على الدول وحكوماتها الاهتمام بقضايا ومشكلات ظلت إلى وقت قريب بعيدة عن دائرة اهتماماتها: قضايا حقوق الإنسان،الأقليات، التمييز العنصري والإصلاح السياسي، الديمقراطية، ضغوطات الرأي العام على القوى الظالمة وسياساتها وتهديد الأنظمة المستبدة وإضعافها(١٦).

وتبوأت وسائل الإعلام بسبب العولمة مكانة أسمى وتأثيراً أقوى حتى أصبح الملوك والرؤساء يخاطبون ود المؤسسات الإعلامية ويتقربون من قياداتها ويغدقون عليهم العطايا والهبات. بل تعدى الأمر إلى صغار الإعلاميين والمبتدئين من المراسلين.كما وزاد ولع الناس (مثقفون وعامة) وحاجتهم وارتباطهم النفسي والاجتماعي والمادي بوسائل الإعلام.

ونظراً لهذا الانتشار الكبير لوسائل الإعلام وتأثيرها في المجال الواسع الذي تغطيه وتزايد قدراتها في صناعة الرأي والقرار يمكن القول: أن الإعلام العولمي هو الذي يتولى مقاليد الأمور في العالم. فمن يستطيع أن يسيطر على وسيلة من وسائل الإعلام المؤثرة يكون قد شارك في الحكم عالمياً أو محلياً حسب تأثير وسيلته وقوة نفوذها. ولذلك عندما أدركت الأقليات وجماعات الضغط هذه الحقيقة سعت لامتلاك وسائل إعلام في بعض عواصم الدول الكبرى كلندن وغيره[١٧].

لم تعد القرارات والمواقف والتصريحات السياسية- على المستوى الداخلي للدولة- خافية على عيون الإعلام. حيث أدى التطور الكبير في وسائل الاتصال والمعلومات إلى سرعة معرفة الناس لما يحدث في نفس الوقت الذي تصل فيه الأحداث إلى المسئولين وخاصة فيما يتعلق بأخبار الأزمات الخطيرة أو الموضوعات ذات الحساسية مما يؤدى إلى ممارسة نوع من الضغوط على الحكومات من أجل سرعة حل هذه الأزمات. بينما كانت الحكومات في السابق تحاول الإخفاء والتضليل وتعمد إلى الإبطاء في المعالجة استناداً إلى "تأخر معرفة الرأي العام بالأحداث الحساسة"[١٨].

▪ بروز الإعلام العربي – لأول مرة – كأحد المصادر الموثوق بها في المجال السياسي والعسكري وهي شهادة ليست لكل وسائل الإعلام العربي تأتي له من أوليفر هان الباحث بمركز الدراسات المتقدمة في الصحافة الدولية بجامعة دور تموند الألمانية حينما أشار إلى أن المحطات العربية أصبحت مصادر معلومات في الغرب عموماً وخاصة في الموضوعات والقضايا والأحداث السياسية. وأن ألمانيا بشكل خاص تعتبر المحطات العربية مصادر ذات مصداقية للمعلومات. وأن محطتي الجزيرة والعربية أهم مصادر المعلومات للتليفزيون الألماني العام والخاص في شئون الشرق الأوسط. وأضاف هان أن نجاح تجربة محطة الجزيرة جعلها معروفة بشكل كبير وخاصة بعد نجاحها الكبير في تغطية أحداث الحادي عشر من سبتمبر والحرب الأمريكية التي تلتها على أفغانستان على الرغم من الانتقادات التي تعرضت لها من الحكومات العربية وبعض الحكومات الغربية[١٩].

وفى هذا السياق أيضاً يؤكد ليونيد سيوكيانين المحلل السياسي الروسي البارز أن التليفزيون الروسي كان ينقل تغطيته لحرب العراق في غالب الأحوال من وسائل الإعلام العربية وحتى أنه كان ينقل صورة حاملة لرموز القنوات العربية وفى طليعتها قناة "الجزيرة" وقناة "العربية" و"تلفيزيون أبو ظبي" وهذا كله إلى جانب عرض تقارير القنوات الروسية و الغربية. ولم نلاحظ فارقاً مبدئياً بين تغطية القنوات العربية وتغطية القنوات الغربية الأمر الذي يعكس المنافسة بينهما تماماً حتى من حيث المتطلبات التقنية على الأقل[٢٠].

▪ **إفشاء الأسرار وكشف الحقائق وفضح القوى السياسية أياً كان مستواها بما يساهم في** تحرير إرادة الشعوب من القيود السياسية والثقافية والاجتماعية والفكرية التي تعيق حركة الوعي والنضال والتواصل البناء بين الشعوب والحكومات نتيجة للطبيعة التنافسية والربحية التي يتسم بها الإعلام في عصر العولمة. إذ أنه مهما حاولت القوى السياسية سواء على المستوى الدولي أو المحلى توظيف الإعلام للتلاعب بالعقول وتضليل الآراء وتشويه وقلب الحقائق إلاّ أن الوجه الآخر لهذا الإعلام هو إمكانية كشف الحقائق وإفشاء الأسرار وفضح القوى السياسية أيا كان مستواها. ولعل الفضائح التي كشفتها الصحافة وشبكات الأنباء البريطانية والأمريكية عن تعذيب السجناء العراقيين خير مثال على ذلك أياً كانت الأسباب والدوافع.

ومما يؤكد هذا المعنى ما يراه هربرت شيللر من أن السيطرة على البشر والمجتمعات تتطلب في الوقت الحاضر وقبل أي شيء الاستخدام الموجه للإعلام ورغم ذلك فإن جبروت القوة التي يمكن استخدامها ضد شعب ما لا تفيد على المدى البعيد إلاّ إذا تمكن المجتمع المسيطر من أن يجعل أهدافه تبدو مقبولة على الأقل. إن لم تكن جذابة بالنسبة للذين يسعى لإخضاعهم[٢١].

▪ **يمكن لوسائل الإعلام في عصر العولمة أن تكون البديل الأسهل للممارسة الديمقراطية** خصوصاً بعد أن احتل الإعلام المساحة المخصصة لممارسة الفعل الديمقراطي إذ أصبحت هذه المساحة هي ذاتها المخصصة للإعلام ولذلك لم يعد الإعلام يمثل السلطة الرابعة أو الخامسة بل أصبح شاغلاً للمجال الشفاف بين الفعل السياسي والثقافي ورد الفعل الجماهيري. ومن هنا أصبح يُنظر إلى الإعلام باعتباره المعيار الذي يُقاس به كفاءة الأداء السياسي والاقتصادي للنظم المعاصرة.

▪ **أصبح الإعلام في عصر العولمة يشغل موقعاً مركزياً في الاستراتيجيات والسياسات التي** تستهدف إعادة بناء المجتمعات المعاصرة سواء في الشمال أو الجنوب وقد يكون ذلك أكثر وضوحاً في المجتمعات الصناعية المتقدمة حيث يبرز دوره في إعادة توزيع مراكز القوى السياسية والاجتماعية والقوى المضادة داخل هذه المجتمعات. ويبدو ذلك جلياً في مختلف المواقع بدءاً بالأسرة والمدرسة والمصنع والمستشفى ثم مواقع العمل والترفيه على مستوى الأقاليم ثم مستوى الدولة ككل وفوق ذلك أصبح الإعلام مسئولاً عن الأدوار الحاسمة في تدويل أو عولمة الاقتصاد والثقافة حيث يبرز دوره كمحرك رئيسي في خلق وتشكيل منظومة العلاقات الدولية سواء على المستوى الرسمي بين الحكومات والأنظمة أو المستوى الحضاري بين الثقافات المختلفة بإعلاء شأن ثقافات معينة على حساب ثقافات أخرى ولعل أخطر هذه الأدوار ما يقوم به الإعلام في تشكيل أنماط معينة من السلوك الإنساني وتهميش أنماط أخرى خلال لغة الصورة ورموزها[٢٢].

▪ **ومن الأدوار الإيجابية المرتبطة بالتغطية الإعلامية – في الأزمات والحروب خاصة - هو إعادة** النظر في العلاقة بين الولاء للسلطة وبين الحيدة والموضوعية في وسائل الإعلام الحديثة والتي

أفضت إلى فشل أسطورة حرية الإعلام الغربي خلال الحرب(العراق مثالاً) وإذا كان هذا التقدير يوصف بالصحة من جانب. فإنه من جانب آخر يجب ألاّ ننسى أن حرية الإعلام تتذبذب دائماً بين قطبين: أولهما روح القومية وثانيهما الموضوعية والصدق ويمكن ضرب مثال على ذلك بالنقاش الذي دار في إحدى القنوات التلفزيونية الروسية في أيام الحرب الأخيرة حول كيفية التوفيق بين الولاء للسلطة وبين الموضوعية في التغطية الإعلامية لأحداث الحرب ونتيجة لهذا النقاش انقسم الحضور إلى الموقفين المعاكسين إذ شغل الضباط المشاركون في النقاش موقف تأييد الولاء الكامل للدولة في نشاط وسائل الإعلام أيام الحرب بينما مال الإعلاميون المشاركون في الندوة إلى حماية الموضوعية مقابل الولاء المسبق للسلطة[٢٣].

▪ تطوير مهنية الإعلاميين العرب وخاصة المصورين سواء التصوير الفوتوغرافي الصحفي أو التصوير الالكتروني التليفزيوني. فقد كان العالم كله ولا يزال- خلال الحرب على العراق – شاهداً على أن الصحفيين العرب سواء كانوا مراسلين صحف أو مراسلين قنوات تلفازية وفضائية ووكالات أنباء قد وصلوا في أدائهم إلى درجات عالية من المهنية. خاصة المصورين الصحفيين وطواقم العمل المصاحبة في الميدان يرصدون بكاميراتهم صور الحرب وآثارها البشعة على كل من جانبي الصراع[٢٤].

ويكفي ما تناقلته وكالات الأنباء والقنوات الفضائية من ردود الفعل الأمريكية الغاضبة إزاء أسلوب أحمد منصور في تغطيته للحرب الأنجلو الأمريكية على العراق لقناة الجزيرة والانزعاج والقلق والاتهامات التي وجهها له كل من وزير الدفاع ووزير الخارجية وقائد قوات الاحتلال بعدم الموضوعية لمجرد أنه استطاع أن ينقل الواقع. في حين لم نسمع هذه الاتهامات وردود الفعل الغاضبة إزاء المراسلين الأمريكيين والبريطانيين الذين كشفوا عن أشنع فضائح التعذيب والانتهاك للكرامة البشرية التي مارسها جنود الاحتلال مع العراقيين جنود ومدنيين ومقاومين. وقد عكس ذلك ظاهرة جديدة برهنت على نهاية التفوق الإعلامي الغربي الذي ظل سائداً ومُسيطراً على الساحة الإعلامية منذ حرب الخليج ١٩٩١. ولذا يجب على الصحافيين العرب ألاّ تفوتهم الفرصة لحصاد ثمار هذه المهنية بالعمل على تحقيق المزيد من حرية التعبير في دولهم العربية. فهم ليسوا أقل شأناً من زملائهم في أماكن أخرى.

▪ التطور المذهل في تكنولوجيا الاتصال والإعلام والمعلومات والذي صاحبه تقدم كبير لا يمكن إنكاره في القدرات الإعلامية ومهارات الاتصال وجمع المعلومات ونقلها وتداولها لكافة الإعلاميين في العالم. وما ترتب على ذلك من تقدم نوعي وكمي في زيادة وتنوع الإنتاج الصحفي والإعلامي والثقافي والعلمي والأدبي والفني من صحف ومجلات ومحطات إذاعية وقنوات تلفازية فضائية ومحطات إخبارية ووكالات للأنباء وللإعلان وللخدمات الصحفية ودور للنشر والسينما والمسرح ومكتبات ومواقع إلكترونية وشبكات معلومات وأقراص صلبة ومدمجة ومضغوطة ووسائط إعلامية متعددة تجمع بين النص والصوت والصورة في أحجام صغيرة وبأساليب ميسرة مما أحدث تقدماً في حقوق الإعلاميين والإنسان عموماً في المعرفة وسبل الحصول عليها بغض النظر عن

ما تسببه هذه الزيادة الهائلة في المعلومات من ضعف في الإدراك وتدهور في الفهم خاصة في مجتمعات العالم الثالث التي قد تؤدى ظاهرة اتساع المعلومات لديها إلى تضارب وارتباك في عمليات الفهم والإدراك مما حدا بجلال أمين إلى إثارة إشكاليات تفتح جدلاً لا ينتهي حول ما أسماه **"معلومات بلا معرفة"** في مقابل **"معلومات أقل وحكمة أكبر"** و **"متى يكون الجهل نعمة"** ويرى جلال أمين أنه ليس في كل الأحوال تقود كثرة المعلومات إلى نتائج ايجابية ويستدل بمثال بسيط يتعلق بعدم قدرة الإنسان – حتى لو كان رشيداً- على قراءة كل ما هو مكتوب على السلع ومقارنتها ليقرر أيها الأفضل ويشتريها في ضوء تعدد وتشابه السلع داخل السوبر ماركت الواحدة: إن الإنسان حقيقة لا يحتاج إلى كل هذا القدر من المعلومات[٢٥]. ومع التسليم بصحة ما ذهب إليه جلال أمين إلاّ أنه يبقى في النهاية خطورة توظيف هذه الرؤية في حجب المعلومات وتداولها. إضافة إلى أن الأصل في كثرة المعلومات أنها تؤدى إلى المساهمة في حل المشكلات. ولكن زيادة المعلومات عند حد معين قد تؤدي إلى صعوبة التوصل إلى قرار. وهو عيب ليس في كثرة المعلومات ولكنه في منهجية التعامل معها. وبالتالي فإن كثرة المعلومات وتنوعها أمر ضروري للمعرفة ويمكن التغلب على آثارها السلبية بالتعامل مع القدر المطلوب منها بما يُضيف للإنسان وخاصة الإعلاميين مهارة القدرة على الفرز والانتقاء.

مراجع وهوامش الفصل الرابع

١/ مجموعة باحثين. "العولمة وتداعياتها على الوطن العربي".سلسلة كتب المستقبل العربي (٢٤). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ٢٠٠٢. ص١٦٢.

٢/ محمد عابد الجابري. قضايا في الفكر المعاصر: العولمة- صراع الحضارات- العودة إلي الأخلاق- التسامح- الديمقراطية ونظام القيم- الفلسفة والمدينة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ١٩٩٧). ص١٤٧.

٣/ السيد ياسين. الأصولية في مواجهة الكونية. مجلة المنتدى. الأردن. عمان. العدد١٠٠. ١٩٩٤. ص٢٠.

٤/ د. محمد عبد الشفيع عيسى. التنمية وأوهام خمسة. مجلة السياسة الدولية. العدد ١٣٣. ١٩٩٨. ص١٨.

٥/ Unesco, Culture Not Economism, Source, No. ١٠١, May ١٩٩٨, P:٩.

٦/ مجدي عبد الحافظ. في: عبد الله [وآخرون]. العولمة: هيمنة منفردة في المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ص٣٠.

٧/ فرانسيس فوكوياما " إخفاق التحديث وراء التطرف الأصولي " مجلة الكرمل. العدد ٥٣. رام الله. فلسطين. ١٩٩٧. ص ٧٦.

٨/ إدوارد سعيد "صدام المفاهيم " مجلة الكرمل. مرجع سابق. ص ٥٠.

٩/ محمد أحمد السامرائي. العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي في:
http://www.wahdah.net/٣alama.html

١٠/ يوسف نصيف حتي. المسيحية والحرب. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٦. القس أكرم لمعي. الاختراق الصهيوني للمسيحية. القاهرة: دار الشروق. ١٩٩٦.

١١/ فهمي هويدي. "الغضب صار فرض عين". الأهرام. ٢٠٠٤/٥/٤.

١٢/ محمد احمد السامرائي. مرجع سابق.

١٣/ عواطف عبد الرحمن. التبعية الإعلامية والثقافة في العالم الثالث.القاهرة:دار الفكر العربي.

١٤/ د. مصطفى المصمودي. العرب وحوار الحضارات في مجتمع المعلومات. مجلة أفكار الإلكترونية في:
http://www.malhoum.com/press٤/١٢٢t٤٣.htm

١٥/ المرجع السابق.

١٦/ Unesco, Culture Not Economism, Source, No. ١٠١, May ١٩٩٨, P:٩.

١٧/ ناصر سليمان العمر. الحاجة إلى تنسيق وتكامل إعلامي. مجلة المجتمع. العدد ١٤٩٥. ٢٣-٢٩محرم١٤٢٣هـ ٦-١٢ ابريل ٢٠٠٢ ص١٣.

١٨/ حسن عماد مكاوي. تكنولوجيا الاتصال الحديثة في عصر المعلومات ط٣. القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. ٢٠٠٣.ص٢٥٥.

١٩/ أوليفر هان. في كلمته بندوة الحوار الإعلامي العربي الألماني بأبوظبي. ٢٠٠٤/٥/١٧.

٢٠/ ليونيد سيوكيانين. "الإعلام بين الولاء السياسي والمصداقية". البيان. العدد ٦٢٥. ٢٠٠٢/٥/٩.

٢١/ هربرت. أ. شيللر. المتلاعبون بالعقول. ترجمة عبد السلام رضوان. سلسلة عالم المعرفة رقم (١٠٢) الكويت. المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب.١٩٨٦. ص١١.

٢٢/ عواطف عبد الرحمن. الإعلام العربي وقضايا العولمة.القاهرة: العربي للنشر. ١٩٩٩ ص ٢٨- ٣٩

٢٣/ ليونيد سيوكيانين. "الإعلام بين الولاء السياسي والمصداقية". البيان. العدد ٦٢٥، ٢٠٠٣/٥/٩.

٢٤/ إبراهيم نوار(رئيس المنظمة العربية لحرية الصحافة). صور للإعلام المعولم من إعلامنا العربي ٢٠٠٣/٥/٢٥،
منشور على موقع: www.apfw.org/data/annualconference/٢٠٠٣/arabic/papers/nawar.htm-٩k

٢٥/ جلال أمين. العولمة. سلسلة اقرأ. العدد ٦٣١. مرجع سابق. ص٧٣-٨.

الفصل الخامس

الأدوار والآثار السلبية

للعولمة السياسية على الإعلام العربي

▪ توظيف الإعلام في زعزعة الدولة القومية لصالح قوى العولمة: نجحت القوى الليبرالية الإمبريالية إلى حد كبير في إدارتها لمشروع العولمة أن تنيط بالإعلام مهام جديدة لم يعرفها من قبل. تأتي في مقدمتها إزاحة قوى الدولة القومية وركائزها وخلخلة بنيتها لصالح الاتجاهات الرأسمالية المعاصرة في بسط السيطرة الكاملة عليها باسم العولمة.

وفي هذا الإطار كان على كثير من الدول أن تتحول تحولاً تاماً من سياسة إلى نقيضها أو تقوم بتفكيك نفسها وتسليم مهامها ووظائفها القديمة الواحدة بعد الأخرى لتتولاها الشركات الدولية أو المؤسسات الدولية التي تتكلم باسم هذه الشركات العملاق[١].

وقد لعبت الثورة الهائلة في مجالات الاتصال والمعلومات والإعلام دوراً كبيراً في ذلك وخاصة فيما يتعلق بممارسة سيادة الدولة في ضبط عمليات تدفق الأفكار والمعلومات والسلع والأموال والبشر عبر حدودها[٢].

كما لعبت دوراً أيضاً في تحول حكومات الدول القومية في أمريكا اللاتينية وأفريقيا وآسيا والمنطقة العربية إلى إدارات عامة لعلاقات عامة لا غير. وحينما أدركت القوى الرأسمالية مبكراً أن مواجهة الدولة القومية ربما يكلفها الكثير ويعطل مشروع العولمة إلى حد ما. اتجهت إلى تجنب المواجهة المباشرة وعمدت إلى إذكاء النزعات اللاتينية والقبلية والتجمعات الأخرى وهي بذلك أمكنها توفير فرص السير باتجاهين: زعزعة قوة الدولة القومية من الداخل وتحويلها إلى إدارة علاقات عامة. توظيف الجماعات المناهضة كلقمة سائغة يسهل ابتلاعها سياسياً وثقافياً واقتصادياً واجتماعياً[٣].

ولعل هذا هو الذي مهد للإعلام أن يعيد النظر في وظائفه في ظل العولمة وجعله حائراً بين تلبية طلبات السلطة القومية وتبنى مطالب العولمة ومؤسساتها. وكذلك حائراً بين ضرورة مساهماته في برامج التنمية والتطوير وبين رغبة المهيمنين عليه بدفعه نحو الترفيه والنمذجة من دون التوجيه والتربية وتنمية الحوار. ومن ثم فهو يواجه إشكالية تحوله من أداة الوحدة الوطنية والقومية وضمان العلاقات الاجتماعية التضامنية. إلى استخدامه الآن كأداة للعصبية والقبلية وإذكاء النزعات المحلية الضيقة. والصراعات العنصرية وتنمية اتجاهات الكره لدى الكثير من الفئات المناهضة لفئات أخرى.

وقد أصبحت هذه السمات تتمتع بحضور دائم في منظومة الإعلام ووسائله في نطاق تطورات تقنيات المعلومات المعاصرة. وليس من الصعوبة على أي باحث أن يكتشف الهوة الفاصلة بين حقيقة الإعلام وطموحات مُؤسسيه أو مُنظّريه. ومن ثمّ فهو في أمس الحاجة إلى إعادة تقييم شامل لمضمونه، ووسائله، وعملياته[٤].

▪ **توظيف الإعلام في تفتيت النسق الاجتماعي وخلق أزمة الهوية:** فقد وُظِف الإعلام وتقنياته بصورة فجة في تنفيذ المهام التي تستهدفها الإمبريالية الجديدة. كما أدى التدفق الواسع من الشعارات والأحداث التي يتم بثها إلى للمجتمعات المستهدفة والتركيز المتواصل عليها عبر الأفكار والمعلومات والصور وأنماط القيم الجديدة القادمة من الخارج والتي لم يكن للمجتمعات دور في إنتاجها وصياغتها بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى خلق أزمة هوية لدى هذه المجتمعات القومية. وقد أدى هذا بدوره للعودة إلى العصبيات القبلية بشراسة في أفريقيا، والطائفية والمذهبية في الهند وباكستان وأفغانستان، والقومية الضيقة والتطهير العرقي والعنصري كما هو الحال في إسرائيل والبلقان. وعليه يمكن القول بأن النظام العالمي الجديد وظف الإعلام ووسائله لخدمة منطق العولمة وسياستها لغرض اختراق السيادة القومية للدول المستقلة، وإرباك مرتكز الثقافات القومية، وتفتيت وحدة النسق الاجتماعي المحلي، وإشاعة فكر العولمة ومستلزماتها.

▪ **توظيف الإعلام في تغريب الإنسانية:** وذلك من خلال استخدام أسطورة التعددية الإعلامية في إعادة تشكيل (Reform) الحياة الاجتماعية للشعوب على نمط الحياة الغربية وحثها على المشاركة فيها على نحو نشط يحقق على المدى قولبة الإنسان بحسب النموذج الاجتماعي الغربي عبر زرع مفاهيم الاختيار الشخصي، والنزعة الفردية، وتغييب الصراع الاجتماعي[٥].

▪ **توظيف الإعلام في إثارة الخلافات بين الدول:** عبر إلقاء العلاقات الدولية في بحر من الأمواج المتلاطمة، مما أحدث تأثيرات من الصعب تقويمها في الوقت الحاضر، حيث يؤكد الواقع أن عمليات التوظيف والتعتيم والتضليل والتحريف والتشهير لخدمة أغراض قوى عظمى، أصبحت مسائل واضحة للعيان وأثرت بدورها في العلاقات بين الدول.

▪ **إضعاف الإعلام الوطني:** استخدام إعلام العولمة بقدراته التكنولوجية الهائلة في إضعاف نظم الإعلام الوطنية وزيادة تبعيتها له، لتنقل منه ما يجود به عليها من صور ومعلومات.

▪ **استخدام الإعلام كأداة رئيسية في الحرب:** برز بشكل واضح خلال الحرب الأنجلو أمريكية على العراق٢٠٠٣ أن وسائل الإعلام أصبحت عنصراً من عناصر الحرب الحديثة ووسيلتها الرئيسية وذلك لأن الرأي العام في كل بلد تأثّر بالتغطية الإعلامية لمجرى المعارك وليس بالمعارك نفسها. إضافة إلى أن الإعداد للحرب وتبرير مشروعيتها وضرورتها اعتمدت على وسائل الإعلام بشكل أساسي. وشأن تأييد فكرة الحرب شأن المعارضة لها حيث لم يستغن معارضو الحرب عن إشراك وسائل الإعلام في حملتهم الدعائية[٦].

إن جو الحرب موجود بفعل وسائل الإعلام كما أن القناعة الذاتية للمتلقين من قراء ومشاهدين ومستمعين أصبحت تسبح في مستنقع الحرب الواقعة لا محالة كما صورتها وسائل الإعلام. ويقود هذا الاستنتاج الخطير إلى تأكيد نظرية أو فرضية لم نتردد في إطلاقها وتبنيها وهي أن الإعلام يمهد التربة الخصبة لمنطق الحرب أو يساهم بشكل ما يجعل الحرب ممكنة. ولا فصل بين هذا القول والقول بأن الإعلام هو مسبب الحروب إلاَّ مسافة قصيرة قد لا يتردد كثيرون في قطعها على الرغم مما كان يُقال بالماضي من أن دور الإعلام في الحروب لا يتعدى نقل المعلومة من مصادرها أو تحليلاً مبنياً على تصريح أو تحليلاً لحدث(٧).

إن الحرب الأمريكية البريطانية على العراق جاءت دليلاً مقنعاً على تغيير دور وسائل الإعلام في العالم المعاصر من حيث انقلاب المفاهيم التقليدية الخاصة بوظيفة الإعلام في أهم الأحداث السياسية. إذ أن الدور السياسي للإعلام وقت الحرب ظهر بصورة أكثر جلية و مباشرة في عصر العولمة. إذ يتوقف كما أن تقدير السلطة لنشاط وسائل الإعلام يتم بناء على مصالحها السياسية. وإذا كانت الجيوش المهاجمة في الحروب السابقة تستهدف الاستيلاء على الموانئ ومحطات المواصلات قبل كل شيء، فهي الآن تُخطط لاقتحام وزارات الإعلام ومحاصرة وسائل الإعلام التابعة للعدوّ.إلى جانب ظهور الجبهات الجديدة التي لم توجد في ظل الحروب السابقة. وهي جبهات تعكس حروباً بين وسائل الإعلام نفسها(٨).

وإذا كانت وسائل الإعلام قد لعبت دوراً مهما خلال الحرب العالمية الثانية وتولت مهمة المذيع والداعية فإن الحرب الأخيرة أكدت أن تسمية وسائل الإعلام بالسلطة الرابعة ليس بالصدفة. إذ تحولت بصورة كاملة إلى عنصر من العناصر المكونة للسلطة وجهاز الدولة ووسيلة السياسة ومرآتها. وبالتالي فإن كافة مواصفات السلطة وخصائصها تنطبق في عصر العولمة على وسائل الإعلام.

وإذا كانت السلطة تسعى نحو تحقيق أغراضها ومصالحها وحل المشاكل التي تواجهها فإن وسائل الإعلام تستهدف تحقيق المساعي نفسها. إذ أنه لا توجد وسائل إعلام في الهواء. بل توجد وسائل إعلام بعينها تسعى نحو تحقيق أهداف محددة.كما تُستعمل أحيانا كوسيلة وأداة لبلوغ أغراض سياسية مرسومة. كما يجب التمييز بين مصالح السلطة والقوى السياسية وبين مصالح الإعلام نفسه إلى جانب وجود المصالح المتباينة داخل وسائل الإعلام وعلى وجه التحديد مصالح أصحاب المؤسسات الإعلامية ونيات الإعلاميين ومساعيهم الخاصة. كما تلعب مصالح الممولين لوسائل الإعلام دوراً مؤثراً أيضاً وعلى ضوء ذلك يجب إدراك أن الإعلام مهنة وحرفة لا تختلف مبدئياً عن المهن والحرف العديدة الأخرى وليس الإعلام أفضل من هذه المهن كما انه ليس أسوأ منها! وعلى هذا الأساس لا يتحمل الإعلام كامل المسئولية عن كافة الأخطاء السياسية ولكنه في نفس الوقت ليس معصوماً أو فوق أي نقد أو شك(٩).

▪ **دخول الإعلام كشريك أساس لمكونات السياسة الحديثة:** فمن المظاهر الأكثر عموما للإعلام في عصر العولمة انه أصبح مكونا أساسيا من مكونات السياسة الحديثة. كما أصبحت وسائل الإعلام الحديثة تحمل كل ما تحمله السياسة العالمية الحديثة من صفات إيجابية وسلبية.

وعلى هذا الأساس تبنى علاقات التبعية المتبادلة بين السلطة وبين وسائل الإعلام. وهذه العلاقات ليست إلا فصل السلطات والضبط المتبادل بين مختلف فصائل السلطة وفروعها. ومن هذا المنظور تعدّ وسائل الإعلام عنصراً من عناصر السلطة تتحمل المسئولية التضامنية مع غيرها من أجهزة السلطة. وليست حَكَماً أو قاضياً محايداً يقيم تصرفات السلطة تقييماً موضوعياً. ومع ذلك تعتبر وسائل الإعلام اقرب إلى السلطة القضائية من غيرها من السلطات.

غير أن دخول وسائل الإعلام الحياة السياسية وكونها من عناصر السلطة لا يعني أنها تخدم مصالح الدولة دائماً وبصورة مطلقة وذلك لأن السياسة الحديثة لا تقتصر على أنشطة الدولة. بل تتضمن مؤسسات سياسية أخرى مثل الأحزاب السياسية وجماعات الضغط وغيرها من الأشكال الممثلة للمجتمع والى جانب ذلك يجب ألا يفوتنا المشاركة في الحياة السياسية من قبل الساسة المستقلين غير المنتمين إلى أية أحزاب معينة وغير المشاركين في السلطة وعلى ضوء ذلك توجد وسائل الإعلام المستقلة بمعنى عدم انتمائها المباشر إلى السلطة أو إلى أية أحزاب معينة[١٠].

▪ **صعوبة معرفة المصدر الأول في الأخبار السياسية** وخاصة في الحروب مما يؤدى إلى كثير من المخاطر. إذ أن محاولة معرفة المصدر الأول للمعلومة الأولى المجردة نظرياً التي قد تكون حدثاً مثل (إعلان حالة التأهب وإرسال عتاد وأسلحة إلى منطقة القتال وبدء الاستعدادات العسكرية) أمر مهم للغاية وخاصة في تجنب أو إشعال الحرب. كما يمكن أن يكون المصدر الأول ممثلاً بخبر أو تصريح مباشر أو إعلان الحرب.

ولكن منذ سنوات بات تحرى المصدر الأول للمعلومة صعباً للغاية فالمعلومات تسرد من مصادر موثوقة أو عبر معلومات استخبارية من غير الممكن الإفصاح عن مصدرها أو من خلال مصادر خاصة قريبة من مراكز القرار وغيرها.ولكن على الرغم هذا التعتيم والضبابية في المصادر الأولى للمعلومات فإنه من الضروري محاولة اكتشاف من يقف وراء الشرارة المعلوماتية الأولي[11].حيث تناقضت التصريحات والسياسات الإعلامية الأمريكية والبريطانية قبيل الحرب ولم يكن أحد يعلم ما إذا كانت هناك حرب أم لا بسبب تضارب هذه التصريحات وغياب المصادر الموثوق بها أو المتخصصة في هذا الشأن واللجوء إلى مصادر عديدة تناقض كل منها الأخرى. وبغض النظر عما إذا كان هذا التناقض مُخططاً فإنه أصبح سمه من سمات الإعلام السياسي في عصر العولمة يؤدى إلى تضليل الرأي العام ويُحقق سياسات الأطراف المعتدية.

وفى الحالة العراقية تعتبر الولايات المتحدة هي المصدر الأصلي الوحيد القادر على هذا الإغراق الإعلامي المُتعدد الاتجاهات والأهداف بشكل شمولي لكلا التيارين. فمن ناحية الاتجاهات فإن السياسة التواصلية للحالة العراقية كثيرة منها: ذات الاتجاه الداخلي لتبرير الحملة العسكرية والخسائر المحتملة في الأرواح بين الجنود الأمريكيين ولتبرير صرف نفقات للمجهود العسكري ولموازنة المعركة. ومنها الموجهة إلى الحلفاء الغربيين والدول المحايدة في محاولة لدفعهم لمساندة تلك الحملة الافتراضية. وأخيراً السياسة الموجهة إلى الدول العدوة والتي يمكن أن تعتبر عدوة محتملة حسب تعبير الرئيس بوش.

لكن هذا التقسيم يشمل تقسيمات أكثر عمقاً وتشعباً. فالسياسة التواصلية الموجهة نحو الداخل تشمل أيضاً في طياتها تناقضات تواصلية مهمة. فالتعامل الإعلامي مع المدافعين عن حقوق الإنسان والمنظمات غير الحكومية الفاعلة في المجتمع الأمريكي يختلف عن التعامل مع أوساط اليمين المتطرف ومؤيدي استعمال القوة الأمريكية في حل النزاعات كما هو مختلف عن التعامل الإعلامي مع الطبقات غير المُسيَّسة والمؤثرة انتخابياً. كذلك الأمر بالنسبة للسياسة الإعلامية الموجهة نحو الحلفاء عليها الأخذ في الاعتبار التوازنات الداخلية للحلفاء وهى متعددة. إضافة إلى تفاوت الحلفاء واختلاف درجات التحالف التي تربطهم بواشنطن ما يزيد من تعدد السياسات التواصلية المطلوبة لإرضاء شرائح الرأي العام الحليف إلى جانب إرضاء وإقناع القيادات السياسية التي لها أهدافها السياسية الوطنية الخاصة في ذلك الأمر ولو بدرجة أقل مع الدول المصنفة حيادية -بالنسبة إلى موضوع الخلاف- والتي تساهم في تشكيل الرأي العام العالمي رغم ضعف تأثيرها على مجريات الأحداث.

أما بالنسبة إلى الدول المصنفة في خانة الأعداء. فان العملية التواصلية ليست بالسهولة التي يمكن تصورها. فهي توجب التفريق بين الفريق الحاكم والفريق المدني. ويُقصد بالفريق المدني (شعوب الدول بشكل عام التي يتم التعامل معها على أنها ضحية الفريق الحاكم) وقد يكون في هذا الشق توافق مع العملية التواصلية الموجهة إلى الداخل حيث يتم تصوير العمل الحربي المحتمل على أنه إنقاذ للفريق المدني في الدولة المستهدفة ورفع الظلم عنه. وكما تبين فإن الولايات المتحدة هي الوحيدة القادرة على الضرب على كل هذه الأوتار مجتمعة.

ويمكن أن نُقدم جملة واحدة مما قالته الصحافة الأمريكية تجسد حقيقة ما تقدم فقد أعلن مثلا(دان بارتلت مستشار الرئيس الأمريكي أن بوش لم يطلب دعماً لأنه لم يتخذ قراراً بعد ولكن هناك كثيرين مستعدين لمساندة هذه القضية العادلة. أما إذا نفذت حكومته عملية عسكرية فستفعل ذلك بطريقة حكيمة). وإذا حلّلنا هذا التصريح نجد أنه يتضمن أكثر من رسالة؛ الرئيس بوش لم يتخذ قرار الحرب: فهو رجل حكيم ومتأن وفى ذلك رسالة تواصلية موجهة للداخل وللحلفاء والرأي العام العالمي. لكن الرسالة قد تكون موجهة أيضاً إلى الرئيس العراقي ما يعنى أن الوقت لم يفت بعد للخضوع للمطالب الأمريكية بالنسبة للرأي العام الداخلي

ولمطالب الأمم المتحدة بالنسبة إلى الرأي العام الخارجي. أما الشق الثاني فهو رسالة تفيد أن هناك كثيرين على استعداد لمساندة الرئيس الأمريكي وفى ذلك رسالة إلى الرأي العام الداخلي (كثيرون يشاطرون أمريكا سياستها) والى الرأي العام الخارجي من حلفاء ومحايدين (لا توجد سياسة أمريكية تنفرد بالقرار) والى الرأي العام العراقي بشقيه الحاكم والمحكوم (العالم كله يقف وراء السياسة الأمريكية) أما في معناها الأخير فهي رسالة حازمة تفيد أن الرئيس بوش إذا قرَّر أن يقوم بعملية عسكرية فستكون ضمن خطة حكيمة تطمئن الرأي العام الداخلي والخارجي والحلفاء. أما بالنسبة إلى العراق فإن صفة الحكمة في وصف كلمة "طريقة حكيمة" يمكن أن يكون لها وقعان مختلفان: بالنسبة إلى الرأي العام العراقي فالحملة العسكرية المُنفَّذة بطريقة حكيمة ستجنب الشعب ويلات الحرب. وبالنسبة للحكام فهي تفيد أن الرئيس الحكيم لن يخطئ في تقدير المصاعب والنجاح في الحرب.

والجدير بالملاحظة أن الرسالة التي يمكن القول أنها رسالة تحذير وتهديد لا تتضمن من مطلعها إلى آخرها كلمةً واحدة يمكن وصفها بالعنيفة. بل على العكس فإن القوة السيميائية للكلمات المستعملة تُشير إلى كلمات محببة وأليفة من ناحية الأهداف التواصلية "الإعلامية". فهي وإن كانت مختلفة عن الأهداف السياسية إلاَّ أنها تصب في خدمتها ولكن يصعب أيضاً من خلال الأهداف التواصلية معرفة درجة تقارب الأهداف السياسية من الموقف الإستراتيجي أو الموقف التكتيكي. فالعملية التواصلية تقصد فيما تقصده التغطية على الممارسة السياسية والأهداف. وليست كما يتصوره بعضهم هدفاً إعلامياً حسب المعنى السيميائي للكلمة: (إعلام الآخرين بالمقاصد).

فالإعلام هو مهمة وسائل الإعلام بينما مهمة السياسيين السياسة. والعملية التواصلية أو الإعلامية هي إحدى أدوات السياسة مثلها مثل الدبلوماسية والطائرة والدبابة. وجلَّ ما يجب أن تحاول الوصول إليه وسائل الإعلام هو تجنب الوقوع في فخ الاستعمال السياسي عبر العمل التحليلي وتعقب المراجع وصولاً إلى المعلومة البحتة وإيصالها إلى المُتلقي مع أكثر ما يمكن من توضيحات دائرية تبعد خطر التلاعب بالقارئ والرأي العام وبالتالي السياسة الدولية(١٢).

▪ **تزايد صعوبة تحديد الموضوعية في الإعلام العولمي** وخاصة أثناء الحرب إذ أن الموضوعية في التغطية الإعلامية عامة ولتطورات الحرب خاصة أمر نسبي. أما الولاء للسلطة فقد يكون شكلاً للموضوعية. وذلك لان الموضوعية والحيدة والصدق نفسها مفاهيم يجب تحديد معناها انطلاقاً من بعض المعايير الاجتماعية التي تتميز بعدم الدقة وصعوبة تجريبها خلافاً للموضوعية في مجال المعارف الطبيعية. أما المعايير الاجتماعية المتبعة عند حكم الأمور الأخلاقية الإنسانية – والإعلام من هذه الأمور – فلا تقبل الإطلاق والحكم الواحد والتقدير القطعي. وعلى ضوء ما تقدم فإن الإعلام أمامه الخيار بين مختلف أشكال التوفيق بين الولاء السياسي وبين الموضوعية ابتداءً من: خدمة السلطة بصورة كاملة- باعتبار أن وسائل الإعلام من سلطتها الرابعة- ومروراً

بنقل الأخبار التي يراها المجتمع ويحتاج إلى معرفتها ولا تريد الدولة إظهارها انطلاقاً من أن الإعلام سلطة معارضة للدولة، ووصولاً إلى اطلاع المجتمع على كل ما لدى وسائل الإعلام من حقائق وترك الحكم فيها للمجتمع نفسه على ضوء التفسيرات والتعليلات والحجج لصالح هذه المعلومات وضدها(١٣).

▪ **تراجع مكانة المراسل على حساب وكالات الأنباء العالمية ومن ثم تزايد هيمنة الإعلام الغربي:** أضحت الهيمنة الإعلامية الغربية الأمريكية في عصر العولمة من الأمور التي لم تقبل الجدل سواء كان ذلك على المستوى العالمي أو المستوى العربي. فبعد التقدم التكنولوجي المذهل اتجهت حركة الحياة إلى السير آليا في العولمة من جانبها الإعلامي (العولمة الإعلامية) فالتليفزيون يقدم صوراً موحدة عن أماكن مختلفة من العالم ويتم مشاهدتها في أماكن أخرى متعددة في نفس الوقت. كما أن الصحافة اتخذت من وكالات الأنباء العالمية مرتكزاً واحداً لأخبارها مع التقليل من أهمية المراسلين أنفسهم مما قلل من وصول الحقيقة وتعدد الروايات والمعلومات. إذ أن المراسل يمكنه تتبع ما يريد من المعلومات والتحقق منها والتحقيق فيها بعكس الرسائل التي نستقبلها من وكالات الأنباء كما هي. وحتى التعليقات التي تتم على هذه الرسائل لا تنفى تأثيرها الأولى خاصة لدى أولئك الذين لم تسمح لهم ظروفهم بمتابعة التعليقات والتحليلات عليها بعد ذلك(١٤).

ويرى البعض صعوبة رفض هذه الظاهرة ويدعو إلى السعي نحو بعث الروح في الجوانب الايجابية لها لتعبر إلى حد ما عن كافة الآراء والاعتقادات. إلاّ أن سبر أغوار المؤسسات في الدول الديمقراطية يكشف عن وجود مقاربة التزامية بين السياسة والإعلام تزايدت مع العولمة أكثر من ذي قبل. وكذلك توظيف الإعلام لنشر الأيديولوجيات والأفكار التي تنتمي إليها وسائل الإعلام(١٥). ولعل النموذج الذي أوردناه سابقاً عن دور الإعلام في التمهيد للحرب،بل وفي صنع قرار الحرب أحياناً خير دليل على هذا وفى نقطة لاحقة سوف نتعرض بالتفصيل لعملية توظيف الإعلام في تحقيق مصالح سياسية.

أما مظاهر هيمنة الإعلام الغربي الأمريكي على المستوى العربي فكثيرة جداً. فقد زادت الصحف والمجلات الغربية المتداولة في الأوساط العربية، وبالأخص تلك المعربة الموجهة لقراء الشرق الأوسط. وزادت المحطات الإذاعية والقنوات التليفزيونية الموجهة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر كما هو الحال في قناة الحرة. إضافة إلى الهيمنة الواضحة على شبكة الانترنت العالمية.

ويكفى أن نعلم – وفقا لإحصاءات منظمة اليونسكو عن الوطن العربي – أن شبكات التليفزيون العربية (وهى الأوسع انتشاراً) تستورد ما بين ٣٣٪ إلى ٧٠٪ من البرامج التي تبثها، حيث تزيد البرامج الأجنبية عن النصف في تونس والجزائر (٥٨,٥٪) وتصل إلى ٦٩٪ في لبنان. وتقل إلى نسبة الثلث في سوريا. كما أن ثلث برامج الأطفال تبث بلغة أجنبية من غير ترجمة. ولا توجد أي ميزة للبرامج الناطقة بالعربية على الناطقة بلغات أجنبية. فلا فرق بين ميكي ذي اللسان

العربي الفصيح وأصله الأمريكي. بل قد يكون المُستنسخ المعرب أكثر قدرة على تصدير العولمة الأمريكية من النسخة الأصلية(١٦).

كما أن الواقع الذي لم يعد سراً هو أن سكان العالم الثالث تتاح لهم القدرة على الاختيار من الرسائل الغربية. أما القدرة على العرض فهي قاصرة على الغربيين فقط. ومما يؤكد هذه الحقيقة ما ذكره تقرير اليونسكو "إن ما يعرف باسم التدفق الحر للإعلام هو في حقيقة الأمر تدفق باتجاه واحد وليس تبادلاً حقيقياً للمعلومات" كما أوضحت دراسة مشتركة بين ندوة تامبير واليونسكو أن هناك اتجاهين لا جدال حولهما في مجال تدفق المعلومات: أنه تدفق في اتجاه واحد من الدول الكبرى المُصدِّرة إلى باقي دول العالم. وأن المادة الترفيهية هي السائدة في هذا التدفق(١٧).

والمشكلة ليست في الترفيه كمبدأ. ولكن المشكلة في نوعية الترفيه وطغيانه على المواد الأخرى بما يتركه من آثار سلبية ليس فقط على الصعيد الأخلاقي والاجتماعي والثقافي فحسب ولكن في تسطيح الشخصية وتغييبها عن الوعي بقضايا الأمة وهمومها أيضاً.

التوسع في عملية توظيف الإعلام لتحقيق أغراض سياسية شاملة واختفاء "الحيادية" من القاموس الإعلامي.

نعلم يقيناً أنه ليس للإعلام سياسة بعيدة عن المصالح وخاصة المصالح السياسية والاقتصادية. وأصبح من الصعب التفريق بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي وحتى ما هو ثقافي. إذ أن الثقافي غالبا ما يستخدم كمدخل. كما أن كل منهم قد يستخدم وسيلة وهدف في آن واحد ومع مجيء عصر العولمة زاد التوسع في الاعتماد على الإعلام لتحقيق هذه المصالح.

وهذه حقيقة لا تحتاج إلى مناقشة. لكن المشكلة تكمن في إصرار الأنظمة الغربية على تأكيدها المستمر على "**حيادية إعلامها**" مما يُضلِّل بعض شرائح الجمهور وخاصة غير الواعية أو التي لديها قابلية لتصديق الإعلام الغربي وتقبُّل أنماط الحياة الغربية. فالأنظمة الديمقراطية تعتبر أن غاية وسائل الإعلام غاية إعلامية وليست دعائية. وهي كباقي عناصر الدولة يجب أن تكون بتصرف مجموع المواطنين. ويقتضي ذلك أن تكون حيادية في المنافسة والصراع. وعلى هذا الأساس ترى هذه الأنظمة أن الإعلام لابد وأن يكون على مسافة بعيدة من السياسة ليتمتع بالشخصية الحيادية إلى جانب الوظيفة الإعلامية.

وقد اختلف رواد علوم الإعلام السياسي في تحديد نوعية العلاقة بين السياسة والإعلام. حيث رأى بعضهم أن العمل السياسي والعمل الإعلامي يُشكِّلان مجالين متمايزين. بينما رأى البعض الآخر أنه لا يمكن الفصل بين هذين النشاطين نظراً لأهمية الوظيفة الإعلامية في التبليغ. وحث المواطنين على المشاركة في الحياة السياسية. وربط قنوات الاتصال بين التشكيلات المتآلفة أو المتعارضة. وتعبئة الجماهير قبل الحسم في كل اختيار.

ومهما اختلفت الآراء في هذه المسألة إلا أن الثابت هو أن الجمهور يتأثر بما يطالعه في الصحافة ويشاهده على الشاشة أو يسمعه من الإذاعة، وأن الحياة السياسية في الدولة العصرية لا تكتمل إلاّ بالإعلام النشط، والحوار الدائم بين المواطنين ومختلف أجهزة الحكم، والعمل الدعائي الحيادي الذي يقف بعيداً عن أهواء السياسة.

إلاّ أن العولمة أثبتت -أكثر من أي وقت مضى- أن الدولة أسقطت المفاهيم السياسية في أذهان الشعب عبر أساليب التضليل الدعائي وتوظيف المقررات الأيديولوجية من خلال الإعلان التضليلي كما أثبتت أيضاً أن وسائل الإعلام لابد وأن تُشكّل البوتقة لنشر مبادئ أصحابها الأيديولوجية – أياً كانت هذه الأيديولوجية سياسية أو اقتصادية أو ثقافية أو حتى ترفيهية – ونزعتهم القومية أو الاثنية أو المذهبية، كما كشفت العولمة عن أن الكلام عن الحيادية الإعلامية وحمايتها ما هو إلاّ وسيلة لإقناع الجماهير بصحة المعلومات والمواد الصادرة عن الوسائل الإعلامية والتي تخفي في طياتها ما يغسل العقول ويزلزل العقائد والأفكار.

ونظراً لتزايد فاعلية الإعلام في عصر العولمة ودور الصور والمضامين والرموز عابرة القوميات في الترويج للعولمة وقولبة وتنميط العالم، فإنه من الضروري التعرض لأدلة ومظاهر توظيف الإعلام الغربي وخاصة الأمريكي في تحقيق المصالح وخاصة السياسية، ويمكن أن نعرض لثلاث نماذج للتدليل على ذلك:

نموذج الإعلام الأمريكي:

لم يكن الإعلام الأمريكي قبيل العولمة بريئاً من هذا التوظيف، لكن الأسلوب الذي استخدمته شبكة CNN الأمريكية في تغطية حرب الخليج ١٩٩١/٩٠ لتدمير العراق في إطار تحرير الكويت أيقظ حاسة الاتهام وأعاد للأذهان – ليس فقط لدى المختصين بالشأن الإعلامي ولكن للرأي العام أيضاً – كافة عمليات التضليل والتزييف والتحيز والتعتيم والتجهيل والتهويل والتهوين وخلط الحقائق بالأكاذيب والحذف والإضافة والتعديل وتكذيب الحقائق واثبات الأكاذيب...الخ.

حيث يرى "فيرر مارك" أحد الكتاب الأمريكيين أن هناك سيلاً من المعلومات والصور وال أخبار والتحليلات والتعليقات والآراء التي اجتاحت العالم وفقاً للمنطق الأمريكي وخطته الإعلامية للحرب، صاحب ذلك تلاعب ملحوظ بالأخبار وتدخل رقابي كبير كان مكشوفاً للرأي العام الأمريكي والكونجرس الأمريكي أيضاً وليس للرأي العام العربي والإسلامي فقط الذي شعر وعانى من "أمركة" الخطاب الموجه إليه نتيجة الاحتكار شبه التام الذي مارسته شبكة CNN ومحاولاتها فرض شرعية خطاب الحرب(١٨).

وعلى الرغم من اكتشاف أمر الإعلام الأمريكي وفضيحته بعد انتهاء هذه الحرب إلاّ أن السيناريو الإعلامي قد تكرر بصورة أسوأ وأكثر فجوراً في التزييف وفرض الرقابة واغتيال وقتل الصحفيين

والضغوط على قنوات التلفزة ومهاجمتها وإدانتها بعلانية سافرة وغير مقبولة من الجميع في ضوء التشدق بحرية نقل المعلومات التي زعمت العولمة إتاحتها. ولم يُكتفَ بهذا الأمر بل مارست الإدارة الأمريكية ضغوطاً مباشرة على الحكام العرب بعدم خروج الإعلام العربي عن السيناريو المرسوم. ويكفى ما قامت به الحكومة العراقية المؤقتة من إغلاق مكتب الجزيرة في بغداد لمجرد محاولاته في تغطية ما يحدث على الأرض من الجانبين.

إن وسائل الإعلام في الغرب خصوصاً الولايات المتحدة مُكلفة من قبل السادة المستفيدين من تجارة السلاح باكتشاف العدو تلو العدو لنمط الحياة الغربي أو كما قال "ألبرت اينشتاين" عام ١٩٥٠ "إن أصحاب السلطة الحقيقية في الولايات المتحدة لا نية لديهم أن ينهوا الحرب أبداً. فإن انقضى خطر الاتحاد السوفيتي والشيوعية فهناك اليابان أو العرب أو الإسلام" ويبدو أن المواطن الأمريكي لديه حاجة نفسية ملحة إلى أن تطالعه جهة عليا على هوية عدوه الجديد انطلاقاً من اقتناعه العميق بأنه لابد من وجود عدو يتربص به وذلك بسبب إحساسه بأن العالم الجائع والضعيف خارج بلاده يحسده على مستوى معيشته وقوة بلاده. فوسائل الإعلام الغربية لا تكف عن تصوير خطر الأصوليين الإسلاميين الدائم. لا على بلادهم فحسب بل على الحضارة والبشرية جمعاء[١٩] والاعتماد في هذا التصوير يكون على الصحفيين المُولعين بالتهويل والأكاديميين من أساتذة الجامعات المخضرمين بتضخيم الحقائق الصغيرة (راجع مقالات مأمون أفندي في صحيفة الشرق الأوسط تجدها نموذجاً يجسد ذلك).

نموذج الإعلام البريطاني :

يمكن للمتابع للدور الذي لعبته بريطانيا في حربي الخليج ١٩٩١, ٢٠٠٣ لتدمير العراق واحتلاله والهيمنة على المنطقة كلها بعد تهديد إيران والضغط على سوريا أن يكتشف أنها كانت وراء الحربين. بل كانت أكثر تعصباً وتحمساً وتسرعاً من الإدارة الأمريكية نفسها. وكان إعلامها قبيل وبعد الحرب الأولى في نفس الاتجاه تماماً. بينما اختلف هذا الاتجاه الإعلامي في الحرب الثانية من قبيل الحرب إلى ما بعدها نتيجة لما اكتشف من فداحة الأكاذيب والمغالطات المتعمَّدة التي أصرت المخابرات والحكومة البريطانية علي تقديمها كحقائق مهما قُدم من مصادر أخرى مطلعة من وقائع تنافى ذلك مما يعكس ميل الإعلام البريطاني بدرجة أكبر من الإعلام الأمريكي في إيذاء المسلمين والعرب وتشويه صورتهم. وأعتقد أنه من المهم الانتباه إلى خطورة الإعلام البريطاني والصهيوني في التحريض والتأثير على القرار الأمريكي بداية من عصر العولمة ١٩٩٠. فالبريطانيون والصهيونيون يُخططون والأمريكيون ينفذون خاصة تجاه العرب والمسلمين وما يتعلق بهم في العالم كله.

وقصة العداء للعرب في الإعلام البريطاني قديمة منذ الحروب الصليبية وحتى يومنا هذا. ففي عهد مارجريت تاتشر كتب مستشارها ألفرد سيمرمان عن خطر المسلمين على أوربا "الاستعمار الإسلامي التدريجي لغرب أوربا". كما أن الصحف المحلية استخدمت عند الإشارة إلى العرب مصطلحات "الطابور الخامس". "حصان طروادة" واستخدمت عند الإشارة إلى المسلمين- وليس

جماعات العنف - مصطلحات "التطرف"، "القنبلة الإسلامية"[٢٠] واستغل الإعلام البريطاني أحداث أفغانستان وشوه بها صورة الإسلام على أنه دين يولد الصراعات بين طوائفه[٢١]. وعلينا ألاّ ننسى ما نشرته صحيفة "توادي" البريطانية على صفحتها الأولى، حينما نشرت صورة لأحد رجال الإطفاء الأمريكيين وهو ينتشل طفلاً ميتاً من تحت أنقاض مبنى أوكلاهوما المُدمر تحت عنوان "باسم الإسلام" ورفضت الصحيفة الاعتذار حتى بعد اكتشاف حقيقة أن منفذين الانفجار لم يكونوا من المسلمين[٢٢].

فالعرب في الإعلام العولمي ليسوا حضارة وأمة ولكنهم سلسلة من الأحداث والأحكام وأصحاب ملف مليء بالحروب والصراعات والدموية والتخلف والتطرف وسحق الحريات الفردية وقهر الحكومات للشعوب التي تكره بدورها هذه الأنظمة[٢٣] لذا فإن أي مُتابع للأحداث الدولية يلحظ توظيف الإعلام العولمي للمصالح السياسية، وكل من يتابع الإعلام السياسي يدرك عمق هذا التضليل وأهميته في صنع القرارات الحكومية ومصير الشعوب[٢٤].

نموذج الإعلام العربي:

من الأمور التي يجب ألاّ تنساها الشعوب العربية طوال تاريخها هي شكوى الشارع الأوربي – وبعض المسئولين الأوربيين أيضاً – من ضعف موقف الشارع العربي في الاحتجاج على التهديدات الأمريكية التي سبقت الحرب على العراق سواء في ١٩٩١ أو ٢٠٠٣ حتى ظن كثيرون قبل انعقاد القمم العربية الخاصة بذلك أن هناك شبه إجماع عربي ليس على صعيد الأنظمة العربية فحسب، بل على صعيد الشارع العربي أيضاً بالترحيب بهذه الحروب[٢٥].

وقد لعب الإعلام العربي الدور الأكبر في تهيئة الشعوب العربية لتقبل هذا الأمر إن لم يكن من قبيل أن النظام العراقي يستحق ذلك (دون مراعاة للفرق بين النظام والشعب) فمن قبيل أننا كعرب لن نستطع إيقاف عجلة الحرب ما دامت الولايات المتحدة تريد ذلك.

وراح الإعلام العربي في سبيل تهيئة الرأي العام يسوق الأدلة والبراهين من واقع ما يُعايشه الانسان العربي من ضعف ويأس وتفكك وعدم ثقة، وما تنفرد به الولايات المتحدة من هيمنة في صنع القرار العالمي وإدارة شئون العالم، وقد كان الإعلام العربي مُستفزاً لجماهيره إلى أبعد حد حينما كان يطالب العراق – على لسان مسئولين ومثقفين – بضرورة الالتزام بالشرعية الدولية واحترام قرارات مجلس الأمن، في الوقت الذي كان يعلم فيه رجل الشارع البسيط أنه لا يوجد ما يُسمى بالشرعية الدولية ولا يوجد احترام لقرارات مجلس الأمن إلاّ في الحالات العربية والإسلامية وفي سياق مصطنع وغير عادل، بمعنى أن العراق لم يخل بالشرعية الدولية بل التزمت بأقصى قيودها ودمرت كل سلاحها ومصانعها غير التقليدية وبيعت لشركات أمريكية على أنها خردة بأبخث الأسعار، وأن الدولتين الوحيدتين في العالم اللتين لم تحترما مجلس الأمن وتنتهكان الشرعية الدولية هي الولايات المتحدة وإسرائيل.

ومع ذلك ساهم الإعلام العربي في إصابة كثيرين بالسكر وارتفاع ضغط الدم نتيجة إصراره على مطالبة العراق باحترام مجلس الأمن. وبدا المسئولون والمثقفون العرب الذين طالبوا بذلك عبر القنوات الفضائية والصحف وكأنهم سذج أو يخاطبون جماهير سذج.

والأدهى من ذلك ما قامت به وسائل الإعلام العربية سواء من داخلها أو باستضافة مثقفين وكتاب عرب يدعون ليل نهار للترحيب بهذه الحرب باعتبارها تحمل للعرب الحرية والديمقراطية والاستقرار السياسي والاقتصادي زعماً منهم أن نظام صدام هو المعوق في ذلك. فكانت النتيجة هي العكس تماماً: فبسقوط نظام صدام غرقت المنطقة كلها وليس العراق فقط في صراع دموي وعنف وقتل وتهديد بضرب إيران وسوريا وضغوط على السعودية ومصر ولا أحد يعلم ما هو القادم؟

لقد حاولت الأنظمة العربية توظيف إعلامها في تحقيق مصالح سياسية واقتصادية على حساب الشعب العراقي دون جدوى. وظهر جلياً الآن -حتى للقادة والإعلاميين العرب- خطأ المواقف التي تبنوها وما ترتب عليها من أضرار عليهم وعلى المنطقة بأكملها. وهي من ابرز الآثار السلبية التي تركتها العولمة على الإعلام السياسي العربي خاصة.

فلا كلام عن حياد إعلامي في الإعلام العولمي ، بل تأكيد على التضليل الدعائي الموجه وقدرته على تغيير العالم جغرافياً وتدمير عقول البشر ذهنياً وقلب الموازين والقوى استراتيجياً[٢٦] ومع كل ذلك لا يمكن لإعلامنا العربي أن يغرد خارج السرب بعيداً عن مشروع عربي شامل يتعامل فيه العرب مع أنفسهم قبل غيرهم كأمة وحضارة لها استقلاليتها وقوتها في فرض نمط حياتها وحكمها في ظل التعايش العولمي.

تقييد حرية التعبير وإحكام الرقابة على الرغم من إدعاء العولمة عكس ذلك: لم تقتصر تقييد حرية التعبير التي غالت الولايات المتحدة الأمريكية في ممارستها مع مجيء العولمة على كافة منافذ الإعلام السياسي كالكتب والنشرات والتقارير التي تصدرها الجمعيات السياسية والمدنية وما يبثه المراسلون و القنوات الفضائية أو ما يكتبه الصحفيون بخصوص الشأن السياسي. بل امتد الأمر إلى إحكام الرقابة على المسلسلات والمسرحيات والأفلام وأية إبداعات فنية لها إسقاط مباشر أو غير مباشر على السياسات الأمريكية في العالم والشرق الأوسط خاصة.

فقد تابع الجمهور العربي – ولأول مرة – الانتقادات والاعتراضات والتهديدات التي تشنها الولايات المتحدة سواء من خلال سفرائها أو من خلال إدارتها مباشرة إلى حد تركيز الرئيس الأمريكي شخصياً في خطاباته على بعض الأعمال الفنية التي تتناول السلوك الأمريكي على أرض الواقع مما أدى إلى وقف عرض هذه الأعمال سواء قبيل عرضها أو حتى بعد عرض جزء منها.

(مسرحية ماما أمريكا للفنان محمد صبحي، مسلسل الطريق إلى كابل...الخ) نتيجة للإحساس بفضح السياسات الأمريكية المفضوحة أصلاً أو مساهمة هذه الأعمال في إبقاء الرأي العام بشكل دائم على معاداته للولايات المتحدة.

فقد كان الجمهور العربي من قبل يئن من الرقابة التي تمارسها أنظمة الحكم في بلاده ويتشدق بحرية الإعلام الأمريكية، وجاء الوقت الذي يحدث فيه العكس لتصل حرية الإعلام في بعض البلدان العربية إلى حد المناداة علانية بإسقاط رئيس الدولة (مصر في مطالبتها بانتخاب الرئيس بدلاً من الاستفتاء عليه ولبنان بعد مقتل رئيس الوزراء السابق رفيق الحريري) في الوقت الذي يشعر فيه المواطن العربي بالقهر والقرف نتيجة للتدخل المستمر ليس فقط في السياسات الرسمية ولكن في اتجاهات الرأي العام أيضاً.

ومن المظاهر الأكثر تقييداً لحرية التعبير ما يتعلق بالجانب السياسي في الإسلام أو ما يسميه البعض"**بالإسلام السياسي**" أو "**النشاط السياسي للتيارات الإسلامية**" أو ما تُسمى "***بجماعات الإسلام السياسي***" أو حركات الجهاد الإسلامي أو "***الجماعات الإرهابية***" كما يحلو للغرب أن يراها كذلك، حيث جعلت العولمة من الصعب التفريق بين هذه المصطلحات جميعها وخاصة بعد أحداث ١١سبتمبر ٢٠٠١، وأصبحت مدلولاتها غير ثابتة وتتغير بتغير المصالح الغربية والأمريكية وما يتبعها من مصالح الأنظمة العربية، فكل الجماعات التي دخلت أفغانستان لمقاومة الشيوعية ابتداءً من جماعة أسامة بن لادن وجماعة أيمن الظواهري وحتى الأفراد المستقلين الذين ذهبوا فقط بدافع الجهاد اعتبرتهم وسائل الإعلام العربية والغربية جماعات جهادية مناضلة وحظيت بالثناء والتقدير لأعمال البطولة التي قامت بها كما حظيت بدعم الحكومات العربية مادياً ومعنوياً، بينما تحولت هذه الجماعات إلى إرهابية حتى لو عبرت عن رأيها أو أظهرت موقفها من العدوان الإسرائيلي الغاشم أو الأمريكي الكاسح، الأمر الذي وصل إلى اعتبار المقاومة الفلسطينية والعراقية ضرباً من الإرهاب عند الإعلام الغربي أو الانتحار عند الإعلام العربي.

وكان من الممكن للإعلام العربي هنا أن يفصل بين مصطلحات سياسية يتم تداولها على لسان الساسة، وبين مصطلحات إعلامية محايدة أو صحيحة يستخدمها الإعلاميون كما تفعل قناة الجزيرة حينما يقول مذيعوها على هذه الجماعات من تعتبرهم الولايات المتحدة... أو كما تصفهم ... فالإعلام العربي يمكنه بالتنسيق مع السلطات السياسية الاتفاق على عدم ضرورة تطابق الخطاب الإعلامي مع الخطاب السياسي في الحالات التي تخدم الأخير حتى من قبيل الحرية التي فرضتها العولمة، بحيث يمكن للسياسة أن تستغل هذا الخطاب في تحسين وضعها التفاوضي دبلوماسياً أمام الغرب في شئون كثيرة، ولكن يبدو أن الأنظمة العربية لا تثق بهذه الجماعات أكثر من عدم ثقتها بالغرب، أو أن ثقتها بالغرب أكثر من ثقتها بهذه الجماعات، ومن هنا تقع مسئولية سياسية على أجهزة المخابرات العربية التي يمكنها أن تنسق بطريق ضمني وغير مباشر مع هذه الجماعات في صالح المجتمعات العربية، ولكن يبدو أن الثقة مفقودة أيضاً بين الطرفين وهي إشكالية تحتاج إلى دراسة.

الحرب على التغطية الإعلامية. كما أنه من الصعب أن يكون الصحفي دقيقاً في ظل طبيعة الحرب التي تفرض قيوداً مُشددة للوصول إلى المعلومات. كما أن تحركات الصحفي ذاتها مُقيدة وتلاحقه أخطاراً جمة إذا ما حاول أن يعبر مناطق القتال(٢٩).

إن التغطية الأمينة تتطلب من الصحفيين تقدير جميع الظروف المحيطة. ولكن ربما تجعلهم هذه الظروف أن يفضلوا كتابة تقاريرهم الصحفية منقوصة وتجانبها الحقيقة. إلاّ أنه في النهاية يجب على الصحافيين ألاّ يتعمدوا هذا عبر حملات الدعاية التي يشنها طرف من أطراف الحرب. إذ أن مراسل الجزيرة في تغطيته مشهد سقوط تمثال صدام حسين اعترف في برنامج على الجزيرة ذاتها بأنه استخدم عبر تمثيلية أمريكية لم يدركها إلاّ بعد أن أذيع المشهد على الهواء والذي ظهر فيه عراقيون ينهالون على تمثال صدام بالنعال والأحذية بينما تبين بعد ذلك أنه مشهد تمثيلي مُفتعل مُعد مُسبقاً من القوات الأمريكية.

تهديد حرية الصحافة والإعلام ونقل المعلومات: والأمثلة على ذلك كثيرة سواء كانت على الأرض الأمريكية أو غيرها ممن تشهد أحداثاً سياسية وعسكرية كالأرض العربية والإسلامية؛ فعلى الأرض الأمريكية علينا أن نتأمل ما قام به أكثر من مائة من أبرز وألمع نجوم هوليوود يوم ١٠ ديسمبر ٢٠٠٢ بمظاهرة احتجاج ضد الحرب على العراق. وعقدوا مؤتمراً صحفياً قرروا فيه إرسال خطاب مفتوح إلى الرئيس بوش يطالبون فيه بانتهاج الأساليب الدبلوماسية لحل المشكلة بدلاً من القوة العسكرية. فما كان من الصحف الأمريكية إلاّ أن تجاهلت نشر الخبر تماماً. وشنت شبكتا CNN و FOX هجوماً من السخرية والاستهزاء على المحتجين(٣٠).

وعلى الأرض العربية لنا أن نتذكر تلك الضغوط الأمريكية التي مارستها الولايات المتحدة قبيل وإثناء وبعد الحرب والتي وصلت إلى حد استدعاء وزير الخارجية القطري لمناقشته في السياسة والممارسة الإعلامية لقناة الجزيرة بخصوص تغطيتها لأحداث الاحتلال الأمريكي في العراق على اعتبار أن هذه التغطية لا تتستر على جرائم الاحتلال كما تفعل غيرها. فضلاً عن الممارسات الوحشية التي تقوم بها إدارة وقوات الاحتلال ضد نوعية معينة من المراسلين والمصورين تابعين لفضائيات عربية تحاول أن تعكس حقيقة ما يجرى بقدر الإمكان (الجزيرة.العربية. أبوظبي). وقد وصلت هذه الممارسات إلى حد الاغتيال والقتل لمراسلين ومصورين أثناء القيام بعملهم على أرض الأحداث أو تدمير المكاتب وقصفها جوياً أو حتى القبض عليهم واعتقالهم كما حدث لتيسير علوني في أسبانيا إحدى الدول المشاركة بقوات احتلال في العراق ثم بعد ذلك غلق مكتب الجزيرة في بغداد بقرار من الحكومة العراقية المؤقتة للتغطية على انتهاكات القوات الأمريكية لحرية الصحافة ونقل المعلومات.

وفى تقرير للجنة حماية الصحفيين الدولية عن انتهاكات وجرائم القوات الأمريكية ضد الصحفيين خلال عام من أبريل ٢٠٠٣ إلى مايو ٢٠٠٤ ذكر: أنه من ٧-١٠ صحفيين قتلوهم جنود أمريكيين. وأن ٢٨ صحفياً قُتلوا. وكثيرين نجوا من الموت بأعجوبة وكانت الشبهات تحوم حول

القوات الأمريكية. كما أن هناك حالات عديدة من سؤ المعاملة التي تعرض لها الصحفيين على يد الأمريكيين. وفي كل الحالات السابقة لم يقدم الأمريكيون تفسيراً. أو تفسيراً معقولا لهذا على الرغم من أن الصحفيين مدنيون يحميهم القانون المدني[٣١].

وفي تقرير لمنظمة (مراسلون بلا حدود) وصف حرب العراق الأخيرة بأنها (النزاع الأسوأ بالنسبة إلى الصحافة منذ حرب فيتنام) حيث قُتل ٥٦ صحافياً وعاملاً في الحقل الإعلامي. وخُطف ٢٩ صحافياً منذ ٢٢ مارس ٢٠٠٣م. أي منذ بدء الحرب العراقية الأخيرة. ويبدو هذا العدد كبيراً مقارنة بالحرب الفيتنامية حيث قُتل ٦٣ صحافياً في الفترة من ١٩٥٥م إلى ١٩٧٥م أي أن ما قُتل في عام ونصف في العراق يقارب ما قُتل في ٢٠ سنة[٣٢].

كما حذر الاتحاد الدولي للصحفيين ببروكسل في مناسبة اليوم العالمي الخامس عشر لحرية الصحافة من أن الدول الديمقراطية في العالم تضحي بالحريات المدنية وحرية التعبير بحجة الحفاظ على الأمن[٣٣].

فقد أفرزت أصداء العولمة على حرية الصحافة شعارات منمقة. وجماعات مدنية مصطنعة. وأخبار جاهزة مُعلبة. وشخصيات إعلامية تقف على تخوم تقارب بين الإعلان والإعلام. وساد شعور قوي بأن دور العلاقات العامة هو تهيئة الرأي العام لتخفيف آثار الديمقراطية التي يمكن أن تتعرض بسببها المؤسسات الاقتصادية ورجال العمال الأثرياء إلى المخاطر. وأصبحت القاعدة المعمول بها في مهنة الصحافة: إذا وافقت النخبة (لا تتجاوز ٢ أو ٣ بالمائة تسيطر على رأس المال والمؤسسات الكبرى) على قضية ما فلا ينبغي للصحافة أن تقترب منها بالنقد والتمحيص والتحقيق[٣٤].

وبناء على ذلك تغيرت هياكل المؤسسات الإعلامية الأمريكية تغيراً جذرياً خلال ربع قرن وعلى وجه التحديد منذ بداية العولمة وحتى الآن (١٩٩٠-٢٠٠٥) فاندمجت عشرات بل مئات من الصحف وشبكات الإذاعة والتلفاز الصغيرة في مؤسسات إعلامية عملاقة من المؤسسات متعدية القومية أو الجنسية لا يزيد عددها على تسع أو عشر مؤسسات. تُعتبر من بين أكبر ٣٠٠ مؤسسة في العالم. وتغيرت تركيبة هذه الشركات الإعلامية الضخمة وأصبحت تضم شبكات التلفاز الرئيسية وأهم المحطات الإذاعية. وقنوات الكوابل التلفازية. واستوديوهات الأفلام السينمائية. ومعظم دور نشر الكتب والمجلات وأصبحت هذه المؤسسات تمثل إمبراطوريات إعلامية ضخمة تسيطر على صناعة الصحافة والنشر والسينما والفيديو والكاسيت.. وكلها فروع إعلامية تخدم بعضها البعض وتخضع لقوى رأسمالية عاتية النفوذ والتأثير[٣٥].

غير أن انتكاس الحرية الأمريكية لم تعد مقصورة على انحطاط الأداء الإعلامي للصحافة وشبكات التلفاز الأمريكية وعرقلة الصحفيين عن القيام بمهامهم. بل أخذت وزارة الدفاع الأمريكية تفكر وتنفذ حالياً مشروعاً جديداً للقيام بعمليات إعلامية مخابراتية بهدف التأثير على الرأي العام وصناع القرار سواء في البلدان الصديقة أو المعادية للولايات المتحدة. -وتبدو الفكرة تكراراً

لقد مارست الولايات المتحدة أشد أنواع الضغط والتهديد على كل المنافذ والقنوات الإعلامية التي تنقل بين الحين والآخر خبراً أو شريطاً مسجلاً أو لقاءً سرياً يعبر عن مواقف هذه الجماعات إزاء ما يحدث أو يجرى على الأرض العربية أو الإسلامية. وحظيت قناة الجزيرة والعربية بالجانب الأكبر من هذه التهديدات والضغوط بكافة أنواعها ثم الجد في وقت لاحق ابتداءً من النقد وتوجيه الاتهام ومحاولة إرهاب المذيعين والقتل لبعضهم والاعتراض على أشخاص دون غيرها (احمد منصور في تغطيته للشأن العراقي حتى تم استبداله) واستدعاء ومساءلة أصحاب القنوات ومحاولة تشويه هذه القنوات من خلال قنوات منافسة لها كقناة الحرة.

كما انتقلت هذه القيود إلى حرية التعبير ونعتت الانترنت بأنه تحول إلى وسيلة إرهابية نتيجة لاستخدام هذه الجماعات لها دون تدبر أمر هذه الجماعات التي لو سمح لها بالتعبير عن رأيها بطريقة شرعية لما لجأت إلى السرية وأعمال العنف. وهذا ما يدعو للتساؤل: إذا كانت مواقف هذه الجماعات خاطئة ومرفوضة من غالبية المجتمعات العربية فلماذا يحرموها من التعبير عن نفسها حتى ينكشف أمرها أمام الجميع خاصة وأن الاتجاهات المعارضة لها هي الأقوى والأكثر امتلاكاً للإمكانات في جميع النواحي وبذلك يتبين صحة وسلامة المواقف الرسمية أو غير الرسمية الأخرى كالليبرالية والعلمانية وحتى القومية. أما محاولة التضييق عليها من قبل الغرب والأنظمة العربية فيمكن أن يوحى للبعض بصحة مواقفهم التي لو أتيح لها التعبير عن نفسها لحظيت بتأييد ما.

وقد سجل سلامة أحمد سلامة المعلق السياسي المعروف[٢٧] بحياديته للغرب لحظة حقيقية في تقييد حرية التعبير وإحكام الرقابة الأمريكية عندما ظهرت صورة أسامة بن لادن على شاشات الفضائيات لأول مرة، وهو يوجه رسالته إلى العالم بعد أحداث ١١ سبتمبر بأيام قليلة، حيث سارعت الحكومة الأمريكية فطلبت من مسئولي الشبكات التلفازية وكبار محرري الصحف الأمريكية وجميع وسائل الميديا في الدول الحليفة في الغرب أن تمتنع عن إذاعة أو نشر أي شيء على لسان هذا "**الشيطان المسلم**" بحجة أن رسائله يمكن أن تحمل تعليمات سرية مشفرة إلى أتباعه من تنظيم القاعدة المنتشرين في جميع إنحاء العالم للقيام بعمليات "**إرهابية جديدة**"[٢٨].

سيطرة المعايير السياسية على المهنية والتضحية بالدقة وغياب الموضوعية تماماً

ثلاثة أحداث رئيسية حددت شكلت العلاقة بين الإعلام والعولمة وخاصة الإعلام السياسي: حرب الخليج الثانية ١٩٩١، أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حرب الخليج الثالثة ٢٠٠٣ وقد انعكست هذه الأحداث بشكل خاص على تغييب وتعطيل المعايير المهنية للنشر والبث الإعلامي وبروز المعايير السياسية البعيدة تماماً عن الموضوعية والدقة، بل إن هذه الحقبة صاحبها تطرف كبير في إيجاد معايير سياسية جديدة أكثر تزييفاً وجرأةً وعلانية من ذي قبل تقوم على الفرض والقهر على المستوى السياسي يتبعه فرض وإملاء على المستوى الإعلامي. ومع الاستمرار في هذه السياسة

تتحول إلى أمر عادى ويقبلها الجمهور من قبيل الاستسلام واليأس وربما تتحول مستقبلاً إلى أمر مقبول عن قناعة.

فالأحداث الثلاثة كانت مسرحاً بين هؤلاء الذين يحترمون حق الناس في المعرفة، وألئك الذين أرادوا دفن الحقيقة تحت تراب الدعاية والخداع الأمريكي، ففي خلال الحرب الأخيرة كان كل جانب على خط المواجهة يحاول أن يكسب الجولة في الحرب على القلوب والعقول، سواء كان ذلك بإشاعة الأكاذيب أو بنشر الحقائق، إلاّ أنه كان من الواضح للعالم كله أن المصادر الأمريكية تكذب والإعلام العراقي يرد ويصحح ومعظم العالم كله يحتقر الولايات المتحدة – رغم أنها الطرف الأقوى – لاعتمادها أساليب غاية الخسة واللاأخلاقية، كما بدا واضحاً أن القوة الكبرى لا يهمها صورتها ولا نظرة العالم لها ولا موقفها أمام شعبها ولا مبادئ القانون الدولي ولا أخلاقيات الحروب ولا أي شيء إلاّ انتصارها في الحرب حتى لو كان هذا النصر بطريقة غير مشروعة ومخالفة لقوانين الحرب الدولية، بينما لم يظهر الإعلام العراقي غير مجافٍ للحقيقة إلاّ بعد خيانة كبار ضباط وقادة الجيش والحرس الوطني والخابرات العراقية التي نجحت أمريكا من خلال المعارضة الشيعية العراقية في رشوتهم واستدراجهم دون علم وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصحاف ما أدى إلى استمرار تصريحاته في ضوء الحالة العراقية قبيل الخيانة.

وباعتقادي أن الإعلام العراقي من ٢٠ مارس بداية الحرب وحتى قبيل سقوط بغداد ٩ أبريل ٢٠٠٣ بيومين فقط ضرب نموذجاً مشرفاً لإعلام عربي واجه الأكاذيب بالحقائق فانتصرت الحقيقة- حينما سمحت لها الظروف بالظهور - على الأكاذيب رغم أن هذه الأكاذيب كان ورائها أعتى ترسانة إعلامية عالمية تحظى بتأييد معظم الإعلام العربي أو على الأقل سكوته عنها، إضافة إلى الحملات الدعائية المخططة التي شارك فيها صفوة الإعلاميين والخبراء في الحرب النفسية وأنفق عليها المليارات، ناهيك عن الضغوط والرقابة الرسمية التي مارستها الإدارة الأمريكية على لسان حكومتها ووزراء دفاعها ومخابراتها المركزية.

وكان من الطبيعي – أمام هذا العمل المُخطط الكبير الذي يتجاوز قدرات الصحافيين – أن يسقط الصحافيون فريسة بين الحقائق والأكاذيب، وهذا ما أكده كل من **إبراهيم نوار** رئيس المنظمة العربية لحرية الصحافة ونبيل **يونس** الكاتب السياسي بجريدة النهار من أن الصحفيين – نتيجة للتوجهات الإعلامية التنافسية التي شهدتها الحرب – اضطروا في الميدان إلى التقاط ما يمكن الحصول عليه من أخبار وصور والمسارعة بإرسالها إلى وسائلهم الإعلامية التي قامت ببثها دون تقدير مُسبق لتأثيرها المُضلِّل على المتلقين، ولنفس الأسباب التنافسية لم يُعط المراسلون الحربيون لأنفسهم الفرصة لتدقيق القصص الإخبارية، ففضلوا نشر القصص "المُثيرة".

وفى الوقت الذي يمثل ذلك خطورة على العمل الصحفي ويدمر مصداقية الصحافة عملاً بقيم العولمة (جعل الشيء على مستوى عالمي أي نقله من المراقب إلى اللامحدود الذي ينأى عن كل مراقبة) إلاّ أنّ ذلك – بطبيعة الحال- ليس من السهل تحقيقه في ظل قيود يفرضها كل طرف في

لأساليب الدعاية التي اُستخدمت إبان الحرب العالمية الثانية وخلال الحرب الباردة – عن طريق القيام بعمليات سرية وتقديم تمويل سرى للتأثير في المدارس والمساجد. وإغراء الصحفيين بكتابة مقالات تنسجم مع الأهداف الأمريكية. وتنظيم المظاهرات والتجمعات المؤيدة لأمريكا[٣٦].

تحول الإعلام الأمريكي إلى إعلام دعائي غارق في مستنقع الساسة الكذب

في كتاب صدر أخيراً بعنوان "أسطورة حرية الصحافة" الذي كتب مقدمته الكاتب والروائي الأمريكي الشهير "جور فيدال" استعرض فيه عدداً من ألمع وأبرز الصحفيين الأمريكيين تجاربهم خلف الكواليس في الصحف وعلى شبكات التلفاز وعلى مر سنوات طويلة من العمل الصحفي.وكلها تجارب قادرة على إثارة الدهشة التي قد تصل إلى حد الصدمة..تكشف بجلاء عن السياق الذي تحركت من خلاله "الميديا الأمريكية" في تغطية الأحداث التي وقعت في أعقاب ١١سبتمبر. حيث أغرقت وسائل الإعلام أو بالأحرى غرقت في مستنقع من الأكاذيب وأنصاف الحقائق التي وُظفت في خدمة الصورة السياسية التي رسمها المسئولون في البيت الأبيض: أمة خيرة. ديمقراطية. محبة للسلام. تتعرض لهجوم مجموعة من الجانين الأشرار الحاقدين لما تتمتع به أمريكا من حرية ورخاء[٣٧].

ولعله من الصحيح أنها أمة تتمتع بحرية مزيفة تصنعها الطبقة الرأسمالية والميديا كماً وكيفاً لتحقيق أهداف الصهيونية ووزارتي الدفاع والخابرات. وتتمتع برخاء قائم على استنزاف موارد العالم وبخاصة موارد العرب والمسلمين. ولكن ليس من الصحيح أنها أمة خيرة محبة للسلام. بل أمة عدوانية تعشق السطو والنصب ونهب ثروات الغير ومصادرة أموال الآخر والتدخل والتطفل بالإكراه في شئون الآخرين. فاقتصادها يقوم على الحرب عبر بيع الأسلحة للأطراف المتنازعة التي تنجح شركات السلاح والصهيونية دائماً في خلق وتأجيج واستمرار الخلافات وبث الفتنة بينها. وإعلامها العالمي يقوم على الاحتكار وإعلامها الداخلي يصنع تعددية آراء غير متوازنة لحساب مصالحها الخارجية. وثقافتها تقوم على الهيمنة بتركيزها على مخاطبة الغرائز وإثارة كوامن العنف والشهوات ورفع التطلعات الاستهلاكية وعدم الرضا السلبي بالواقع والمُتاح والبعد عن الأصالة والتدين. فهي أمة قوية ولكنها شريرة. مهيمنة ولكنها ظالمة. منفتحة ولكنها مستبدة. ديمقراطية ولكنها مزيفة.

ويطلق أصحاب النظريات الأمريكية على أساليب حرية الدعاية التي انحدر إليها الإعلام الأمريكي. ما يعرف باللجوء إلى "القوة الناعمة" Soft Power وهى القدرة على الحصول على ما تريده عبر إقناع الآخرين باحتضان أهدافك.. في مقابل "القوة الصلبة" Hard Power وهى اللجوء إلى استخدام أساليب الضغط الاقتصادي والقوة العسكرية لإجبار الآخرين على الرضوخ والإذعان. وفى رأى العصبة الحاكمة حالياً في البيت الأبيض والبنتاجون أن الحرب ضد الإرهاب أو من أجل الديمقراطية تقتضى استخدام القوتين معا الناعمة والصلبة بحسب مدى قرب الطرف الآخر أو بعده وتصنيفه كعدو أو صديق طبقاً للمقولة السائدة كل شيء مُباح في الحب والحرب!! وفى هذه الحالة فإن القوة الناعمة تنبثق من ثورة الإعلام والمعلومات والقدرة على تشكيلها. ومن

الثقافة والفنون في جميع صورها وألوانها. ولا حاجة بنا إلى القول بأن العالم يشهد الآن واحدة من أشرس المعارك التي تُستخدم فيها "القوة الناعمة" لخدمة أهداف السياسة الأمريكية سواء فيما يتعلق بالحرب ضد الإرهاب أو بالحرب ضد العراق، أو بالقضاء على محور الشر إجمالاً[٣٨].

مراجع وهوامش الفصل الخامس

١/ جلال أمين "العولمة والدولة"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٨٨، بيروت، فبراير ١٩٩٨، ص٢٣.

٢/ حسنين توفيق إبراهيم "العولمة: الأبعاد والانعكاسات السياسية"، مجلة عالم الفكر، العدد ٢٧، الكويت، ١٩٩٧، ص ١٩٥.

٣/ مركز دراسات الوحدة العربية، العولمة وتداعياتها على الوطن العربي، سلسلة كتب المستقبل العربي (٢٤) ص ٢٠٥ – ٢٠٦.

٤/ توفلر، حضارة الموجة الثالثة، ص ٣٤٥.

٥/ هربرت شيللر، المرجع السابق، ص ١٧و ٣٨.

٦/ ليونيد سيوكيانين،المرجع السابق.

٧/ مفكرة الإسلام، "الإعلام في الصراع الدولي" ٢٠٠٤/٤/١٧ www.islammemo.cc

٨/ http://www.albayan.co.ae/albayan/seyase/٢٠٠٣/issue١٢٥/textstwo/٣.htm

٩/ ليونيد سيوكيانين، المرجع السابق.

١٠/ المرجع السابق.

١١/ مفكرة الإسلام، مرجع سابق.

١٢/ مفكرة الإسلام، مرجع سابق.

١٣/ http://www.albayan.co.ae/albayan/seyase/٢٠٠٣/issue١٢٥/textstwo/٣.htm

١٤/ فيرر مارك، وسائل الإعلام والعالم، مجلة الفكر العربي، الكويت، كانون الثاني ١٩٩٣، نقلا عن النسخة العربية لمجلة L.M.D التي تصدر من باريس.

١٥/ المرجع السابق نفسه.

١٦/ ناصر سليمان العمر، من وسائل العولمة الإعلامية، مجلة المجتمع، العدد١٤٩٥، ٢٣-٢٩محرم١٤٢٣هـ ، ٦-١٢ ابريل ٢٠٠٢، ص٤٣(مرجع ٦و٧ من الأصل).

١٧/ المرجع السابق نفسه.

١٨/ فيرر مارك، مرجع سابق

١٩/ أمين حسين أحمد " صورة العرب والمسلمين في وسائل الإعلام الغربية "، جريدة الحياة، ٢٣أكتوبر ٢٠٠٠.

٢٠/ يونس نبيل "إعلام الدولة أم إعلام الحكم"، جريدة النهار، بيروت، ٢٥يناير ٢٠٠١.

٢١/ صالح محسن، صورة حزب الله في الإعلام البريطاني، بيروت: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق، ٢٠٠٠، ص٢٢٠.

٢٢/ يوسف الخوئي " المسلمون في الغرب: دراسة حالة بريطانية "، جريدة الحياة، ٢٨ ديسمبر ١٩٩٩.

٢٣/ عبد الوهاب المسيري، الأيديولوجية الصهيونية، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨، ص١٢٦.

٢٤/ روجيه جار ودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، القاهرة: دار الغد العربي، ١٩٩١، ص٢٠٢.

٢٥/ إبراهيم نوار، مرجع سابق.

٢٦/ يوسف الخوئي، مرجع سابق.

٢٧/ نظراً لكونه في الأصل مراسلاً غربياً للأهرام عاش في أوربا وتزوج ألمانية وتعلم أولاده بالجامعة الأمريكية وفضل لهم العمل وإكمال الدراسة بالغرب.

٢٨/ سلامة أحمد سلامة " أسطورة حرية الصحافة في أمريكا " المنشور ٢٠٠٣ على موقع:

www.aljazeera.net\indepth\opinion١٢٠٠٣١٨١٨٢-.html٢k

٢٩/ نظر: نبيل يونس "إعلام الدولة أم إعلام الحكم، جريدة النهار بيروت، ٢٠٠٣/١/٢٥ ، إبراهيم نوار، مرجع سابق.

٣٠/ سلامة احمد سلامة، مرجع سابق.

٣١/ جوكو مبانيا عضو لجنة حماية الصحفيين الدولية "تقرير انتهاكات القوات الأمريكية للصحفيين خلال الحرب على العراق خلال عام من مارس أبريل ٢٠٠٣ – مايو ٢٠٠٤"،برنامج حصاد اليوم، قناة الجزيرة، ٢١مايو ٢٠٠٤.

٣٢/ تقرير منظمة " مراسلون بلا حدود" الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط بمناسبة اليوم العالمي الخامس عشر لحرية الصحافة في ١١\٥\٢٠٠٥.

٣٣/ بيان الاتحاد الدولي للصحفيين الذي نشرته صحيفة الشرق الأوسط بمناسبة اليوم العالمي الخامس عشر لحرية الصحافة في ١١\٥\٢٠٠٥.

٣٤/ سلامة أحمد سلامة، مرجع سابق.

٣٥/ سلامة أحمد سلامة، مرجع سابق.

٣٦/ سلامة أحمد سلامة، مرجع سابق

٣٧/ سلامة أحمد سلامة، مرجع سابق.

٣٨/ حسن عماد مكاوي، مرجع سابق، ص٢٦٨، وسلامة أحمد سلامة، مرجع سابق.

الفصل السادس

عولمة الثقافة الإعلامية

أن وسائل الإعلام العربية التي يجب أن تكون الجهة المنوطة بمواجهة ثقافة العولمة هي نفسها إحدى آليات تكريس ثقافة العولمة... فلم تصبح وسائل الإعلام العربية- الفضائيات خاصة- في ظل العولمة أداة تحصين وحماية للعقل العربي من آثار ثقافة العولمة ومخاطرها بل تحولت إلى أدوات ووسائط ومنافذ لحمل وبث ونشر أفكار وقيم العولمة في أرجاء المعمورة العربية حتى وإن كانت تحمل هذه الفضائيات في بعض برامجها انتقادات شديدة للعولمة؛ لأن العبرة ليست بتبني موقف كلامي ضد العولمة ولكن العبرة بنوعية المضمون والأداء الفعلي السائد في برامج وسياسات وإعلانات الفضائيات العربية.

حيث لا فائدة من قناة فضائية يحمل مضمونها طوال اليوم أفلام ومسلسلات ومسابقات وإعلانات وعروض تعكس وترسخ بوضوح للأنماط القيمية والتربوية المعولمة ثم تأتي في ختام أو منتصف يومها وتهاجم العولمة علي لسان بعض ضيوفها. فأي عولمة هذه التي تهاجمها الفضائيات العربية لفظاً وقولاً بينما تعمل علي زرعها وترسيخها في نفوس وعقول ووجدان المشاهدين سلوكاً وفعلاً؟ وهل هناك عولمتين عولمة نهاجمها وعولمة نسلكها؟!

ولمحاولة تفسير هذه الإشكالية يرتب هذا الفصل عناصره علي النحو التالي: تحديد مفهوم إعلام العولمة، تحديد مفهوم عولمة الإعلام، سمات الإعلام في عصر العولمة، إقامة الدليل علي عولمة الفضائيات العربية (المظاهر)، آثار ومخاطر ثقافة العولمة التي تبثها الفضائيات العربية علي المجتمع العربي، أسباب ازدواجية الدور الذي تقوم به الفضائيات العربية نحو العولمة وكذلك ازدواجية المشاهد العربي في تعامله مع ثقافة العولمة. وفي النهاية مدي قدرة الإعلام العربي في النهوض بالمجتمع في ظل العولمة وأي النماذج الإعلامية ملاءمة لمواجهة ثقافة العولمة وتحصين العقل العربي؟

إعلام العولمة:

سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة، لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول، وأنماط تطرح حدوداً فضائية غير مرئية، ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية علي أسس سياسية واقتصادية وثقافية وفكرية، لتقيم عالماً من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن، هو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز تعمل تحت إمرة منظمات ذات طبيعة خاصة، وشركات متعددة الجنسيات، يتسم مضمونه بالعالمية والتوحد علي رغم تنوع رسائله التي تبث عبر وسائل تتخطي حواجز الزمان والمكان واللغة، لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء.

عولمة الإعلام بشكل عام:

أما عولمة الإعلام فتعني: عملية تعاظم وتسارع مستمر في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات علي تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بهدف تحقيق مكاسب ثقافية ومادية لصالح الشركات العملاقة للإعلام والاتصال والمعلومات علي حساب دور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي[١]. ويتحقق التعاظم المستمر لقدرات وسائل الإعلام بفضل ما توفره تكنولوجيا الاتصال والمعلومات المتجددة من ناحية. والاندماج والتكامل بين الشركات العملاقة للإعلام والاتصال والمعلومات من ناحية أخري[٢].

وقد تزايدت أهمية الجانب الاستثماري الاقتصادي في صناعة الإعلام والاتصال والمعلومات بالولايات المتحدة الأمريكية إلى الحد الذي دخلت فيه هذه الصناعة في حالة اندماجية مع المفكرين والصحفيين والمنتجين السينمائيين لإنتاج المواد الترفيهية المسلية وتصديرها إلى العالم كله[٣]. وبلغت الصادرات الأمريكية من المنتجات الإعلامية المرتبة الثانية بعد صادرات الطائرات[٤]. مما أحدث شكاوي رسمية من المسئولين عن الثقافة ببلدان أوربية وأسيوية[٥].

وكما تأثرت الكتابات العربية بمفهوم الغرب للعولمة تأثرت أيضاً في موقفها من عولمة الإعلام: فقد أيدها البعض بحماس واعتبرها إيجابية لأنها توفر للجمهور فرصاً غير محدود للاختيار بين القنوات والمعلومات وتدعم فكرة التدفق الحر للمعلومات وحق الجمهور في الاتصال[٦]. بينما عارضها البعض الآخر لأنها تنفي التعددية الثقافية وتقوض سلطة الدولة علي الإعلام والثقافة لصالح الشركات الاحتكارية متعددة الجنسية التي تعكس اعتداءً علي حرية وسائل الإعلام. وتسييداً لقيم الربح والخسارة في مجال الإعلام والمعلومات المعني بتشكيل وتربية المجتمعات في العصر الحديث[٧].

ومن الملاحظ أن الاتجاه الأول يصف عولمة الإعلام بالتعددية والحرية بينما يصفها الاتجاه الثاني بالأحادية والمصادرة وهما وصفان متناقضان تماماً ولكنه من الواضح أن العولمة ذات تعددية من نوع خاص لأنها تصب في النهاية في اتجاه واحد لخدمة طرف واحد.

سمات الإعلام في عصر العولمة:

استنادا إلى التعريف السابق. يمكن تلخيص سمات إعلام العولمة كما يلي:

١/ إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية. ومؤهل لتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع به إلى مزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المختلفة.

٢/ يشكل جزءاً من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة علي أراضيها وشواطئها وفضائها الخارجي بما يعرف بالنظام السياسي العالمي الجديد.

٣/ يشكل جزءاً من البنية الاقتصادية العالمية التي تفرض علي الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من صراعات ومنافسات وتكتلات وسعي متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكره بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن، وعملها في أكثر من مجال، بما في ذلك صناعة وتجارة السلاح.

٤/ يشكل جزءاً من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجه وتوجهه وتتوجه به، ولهذا فانه يسعي إلى نشر وشيوع ثقافة عالمية، تعرف عند مصدرها بالانفتاح الثقافي، وعند ملتقيها بالغزو الثقافي.

٥/ يشكل جزءاً من البنية الاتصالية الدولية التي مكنته من تحقيق عولته وعولمة رسائله ووسائله، فهو ينتمي إلى أحد حقلي التكنولوجيا الأكثر تطوراً في الوقت الراهن، والمحتكر بشكل مباشر للشركات المعنية بتصنيع وسائله والتي تشكل نسبة ٢٣ بالمائة من قائمة الشركات المائة الأكبر في العالم.

٦/ لا يستند إلى فراغ، فثمة اتفاقيات دولية تدعمها منظمات وقرارات تحدد استخدام شبكاته وتوزيع طيفه وموجاته السمعية وآليافه البصرية وبثه المباشر وتعريفاته الجمركية للصحف والمجلات والكتب، والأشرطة والاسطوانات المدبلجة، وأخيراً وليس أخراً وسائطه المتعددة.

٧/ لا يشكل نظاماً دولياً متوازياً لأن كل مدخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيه تأتي من شمال الكرة الأرضية، وهذا ما أدي إلى هيمنة الدول المتقدمة عليه في مقابل تبعية الدول النامية له[٨].

مظاهر العولمة في الإعلام العربي:

تتعدد وتتنوع مظاهر ثقافة العولمة في الإعلام العربي[٩]؛ فمنها ما يتعلق بنوعية القضايا والبرامج، ومنها ما يتعلق بالمفاهيم والقيم، ومنها ما يتصل بأساليب الأداء وخاصة في التقديم وإدارة الحوار وهيئة المذيعات خاصة.

١/ القضايا:

حيث يهتم الإعلام العربي بعدد من القضايا التي تعكس تأثره بثقافة العولمة، منها علي المستوي الاجتماعي والديني: تعميق مفهوم المساواة بين الجنسين من منظور غربي دون مراعاة للاختلافات الفسيولوجية من ناحية وخصوصية المجتمعات العربية من ناحية أخري، إدماج الرجل في المنزل ومزيد من إقحام المرأة ودمجها خارج المنزل في مجالات قد لا تناسبها بهدف إثارة مشاكل لها ومع الرجل الأب والزوج والأخ، العلاقة المالية بين الرجل وزوجته العاملة خاصة، وطرح النموذج الأوربي في اقتسام المال بينهما عند الطلاق دون ذكر عيوب ومخاطر هذا النموذج، شيوع فكرة الجنس الثالث وزواج الرجل بالرجل وزواج المرأة بالمرأة، إثارة بعض التساؤلات التي تتعارض مع ثوابت قرآنية مثل: لماذا لا ترث المرأة كالرجل علي الرغم من اقتحامها ميادين العمل والاستثمار؟ لماذا لا

تؤخذ شهادة المرأة كشهادة الرجل؟ لماذا لا يكون للمرأة حق الطلاق كما هو للرجل؟ نقد فكرة القوامة للرجل بعد أن أثبتت المرأة نجاحات أكثر من الرجل في بعض الميادين وشيوع فكرة أن النوع ليس معياراً للقوامة. قضايا الثقافة الجنسية علي طريقة الغرب التي تركز علي نزع الحياء والأوضاع الشاذة كحل لمشكلة البرود الجنسي. إبراز الجوانب الحسية والمادية في عمليات التوافق الزوجي والجنسي مع إغفال دور المشاعر والمعنويات. محاولة اختراق وتغيير وضعية المرأة الريفية من حالتها الإنتاجية إلى امرأة مستهلكة من خلال الاهتمام بشكلها وبشرتها وجمالها وصحتها.
وأما علي المستوي السياسي فيوجد العديد من القضايا من أهمها: تمرير بعض الصور الذهنية المسيئة للإسلام والمسلمين مثل وصف المجاهدين في فلسطين ولبنان والعراق بالإرهابيين ووصف حركات الجهاد الإسلامي بالجماعات الإرهابية واستخدام المصدر "مقتل" بدلاً من "استشهاد". وإثارة النعرات الطائفية والدينية والعرقية تحت غطاء حرية الإعلام العربي ومناقشة ما يسمي بقضايا الأقليات. ترسيخ مبدأ الاعتماد علي أمريكا في حل مشاكلنا مهما أظهرت من تحيز لصالح الكيان والعدو الصهيوني. إبراز الإعلام العربي لجوانب الخلافات العربية وتفتيت وجهات نظرها نحو القضايا التي تتطلب اتفاقاً عاماً والتركيز علي إظهار الفجوة الشاسعة بين خطاب المسئولين وخطاب الرأي العام. وتكريس عملية فقدان الثقة في الأنظمة العربية ومدي شرعية السلطة بها نتيجة مقارنتها بما يحدث في الغرب.

٢/ البـرامـج :

وعلي مستوي البرامج تبرز ثقافة العولمة بوضوح في التركيز علي برامج الرقص والغناء التي تظهر فيها علي الهواء مباشرة فتيات عربيات تتلوي تماماً علي الطريقة الغربية. وكذلك برامج المسابقات علي الهواء. والمسابقات الخاصة بالرقص والغناء والاهتمام بمعايير الرقص الجيد والغناء الجيد من منظور غربي. برامج عروض الأزياء بما فيها الأزياء الداخلية. ومتابعة مسابقات ملكات الجمال في كل دول العالم. الإكثار من البرامج التسويقية والدعائية لصالح الشركات العملاقة. التوسع في البرامج الترفيهية عامة في الفن والرياضة والأسرار الخاصة للنجوم والنجمات. الإكثار من الأفلام والمسلسلات الأجنبية وخاصة المدبلجة وما تحمله من مشاهد وقيم أسرية وأخلاقية مدمرة. إضافة إلى ما تحمله القنوات المشفرة من برامج لتعليم المراهقات والمراهقين كيفية فض غشاء البكارة وخلق الرغبة بالأساليب الشاذة.

٣/ القيـم :

وعلي مستوي القيم والمفاهيم فإن أخطر ما ترسخه ثقافة العولمة من خلال الإعلام العربي هو: تعميق مفهوم الحرية بالمنظور الغربي بحيث يتاح للفنان والمبدع أن يتعدي علي الذات الإلهية أو يسب الرسول صلي الله عليه وسلم أو يخرج عن الشرع والتقاليد العربية أو يصطدم مع ما استقرت عليه المجتمعات من قبيل حرية الإبداع. تعميق مفهوم العاطفة والحب بالمنظور الغربي القائم علي الألفاظ الإباحية والتفكير الهابط والملامسات الجسدية وممارسة الزنا والخيانة الزوجية وكل ذلك تحت ستار الحب وبأشكال فنية مؤثرة علي وجدان الفتاة والشاب العربي كالأغاني والموسيقي والأفلام والمسلسلات والبرامج المتخصصة التي تعلم فن الغزل والغرام. الاستمرار في تعميق المد القيمي المادي في مقابل تراجع الجوانب الروحية والأخلاقية المعنوية.

٤/ أسلوب الأداء :

وعلي مستوي أسلوب الأداء فقد ظهرت ثقافة العولمة في الإعلام العربي لدي معظم القنوات حتى الجادة منها التي ركزت علي استخدام (الاتهام) بدلاً من الحوار بأسلوب يقوم علي قاعدة: الضيف متهم حتى تثبت براءته. كما ركزت علي الاستفزاز في قالب من التعدي المباشر والوقح أحياناً علي قيمة الضيف والتحدي له. استخدام أسلوب الإثارة كقاسم مشترك في عديد من البرامج حتى لو اختلفت مجالاتها من السياسة إلى الفن إلى الرياضة إلى الدين إلى الثقافة وغيرها. تجزئ الحوار من خلال كثرة تدخل المذيع أو المذيعة بطريقة مملة وغير مناسبة في محاولة لتقليد المذيعات الغربيات. المشاهد التي تؤديها المذيعة العربية بعيونها ورموشها وتقبيل زميلها المذيع أحياناً والحركات التي تغازل بها الجمهور في بداية البرنامج أو نهايته ومشاركة الضيوف بالأستوديو في الرقص والغناء. الملابس التي تظهر بها المذيعات في أشكال غريبة وشاذة وكاشفة لمعظم مناطق الفتنة والإغراء.

أهداف الفضائيات في ظل العولمة :

وثمة ارتباط بين شيوع مصطلح العولمة وظهور القنوات الفضائية العربية[١٠]. ولكنه ارتباط قد يكون غير مخطط وغير مهتم بالحفاظ علي المجتمع العربي من آثار ثقافة العولمة. وفي حين ركزت الفضائيات العربية عل خدمة الأنظمة من ناحية وتحقيق الكسب المادي من ناحية أخري بتوظيفها كثير من أنماط ثقافة العولمة لجذب المشاهدين وتنميط سلوكهم وخاصة السلوك الاستهلاكي[١١]، كان يفترض عليها (الفضائيات العربية) أن تستشعر خطر العولمة فتركز علي أربعة أهداف أساسية[١٢]: حصر وتضييق الفوارق الثقافية والاجتماعية بين الشعوب العربية. الاتفاق علي إطار عام لإعلام عربي فاعل وموجه للدول الأخرى. تغيير وتحسين الصورة المشوهة التي رسمها الإعلام الغربي للعرب والمسلمين. بناء شخصية عربية إسلامية جديدة ترتكز علي الذات والأصالة وتأخذ في اعتبارها كيفية الاستفادة من التعامل والانفتاح علي كل جوانب التقدم لدي الآخر.

غير أن الممارسة الفعلية لهذه القنوات جاءت متناقضة إلى حد كبير مع هذه الأهداف: فزاد الإحساس بالفوارق الثقافية والاجتماعية واستغلت الفضائيات هذه الفوارق وأبرزتها كمتناقضات تؤدي إلى جذب المشاهدين. وتفتت الخطاب الإعلامي العربي وأظهر تفاوتات واسعة من دولة إلى أخري، ومن الخطاب الرسمي إلى الخطاب الشعبي داخل الدولة الواحدة. وأصبحت هناك أدلة مادية وملموسة تظهر علي شاشات الفضائيات العربية ويمكن أن يستغلها الإعلام الغربي في تأكيد الصورة المشوهة.

مخاطر العولمة في الإعلام العربي:

وأما عن مخاطر وأثار ثقافة العولمة في الإعلام العربي فتأتي في مقدمتها:

١/ فصل المكان عن الهوية والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد[١٣] ما أدي إلى اختفاء القواسم المشتركة بين الأشخاص وبروز الاختلافات الفردية في الشخصية[١٤]. وظهرت المجتمعات العربية بأنها مجتمعات ملونة ليس فقط في لون البشرة بل في الطباع وأنماط التفكير واللهجات والأزياء[١٥].

٢/ اهتزاز كثير من القيم والمفاهيم العربية والإسلامية والتي يمثل البعض منها ثوابت إسلامية وذلك من خلال إثارة السؤال لماذا؟ علي بعض الأحكام الخاصة بالمرأة في زواجها وطلاقها وإرثها وشهادتها وغيرها من الأسئلة التي تأثر بها كثير من العامة والمثقفين قليلي الدراية والإيمان بالفقه الإسلامي[١٦].

٣/ الوعي بها كثقافة بديلة ومحاولة تذويب الثقافة العربية في إطار الثقافة العالمية كإطار أوسع بحيث تختفي الثقافة العربية بمرور الوقت ولا يكون لها أثراً علي المستوي القومي أو العالمي[١٧]؛

٤/ ترسيخ مفهوم التفوق للثقافة الأمريكية من خلال حالة اللاتوازن واللاتكافؤ في عملية تبادل المعلومات والثقافات كماً ونوعاً بين الإعلام العربي والإعلام الأمريكي، حيث يركز الإعلام العربي- الفضائيات خاصة- علي نشر وبث مظاهر وإيجابيات التقدم العلمي والبحثي والتكنولوجي بالإضافة إلى الثقافة الشعبية الأمريكية الرخيصة الثمن والمضمون من الموسيقي والأفلام والمسلسلات التي تمتلئ بالجنس والعنف والخيال والصراع والاستغلال والنزعة المادية البحتة، بينما يركز الإعلام الأمريكي والغربي عامة علي كل ما يشوه الصورة العربية والإسلامية من أحداث وجرائم ونزاعات وصراعات وما يسمونه بالإرهاب وحب النساء والقتل والتخلف وغيرها من الافتراءات التي قد تكون موجودة كسلوك فردي ويتم تقديمها كظاهرة اجتماعية وسلوك متأصل.

٥/ إضعاف الإحساس المشترك بالمصير الواحد والهوية التاريخية[١٨] من خلال إحلال ثقافة المعاصرة وتشجيع المبادرات الفردية والإعلاء من المصلحة الخاصة كأساس للتنمية الاقتصادية.

٦/ بناء أجنده ثقافية إعلامية مغايرة في ترتيب القضايا والمواقف بحيث تتولد اهتمامات وميول موازية ومنافسة للأجندة الحقيقية التي يجب أن تشغل الشعوب العربية ما يؤدي إلى وجود نمطين متعارضين من الاهتمامات والاتجاهات بحيث لا تتم عملية الرأي العام في اتجاه واحد يخدم عملية التنمية بل تنصرف في أجزاء كبيرة منها إلى ما يعوق هذه التنمية.

معوقات الإعلام العربي في زمن العولمة:

لا شك أن الإعلام العربي بوضعه الحالي لا يستطيع أن يلعب دوراً فاعلاً وواعياً في التعامل مع ثقافة العولمة أو مواجهة الضار منها. وأي باحث يحاول أن يضع تصوراً للحل أو يفكر في ماهية المخرج من هذا المأزق يصطدم بمجموعة من المعوقات الملموسة على ارض الواقع والتي قد تفسر أيضاً أسباب ازدواجية كل من الإعلام والجمهور العربي في تقبل ثقافة العولمة ومهاجمتها في آن واحد.

ومن أهم هذه الأسباب أو المعوقات ما يلي:

١/ غياب السياسات الإعلامية المبنية على دراسات وتصورات علمية من واقع ظروف المجتمع. وعدم وضوح الأهداف والغايات التي نشأت من أجلها كل قناة فضائية عربية. فسارت بعضها في اتجاه الهبوط والانحلال بأذواق وأخلاقيات الجمهور لتحقيق مكاسب مادية. بينما لم تستطع قنوات أخري أن تحدد إلى أين تتجه وفي أي طريق تسير بحيث تواجدت قنوات تكسب بالصدفة وتخسر بالصدفة دون أن تكون لديها معايير ومقومات نجاح معروفة ومحددة[١٩].

٢/ غياب الرؤية الكلية لهذه الفضائيات وعدم وجود روابط مشتركة فيما بينها واعتماد كل قناة خطة عمل منفردة[٢٠] تستهدف جذب المشاهد والتنافس على استمرارية متابعته أطول فترة ممكنة دون أن يكون هناك اهتمام بالقيم التي تحملها الرسالة الإعلامية أو بالتأثيرات المراد إحداثها.

٣/ عدم وجود معرفة حقيقية حتى الآن بطبيعة المواطن العربي وخصائصه الشخصية والنفسية وميوله الحقيقية وليست التي اصطنعها الإعلام بداخله. وذلك نتيجة لغياب الدراسات العلمية الدقيقة عن احتياجات ومتطلبات الجمهور وانعكاساتها في الرسالة الإعلامية شكلاً ومضموناً وأسلوباً[٢١].

٤/ مواجهة الفضائيات العربية لأعباء وتحديات مادية وفنية وعدم اندماجها مع بعضها البعض في شركات عملاقة لتوفير الإمكانات اللازمة لتطوير برامجها وكوادرها مما يجعلها في منافسة غير عادلة مع الفضائيات الغربية التي قد تحقق الجاذبية والتأثير من خلال الإبهار بالإمكانات التكنولوجية عالية المستوى[٢٢].

٥/ حضور التصور المادي والتسويقي في عمل سياسات وممارسات القنوات العربية في مقابل غياب التصور الثقافي والاجتماعي الذي يجب أن يعمل في إطاره كل من أصحاب هذه القنوات والقائم بالاتصال بها وبالتالي فقد سيطرت الغايات المادية والاهتمامات الربحية في صناعة الرسالة الإعلامية على حساب الجوانب التربوية والتنموية.

٦/ عدم وجود منظومة واضحة من القيم، والمبادئ، والمرجعيات الفكرية التي تحكم العمل الإعلامي بهذه القنوات في مقابل الاعتماد على الاجتهادات الفردية والقدرات الخاصة في الإعداد والتقديم.

٧/ عدم وجود صيغة إعلامية مناسبة بخصوص احترام ومراعاة الشرائع الدينية وتقاليد المجتمع بحيث لا يتم تجاهلها أو الاصطدام معها أو النظر إليها علي أنها قيود أو ضوابط يمكن تجاوزها إعلامياً.. إذ أن إشكالية العلاقة بين الممارسة الإعلامية والضوابط الشرعية في الوطن العربي تحتل مساحة كبيرة ودائمة في جدول المناقشات اليومية لدي قطاعات كبيرة من الجمهور العربي وخاصة التيارات الإسلامية أو المحافظة[٢٣].

٨/ عدم التوصل إلى صيغة ثقافية إعلامية مُرضية في طرح ومناقشة وضعية المرأة والجنس في المجتمعات العربية. بحيث تعالج هذه الصيغة ازدواجية الشخصية العربية في الإقبال بشدة علي موضوعات المرأة والجنس وانتقادها ومهاجمتها في الوقت نفسه.

٩/ خلو خارطة الإعلام العربي من موقع عربي أصيل يهتم بتقديم النموذج البديل لثقافة الطفل المستوردة التي تتضمن وترسخ لقيم ومفاهيم مغايرة تماماً (علي المستوي الإنساني والمعنوي والأخلاقي والمادي) للقيم التي يجب أن ينشأ عليها الطفل العربي لمواجهة المد الثقافي العولمي الذي يسود الآن برامج وأفلام وألعاب ومسلسلات الأطفال بالفضائيات العربية. إلاَّ أن قناة المجد للأطفال يمكن أن تكون هذا البديل ولكن برامجها غير متاحة إلاَّ لقلة من الأسر العربية التي تمتلك حق شراء جهاز الاستقبال الخاص بها والذي يتجاوز ثمنه ٤٠٠ دولار.

١٠/ عدم اتفاق الإعلام العربي علي نمط تربوي صحيح يمكن اعتماده في عملية التنشئة الاجتماعية. وترسيخ مؤسسات المجتمع وكثير من القادة والأساتذة والكُتاب لظاهرة الفصل بين القول والفعل أو بين الفكر والسلوك. وكذلك تجزئ العملية الأخلاقية من مجال إلى مجال. وغياب النماذج الحقيقية التي يجب أن يقدمها الإعلام كقدوة. مما أدي إلى وضوح ظاهرة ازدواجية الإنسان العربي في تعامله مع الفضائيات خاصة. وفي حياته الاجتماعية عامة بحيث يسلك فعلاً ما ينتقده قولاً ويستمتع بمشاهدة مضامين لا تتسق مع ما ينادي به.

تقييم النماذج الإعلامية في مواجهة العولمة :

وتتضمن خريطة المجتمع العربي أربعة نماذج إعلامية إضافة إلى الصحافة الحزبية يدور التنافس فيما بينها وتختلف الأمة حولها ويدعي كل نموذج أنه الأنسب للجمهور أو المجتمعات العربية. وتشمل هذه النماذج: الإعلام الرسمي. الإعلام الخاص التجاري. الإعلام الديني المتخصص. الإعلام الإسلامي الشامل.

ولا تزال كتب الإعلام تذكر أن هناك أكثر من ٦٠ قناة أجنبية. ٢٣ قناة عربية منها ١٦ قناة رسمية وسبع قنوات خاصة[٢٤]. غير أن المشاهد العربي الآن يمكنه رؤية ما يزيد علي ٢١٠ قناة في الأقمار الثلاثة فقط(العربي والمصري والأوربي) منها ٣٥ قناة علي **"النايل سات المصري"**. ٤٥ قناة علي **"العرب سات"** وست قنوات لبنانية تبث من **"النايل سات المصري"** بخلاف القنوات اللبنانية

التي تبث من "العرب سات" ثم ١٢٥ قناة أجنبية تبث من "السات الأوربي" هذا بخلاف مئات القنوات الأجنبية علي أقمار أخري تزيد عن الست عشر قمرا.

ويستند الإعلام الرسمي الذي تملكه الحكومات علي أهدافه التنموية والتماسك والانتماء القومي وتقريب وجهات النظر وتوثيق أواصر الصلة بين الحكومات والشعوب. بينما يستند الإعلام التجاري علي تلبية الاحتياجات الخاصة للجمهور واحترام رغباته وميوله ومحاولة الترفيه عنه من عناء الأعباء والهموم اليومية الخاصة والعامة. ويستند الإعلام الديني علي غرس أسس العقيدة السليمة والدعوة إلى الإسلام. بينما يستند الإعلام الإسلامي علي إحياء مفاهيم القوة والحضارة والتقدم العلمي وجعل الإسلام مرجعية فكرية في سياسة أمور البلاد.

غير أن الممارسات الفعلية لهذه النماذج الأربعة قد لا تعكس حقيقة ما تستند عليه وتواجه العديد من الاتهامات. فقد يواجه الإعلام الرسمي عدة اتهامات من أهمها أنه إعلام دعائي يعمل علي تكريس الوضع القائم وقبول الأمر الواقع بكل مؤاخذاته مستهدفاً في المقام الأول تحسين صورة الأنظمة والحكام وتقريب الفجوات المتباعدة بينها وبين الشعوب(٢٥). ويعتمد الإعلام الخاص بشكل أساسي علي قيم الغرابة والإثارة ومخاطبة الانفعالات والشهوات (الجنس، الأكل، الشراء، الاستهلاك عامة.. إلخ) مستهدفاً في المقام الأول أغراضاً مادية يسبقها أو يعقبها تغييرات ثقافية وأخلاقية وتربوية في الاتجاه السلبي الضار(٢٦).

ولا يجد كل من الإعلام التجاري والإعلام الرسمي غضاضة من الاستعانة ببعضهما البعض في تحقيق أهدافهما بحيث يلجأ الإعلام الرسمي إلى برامج اللهو والإثارة لتمرير بعض أهدافه السياسية، كما قد يلجأ الإعلام التجاري إلى برامج سياسية وثقافية حتى لا يكون عاري من الجدية تماماً ويسهل تشويهه لدي العامة.

أما الإعلام الديني فهو إعلام متخصص قاصر علي العبادات والمعاملات والأخلاق تاركاً الكثير من التداخلات السياسية والفكرية ويظهر منعزلاً عن كثير من مجالات الحياة التي يزخر بها الإعلام فتجده في برنامج ديني، صفحة دينية،محطة أو قناة دينية(٢٧).

وأما الإعلام الإسلامي فهو منهج ورؤية شاملة تفرض معاييرها وقيمها علي كل ما تبثه وسائل الإعلام بحيث تكون الغايات والمضامين والأساليب المتبعة في مخاطبة الجماهير لا تتعارض مع قيم الإسلام التي هي بالضرورة في صالح المجتمع والأفراد(٢٨). كما يمتلك مفهوم الإعلام الإسلامي الدولي الذي يختص بمخاطبة الآخر غير المسلم تميزاً في أسلوبه ونوعية المضمون والأهداف والقضايا التي يركز عليها معتمداً علي مبادئ وأسس الإسلام في تعامله ومواقفه من الآخر وهي مبادئ تسعي لتحقيق العدل الدولي والتسامح بين الشعوب ورفض الظلم ومقاومة العدوان ونقل الإسلام بصورته الصحيحة ونشر الدعوة الإسلامية بالحكمة- الإعلام الإسلامي في

مواجهة العولمة- ولاشك أن الإعلام الإسلامي الداخلي والخارجي علي مستوي التنظير أو النظرية يملك مقومات مواجهة العولمة وثقافتها وتحصين العقل والهوية العربية[٢٩]. إلا أن الواقع يجعلنا نأخذ في الاعتبار تواجد النماذج الإعلامية الأخرى بحيث يمكن إيجاد صيغة إعلامية متكاملة تجمع بين الاستفادة من إيجابيات كل نموذج علي أن يكون مدي التوافق أو التعارض مع الإسلام هو المعيار الوحيد لعمل هذه النماذج.

ولا يتصور البعض أن الإعلام الإسلامي نفسه سيكون خالياً من القصور أو السلبيات لأنه في النهاية سيخضع لتطبيقات بشرية. كما أن الإسلام نفسه لا يصنع مجتمعاً ملائكياً خالياً من جميع العيوب والأخطاء ولكنه من المؤكد أن التطبيق البشري للإعلام الإسلامي سيقود إلى نتائج أفضل من نفس التطبيق لنظريات الإعلام الأخرى. كما أن تطبيق الإسلام في حد ذاته يضمن مجتمعاً تزيد فيه نسبة الخير علي الشر ولكن الشر لا يختفي.

كما لا يتصور البعض أن الإعلام الترفيهي أو الإعلام الرسمي لا يدخلان ضمن بنود واهتمامات الإعلام الإسلامي ولكنهما يتواجدان بضوابط معينة وفي ترتيبهما الصحيح بين قائمة الأولويات والاهتمامات.وحتى الإعلام عن الجنس نفسه موجود في القرآن والسنة. ولكنه في أطر وضوابط تراعي الزمان والمكان والعمر والحلال والحرام والحياء بحيث يستمتع المسلم بكل ما حلله الله دون إخلال بالشريعة أو إلحاق الضرر بالآخرين والمجتمع.

غير أن هذا كله مرهون بسياسات عربية عامة وشاملة كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والثقافية.. الخ[٣٠]. إذ أن الإعلام في أي مجتمع لا ينفصل عن حقيقة ما يجري بين الأنظمة والشعوب من ناحية، ومصالح رأس المال من ناحية أخري. كما أن الإعلام الدولي خاصة لا يستطيع أن يقاوم دون أن يكون مستنداً علي قوة عسكرية وسياسية واقتصادية تدعمه وتساعده في اتخاذ المواقف الصحيحة.

الأدوار الممكنة للإعلام العربي بظروف الراهنة :

ومع هذا كله يستطيع الإعلام العربي في ظل الظروف الراهنة أن يلعب دوراً أفضل علي النحو التالي:

١/ التركيز علي المساحات المتفق عليها وإهمال الجوانب المتنازع عليها ومعالجتها بعيداً عن الخلافات السياسية والتعصب القطري أو العرقي، وكذلك إبراز القواسم المشتركة أكثر من الخصائص والسمات النوعية، وإيجاد صيغة طرح إعلامية مناسبة لا تتخذ من النوعي اتجاهاً مضاداً للمشترك، ولا من الخلافات وسيلة لإلغاء الاتفاقات، بل يصبح التضامن العربي وسيلة لتقوية الداخل في مواجهة الوافد ومحاولات نفاذه.

٢/ إعادة النظر في علاقة الإعلام باللغة العربية بحيث يتم الالتزام بمستوي الفصحى المخففة في كل ما تبثه وسائل الإعلام العربية سواء علي لسان العاملين فيها أو علي لسان ضيوفها

باستثناء بعض البرامج التي تتطلب رأي رجل الشارع العادي والاهتمام بنشر العامية الراقية؛ إذ أن مجمع اللغة العربية أثناء انعقاده لمؤتمر كبير بالقاهرة توصل إلى أن اللغة شأنها شأن الوسائط الأخرى التي يمكن أن تنفذ منها ثقافة العولمة واعتبرها قلب المشكلة الثقافية ولسان ثقافة الأمة وهويتها التاريخية وأكد علي ضرورة الحفاظ عليها باعتبارها عامل قوي في مواجهة العولمة الثقافية وهدد المجمع باللجوء إلى القضاء في حال عدم التزام وسائل الإعلام العربية بالحفاظ علي اللغة العربية[٣١].

٣/ إعادة النظر في علاقة الإعلام بالثقافة بحيث لا يكون تيار الترفيه والتضليل والتسطيح أكثر حضوراً من تيار التثقيف والتنوير والتعميق[٣٢]، وكذلك التركيز علي تجديد الثقافة العربية مع العودة إلى الذات قبل الانفتاح علي الآخر. والبداية بالأنا قبل التحرك إلى الأجنبي وإعطاء أولوية للقريب قبل البعيد. وبالموروث قبل الوافد. وبالجذور قبل الفروع[٣٣].

٤/ إيجاد ما يسمي بإعلام دولي عربي. وإعلام دولي إسلامي يقتصر في مهامه علي الانفتاح والتعامل مع الشعوب الأخرى ووسائل إعلامها وجماعات الضغط والمصالح فيها فيطرح عليها بأكثر من لغة الإسلام كبديل فكري وديني وحياتي يضمن سعادة البشرية وأمنها وسلامها حتى في ظل قبوله وتعايشه مع أصحاب الديانات الأخرى. ويقوم في الوقت نفسه بالرد علي محاولات الإساءة وتشويه الصورة التي يمارسها الآخر نحو العرب والمسلمين.

٥/ إدراك أهمية الإعلام الدولي الغربي/ الأمريكي في تحقيق أهداف عربية وإسلامية قد لا يمكن تحقيقها من خلال الإعلام العربي ذاته. حيث يجب التوجه إلى شراء مساحات من الصحف والمحطات والقنوات الغربية وتوظيفها في توضيح الحق العربي والخصوصية الإسلامية. ولاشك أن هذا يضمن وصول الرسالة الإعلامية العربية إلى الجمهور المستهدف في الغرب بنفس لغة ومنطق ومداخل إقناع الإنسان الغربي.

٦/ العمل علي كسر حدة الانبهار بالغرب من خلال نقد التيارات والمذاهب الغربية وبيان عدم ملاءمتها للبيئة العربية والتوجه إلى صياغة نظريات معرفية من واقع وتاريخ وحضارات العرب. إذ أن أي ثقافة أو تيار له خصوصية نشأته وظهوره في إطار بيئته. فقد يكون إيجابي داخل بيئته ولكنه سلبي في بيئات أخري مغايرة. وقد يكون ديمقراطي في بيئته ولكنه يمارس القهر والتسلط خارجها والديمقراطية الغربية الأمريكية مثال واضح لذلك[٣٤].

٧/ الانطلاق من مفهوم "السياسة الدولية للإعلام" في تعاملنا مع الإعلام الآخر بحيث لا نتبنى سياسة الانغلاق والخوف علي الذات- لأنها غير ممكنة بسبب اختلال توازن القوي- بل نتبنى فلسفة "التمثّل" في الجوانب الإيجابية من الثورة الإعلامية مع العناية في الوقت نفسه بتطوير كل الوسائل الممكنة لمقاومة الآثار السلبية التي يبعثها عدم التكافؤ الحضاري بحيث يكون الإعلام العربي هو المستفيد من هذا التبادل وليس العكس[٣٥]

٨/ تبني سياسة التعبئة الإعلامية في رفع المعنويات المحبطة وربط الولاء المحلي بالقومي وإنهاء حالة التناقض بين الولاءين وتنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي في إطار الاتفاق على أهداف عامة وفلسفة واحدة[٣٦].

٩/ تبني وتنفيذ سياسة التكامل الاتصالى والإعلامي وخاصة على المستوى التربوي والتعليمي والتنموي والثقافي والدّعوي. بحيث تكون سياسات الاتصال الشخصي والجمعي والجماهيري والفردي قائمة على الانسجام فيما بينها فيكون الإعلام في خدمة الدعوة والتربية. وتكون الثقافة والتعليم في إطار فلسفة الدعوة والتربية ويكون الجميع في خدمة التنمية الروحية والمادية. ويسود روح التعاون بين هذه المؤسسات بدلاً من روح التنافس غير المحمود من جانب الإعلام[٣٧].

مراجع وهوامش الفصل السادس

١/ انظر: محمد شومان. عولمة الإعلام ومستقبل النظام الإعلامي العربي. مجلة عالم الفكر. المجلد ٢٨. العدد الثاني. ديسمبر ١٩٩٩.

٢/ المرجع السابق نفسه.

٣/ انظر: بنجامين باربر وعالم ماك. المواجهة بين التأقلم والعولمة. ترجمة أحمد محمود. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ١٩٩٨. ص٩٣-٩٤.

٤/ محمد شومان.مرجع سابق. ص ١٦٣. نقلاً من:

Gerd. G. Schenkel, Columbia Business School, New York, ١٩٩٨.

٥/ انظر: عواطف عبد الرحمن. حرية الإعلام المعاصر وتحديات العولمة. مجلة الدراسات الإعلامية. العدد ٩٣. أكتوبر- ديسمبر ١٩٩٨. ص ٦٤. نقلاً من:

Yves Eudes, La Cinquete des Esprits, Paris, ١٩٨٢, pp. ١٨-٢٤.

٦/ انظر تأييداً غربياً لعولمة الإعلام في:

▪ رونالد روبرت ستون. العولمة: النظرية الاجتماعية والثقافية الكونية. ترجمة أحمد محمود ونور أمين. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة. ١٩٩٨. ص ٢٨٩-٢٩٥.

Gerd. G. Schenkel, Op. Cit.,

وانظر تأييداً عربياً في:

▪ السيد يسين. "مفهوم العولمة". في ندوة: العرب والعولمة التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت. من ١٨-٢٠ ديسمبر ١٩٩٧.

▪ فريال المهنا. الإعلام الفضائي العربي ووقائع العولمة: دراسة نظرية وتطبيقية علي الشركات الوطنية بمدينة الرياض. المجلة المصرية لبحوث الإعلام. العدد السابع. كلية الإعلام- جامعة القاهرة. يناير/ يوليه ٢٠٠٠. ص٥٣-٧٦.

٧/ انظر: اتجاهاً غربياً معارضاً لعولمة الإعلام في كتابات التيار النقدي (هربرت شيللر. تشومسكي) في دراسة: محمد شومان. مرجع سابق.ص ١٦٠-١٦١.

▪ وانظر اتجاهاً عربياً معارضاً في كتابات إسماعيل صبري عبد الله، وسمير أمين ومحمود أمين العالم وعواطف عبد الرحمن في دراسة كل من

▪ عواطف عبد الرحمن. حرية الإعلام المعاصر وتحديات العولمة. مرجع سابق. ص ٧١-٧٢.

▪ فريال المهنا. مرجع سابق. ص ٥٧-٥٩.

٨/ مجموعة باحثين. "العولمة وتداعياتها علي الوطن العربي".سلسلة كتب المستقبل العربي (٢٤). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية. ٢٠٠٢. ص ١٦٦-١٦٧.

٩/ اعتمد الباحث في حصر القضايا والبرامج والأساليب التي تعكس ثقافة العولمة في الإعلام العربي علي ما يلي:

▪ متابعة مقصودة للفضائيات العربية غير المشفرة لمدة ستة شهور من أكتوبر ٢٠٠٠ إلى مارس ٢٠٠١.

▪ محمود الديك المستشار الإعلامي لقناة أوربت في حوار مع "الأربعاء" الملحق الثقافي لجريدة المدينة السعودية بعنوان "الإعلام العربي يبحث عن الرقص" ص ٥٢-٥٣.

▪ عبد الله الجفري. "نقطة حوار". جريدة الحياة. ٢٠٠١/٤/٨.

▪ جريدة الوطن السعودية. فاتنات الفضائيات يقهرن الزوجات. ٢٠٠٠/١٠/٢.

▪ بهيج ملا جويش. سلبيات الفضائيات العربية. مجلة الدعوة السعودية. ١٩٩٩/٢/٤.

١٠/ يري د. عبد الحسين شعبان أن التعدد غير المسبوق الذي شهدته قنوات البث الفضائي في السنوات الأخيرة إنما هو تعبير عن مظاهر وسمات العولمة انظر له: مرجع سابق. ص٣٢.

١١/ انظر: حسين العودات. التكامل بين السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية في الوطن العربي. المجلة العربية للثقافة. العدد ٣٥. سبتمبر ١٩٩٨. ص١٧.

١٢/ انظر: محمد عبد الله الجربيع. مرجع سابق. ص ٨٥.

١٣/ انظر:

▪ A. Giddens, Modernity & Self- Identity: Self and Society in The Late Modern age, .Standford, C. A. Standford University Press, ١٩٩١, p١١

١٤/ عواطف عبد الرحمن. حرية الإعلام المعاصر وتحديات العولمة. مرجع سابق. ص٦٢.

١٥/ يري الدكتور أديب خضور أنه يجب أن نأخذ بعين الاعتبار واقع الاختلاف بين الأقطار العربية قبل أن نتحدث عن اختلاف عاداتنا وتقاليدنا وقيمنا عن الغرب. انظر: أديب خضور. دراسات تليفزيونية. دمشق: المكتبة الإعلامية. ١٩٩٨. ص٥٧.

١٦/ انظر إضافة لهذه المعاني في حوار مع المفكر الإسلامي محمد حبش لمجلة الدعوة السعودية "يريدون إسلاماً.. بلا شريعة: دعوة إلى "عولمة" إسلامية". ١٩٩٩/٤/٢٢.

١٧/ انظر: تفصيلاً لهذه الفكرة في:

▪ فهد العرابي الحارثي. موقعنا في الكونية الإعلامية الجديدة. محاضرة علمية نشرت بجريدة الجزيرة. ١٩٩٨/١٢/٧.

▪ محمد عبد الله الجربيع. مرجع سابق. ص ٨٢-٨٣.

١٨/ عواطف عبد الرحمن.مرجع سابق. ص ٦٢.

١٩/ انظر: أديب خضور.مرجع سابق. ص ٣٣-٥٣.

٢٠/ انظر مناقشة لهذه الفكرة في:

▪ أديب خضور. مرجع سابق. ص ٦٢.

▪ محمود علم الدين. تكنولوجيا الاتصال في العالم العربي. مجلة عالم الفكر. الكويت. ديسمبر ١٩٩٤. ص ١١٧-١١٩.

٢١/ انظر تفصيلاً في: أديب خضور. مرجع سابق. ص ٣٧، ٥٧، ٥٨.

▪ وعواطف عبد الرحمن. الإعلام العربي وقضايا العولمة. مرجع سابق. ص ٩١.

٢٢/ انظر تفصيلاً: في أديب خضور.مرجع سابق. ص ٥١- ٥٥، ٣٧.

٢٣/ انظر مناقشة للفكرة في مقال للدكتور/ عبد القادر طاش. الثقافة الإسلامية والقنوات الفضائية. الشرق الأوسط. ١٩٩٨/١١/١٨.

٢٤/ انظر علي سبيل المثال: عواطف عبد الرحمن. مرجع سابق. ص ٦٤. حيث لم يتنبه كل منهما لتاريخ نشر المرجع الذي نقلا عنه: محمود علم الدين. مرجع سابق (١٩٩٤).

▪ وكذلك أديب خضور الذي نقل من حسين العودات دون مراعاة أيضاً لتاريخ النشر (كيف يمكن أن نجعل القنوات الفضائية العربية أداة للتعريف بالثقافة) بحث غير منشور.

٢٥/ انظر:

- أديب خضور، مرجع سابق، ص٣٦.
- حسين العودات، التكامل بين السياسات الثقافية والسياسات الإعلامية في الوطن العربي، المجلة العربية للثقافة، العدد ٣٥، سبتمبر ١٩٩٨، ص١٦-٦٤.
- عواطف عبد الرحمن، إشكالية الإعلام التنموي في الوطن العربي، القاهرة: دا الفكر العربي، ١٩٨٥، ص٣١-٣٢.
- عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة، مرجع سابق، ص٦١.

٢٦/ انظر تفصيلاً في ندوة: "التليفزيون الوطني في مواجهة الفضائيات الخاصة" التي عقدت بالقاهرة والمنشورة في جريدة الشرق الأوسط، ١٩٩٧/٣/٦.

٢٧/ صابر حارص، "الإعلام العربي في رمضان... الواقع والمأمول"، المستقبل الإسلامي، العدد ١١٣، ديسمبر ٢٠٠٠، ص٢٣.

٢٨/ المرجع السابق نفسه.

٢٩/ المفكر الإسلامي/ محمد حبش في حوار مع مجلة الدعوة السعودية، العدد ١٦٨٨، ٢٢ إبريل ١٩٩٩، ص٢٢.

٣٠/ عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة،مرجع سابق، ص٥٩.

٣١/ توصيات مؤتمر الدورة السابعة والستين لمجمع اللغة العربية في القاهرة الذي نشرته جريدة الحياة بعنوان: اللغة أساس لتجمع عربي في مواجهة شمال حلف الأطلسي، ٢٠٠١/٤/٩.

٣٢/ انظر: شون ماكبرايد، الاتصال والمجتمع إليوم وغداً: تقرير اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاتصال، الجزائر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ١٩٨١، ص٨٢.

٣٣/ محمد عبد الله الجريبيع، وسائل الإعلام العربي والعولمة الثقافية، مرجع سابق، ص ٧٦.

٣٤/ المرجع السابق نفسه، ص٨٧.

٣٥/ انظر: البيان الختامي للمؤتمر القومي العربي السابع، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢١٨، إبريل ١٩٩٧، ص١٥٤.

٣٦/ محمد عبد الله الجريبيع، مرجع سابق، ص٨٧.

٣٧/ انظر: عبد الإله بلقزيز، العولمة والهوية الثقافية، في ندوة العرب والعولمة، بيروت، من ١٨-٢٠ ديسمبر ١٩٩٧.

- انشراح الشال، الإعلام الدولي عبر الأقمار الصناعية، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٦، ص ٧٩-٨١.

الفهرس



العربي للنشر والتوزيع
٦٠ شارع القصر العيني (١١٤٥١) - القاهرة
تليفون: ٢٧٩٥٤٥٢٩ - ٢٧٩٢١٩٤٣ - فاكس: ٢٧٩٤٧٥٦٦
٤٢ ميدان البصرة - أول شارع دجلة - المهندسين
تليفون: ٣٧٤٩٢١٤٥ - ٣٧٦١٨٣٨١ - فاكس: ٣٧٦١٨٣٨١
email: alarabi5@link.net